

---

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القري  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات العليا

# السخرية في شعر عبدالله البردوني

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأدب

إعداد الطالب

مساعـد بن سعـد بن ضحيان الـذبياني

الرقم الجامعي : ٤٢٥٨٠١١٠

إشراف سعادة

الأستاذ الدكتور / حسن محمد باجودة

العام الدراسي ١٤٣١ هـ

## الملخص

- العنوان :** السخرية في شعر عبدالله البردوني .  
**الباحث :** مساعد بن سعد بن ضحيان الذبياني .  
**الدرجة :** الماجستير في الأدب .

يهدف البحث إلى إثراء موضوع السخرية في المكتبة العربية ، والدراسات المتخصصة في هذا المجال ، لأن البحث في هذا الجانب يعد قليلا نسبيا ، لأن السخرية فن أدبي قائم بذاته يستحق الدراسة والبحث ، وقد تناوله كثير من الأدباء على مرّ العصور .

جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، تناولت المقدمة أهمية الدراسة، و سبب اختيارها ، وتناول التمهيد حياة البردوني ، وتناول الفصل الأول معنى السخرية ، و دوافع السخرية لدى البردوني ، وتناول الفصل الثاني أساليب السخرية في شعر البردوني .

توصل البحث إلى أن شعر البردوني يغلب عليه طابع السخرية في معظم جوانبه ، وأن السخرية في شعر البردوني ليست من قبيل التشفي الشخصي، بل هي سخرية الناقد المصلح ، الذي يبرز العيوب للتخلص منها بأسلوب ساخر .

مما يوصي به البحث : دراسة أدب البردوني بشكل عام لأنه مجال خصب للدراسات .

---

## Abstract

**Address: irony in the poetry of Abdullah Baraddoni.**

**Researcher: Musaed bin Saad bin Dhahyan Thubiani.**

**Degree: Master's in Literature and Rhetoric.**

The research aims to enrich the subject of ridicule in the Arabic library, and specialized studies in this area because the research in this area is relatively small because the ironic art of literary stand-alone deserves study and research, has dealt with many writers over the ages.

The research in the introduction, preface, and two chapters, dealt with the importance of the study, and why it addressed the boot Bardouni life, and the first chapter discusses the meaning of irony, sarcasm and the motives of the Baraddouni, and the second chapter deals with methods of irony in the poetry of Baraddouni. The research into poetry Baraddouni dominated by irony in most aspects of that irony in the poetry of Baraddouni is not such as personal revenge, but is ironic critic reformer, which highlights the defects of the disposal of cynical.

**This research recommends: Baraddouni study literature in general because it is fertile ground for studies**

---

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

## حياة سريانا

**المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن أهدى بهديه إلى يوم الدين .

لقد حاولت في هذا البحث أن أقف على جانب مهم من جوانب الدراسة الأدبية ، والمتمثل في جانب السخرية ، وكيف يستطيع الأديب أن يتخذ السخرية أسلوبا ، يستطيع من خلاله أن يعبر عن معاناته ، ومعاناة أمته ، ومن خلال دراستي لهذا الجانب وجدت شحاً في الدراسات الأدبية التي اعتنت بمثل هذا الجانب ، ولم يقتصر هذا الشح على دراسة هذه الظاهرة فقط ، وإنما وجدت الأمر يمتد ليشمل الشاعر المعنيّ بالدراسة وهو الشاعر عبدالله البردوني وهذا يعود لعدة أسباب حاولت أن أسلط الضوء عليها في التمهيد لعدم الإطالة في المقدمة .

ولم أقف على دراسة تتناول جانب السخرية لدى البردوني ، إلا مقالا في مجلة الكويت العدد ٢٢٧ للدكتور وليد المشوح تتطرق فيه إلى السخرية في شعر البردوني بشكل عام ، وكيف أن البردوني في تجربته الإبداعية كان يعتمد على هذا الأسلوب ، فكان هذا حافزا لي ليكون هذا البحث أكثر عمقا في تناول تجربة البردوني الساخرة ، كما أن الدراسات التي تناولت تجربة البردوني الإبداعية لم تكن بتلك الغزارة ، وإن كانت ذات وزن ، ولم أقف إلا على الدراسات التالية :

١ - (البردوني شاعرا وكاتبا) - طه حسين إسماعيل .

وهي عبارة عن رسالة دكتوراه ، تناول فيها الباحث حياة البردوني الأدبية ، وأهم القضايا التي تناولها البردوني في أدبه ، وأهمية هذا الأدب ، وما يحمله من فكر وإبداع .

٢ - (الصورة في شعر عبدالله البردوني) - د / وليد مشوح .

وهي دراسة نقدية نال بها الباحث درجة الدكتوراه ، وقد تناول فيها الصورة عند عبدالله البردوني ، وما أحدثه من تجديد في هذه الصور ، والمدارس التي تأثر بها البردوني في إبداعه للصورة الشعرية.

٣ - (شعر البردوني) - محمد أحمد قضاة .

هي رسالة دكتوراه ، تناول فيها الباحث أساليب البردوني الشعرية ، واتجاهاته الفنية، وأهم التجديدات في هذا الشعر .

ومع وجود هذه الدراسات إلا أن جانباً مهماً من أساليب البردوني لم تقف عنده كل هذه الدراسات ، فالدراسات السابقة لم تتعرض للأسلوب الساخر في شعر البردوني بشكل متعمق ، يكشف عن جوانب هذه السخرية التي صبغت أدب البردوني بلون ميزه عن بقية الأدباء ، بل جعل له سمة وطعماً يختلف عن غيره من المبدعين .

لذلك حاولت في هذه الدراسة أن أتقرب إلى ساحة البردوني الساخرة لأقف على أهم تلك الجوانب التي أضاءت بتجربة البردوني الساخرة فكان البحث في تمهيد وفصلين .  
جاء التمهيد ليكشف الغطاء عن أهمية الجانب الساخر في الدراسات الأدبية ، ولماذا لم يهتم الدارسون بالتجربة الإبداعية اليمينية ، و ليسلط الضوء على حياة البردوني .

أما الفصل الأول فكان على مبحثين :

الأول حاول البحث فيه أن يقف مع معنى السخرية اللغوي والأدبي . والثاني كان البحث يحاول فيه بيان أسباب توجه البردوني لأسلوب السخرية في تجربته الإبداعية . أما الفصل الثاني فكان يحاول البحث فيه أن يقف على أهم الأساليب التي استطاع من خلالها البردوني أن يعبر عن سخريته .

لقد حاول البحث أن يقف مع تجربة البردوني الإبداعية ، خاصة في الكشف عن تجربته الساخرة ، وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف الظاهرة ثم تحليلها ، كما أنني استفدت من المنهج النفسي في تفسير بعض الظواهر عند الشاعر . أسأل الله التوفيق والسداد .

كما لا يفوتني في هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من الأستاذ الدكتور عبدالله بن إبراهيم الزهراني الذي كان له الفضل بعد الله في اختيار هذا الموضوع ، وأعانني بجهده وفكره في إعداد خطة هذا البحث . والإشراف على جزء من هذا البحث قبل تفرغه العلمي .

والشكر موصول للأستاذ الدكتور حسن محمد باجودة الذي أكمل معي مسيرة الإشراف على هذا البحث حتى إتمامه . فكان له الفضل في إخراجه بهذه الصورة .

والشكر موصول لكل من أسهم في إنجاز هذا العمل .

والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
حَمْدًا لِلَّهِ الْمَوْلَى

### التمهيد :

السخرية سلاح اتخذه المبدعون لقهر واقعهم المرير ، فأخذوا يصورون هذا الواقع، وينقدونه من خلال ضحكة مغموسة بألم المعاناة ، حاولوا من خلالها أن يصلحوا ويغيروا واقع أمتهم ، فتغلغلوا في تركيبية النفس البشرية ، لينتزعوا منها الضحكة بدل الدمعة ، لتكون طوق النجاة في بحر المعاناة الذي تعيشه أمتهم ، لذلك كان الأدب الساخر نبض حياة الأمم ، فلا يخلو منه أدب أمة حيّة ، فهو أدب عالمي لا يقتصر على أمة دون أخرى ، قد جعل البسمة طريقه ، والضحكة أدواته الفاعلة ، فعبر بها عن كل الحالات النفسية التي تعترض الإنسان . يقول الدكتور محمد فرشوخ: " وقد رافقت الضحكة الإنسان في عمره عبر الزمان ، رافقته تعبر عن حالاته النفسية " <sup>١</sup> .

ولكون السخرية أداة فاعلة في التعبير عن هذه المشاعر الإنسانية بتنوعها فقد صاحبت الإنسان من أقدم العصور يقول الدكتور : السيد عبدالحليم محمد حسين " والسخرية قديمة قدم الإنسان ، لأنها قد تكون ترويحاً عن النفس أو تسرية عن القلب، أو استنكاراً لما يقع ، أو هزءاً وتندراً بالخصم " <sup>٢</sup>

إذاً فالسخرية تنتوع أهدافها بتنوع الحياة المعاشة ، لكن ما لا يقبل الجدل أن أسماها وأعلاها، هو ذلك النوع الراقى الذي يستطيع به المبدع أن يقف على جراحات الأمة ، يطببها ويخرجها مما هي فيه بلمسة ضاحكة تحمل دمعة المعاناة . وهذا أدب لا

<sup>١</sup> الفكاهاة في لبنان دراسة وعرض - دار الفكر اللبناني ص ٢٢

<sup>٢</sup> السخرية في أدب الجاحظ . السيد عبد الحميد محمد حسين ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ن ط ١ سنة

يستطيعه إلا من جرب الحياة ، وخاض غمارها ، فعلمته ودرسته أن يستبدل الابتسامة بالدمعة ، فالسخرية بهذا التصور قدر العظماء من البشر ، العظماء الذين يتلمسون أعماق أمتهم ، ليصلوا إلى قلوبها عن طريق ضحكة ، يرمون من ورائها كشف معاناة هذه الأمة .

ورحم الله أبا الطيب عندما قال :

وكم ذا بمصر من المضحكا                      ت ولكنه ضحك كالبكاء<sup>١</sup>

فالأدب الساخر الذي يسعى إلى الإصلاح وإبراز مشاكل الأمة يتوهج كل ما زادت عليه الضغوط ، ويفرز لنا إبداعاته كلما هبت المعاناة على شاطئه الإبداعي . فالإبداع فيه مقترن بالمعاناة . فالساخرون ضحكوا من معاناتهم ليقفوا مع أمتهم في وجه محنتها، ويغيروا واقعها للأفضل ، لذلك فانتزاع البسمة بدلا من الدمعة للوصول إلى هذه الأهداف أمر صعب يتطلب مقدرة عالية وموهبة جبارة ، لذلك وجدنا أن الأدب الساخر لا يكون في إبداعات المبدع إلا بعد نضوج تجربته الشعرية ، وبعد أن تعلمه الأيام كيف يضحك بدلا من أن يبكي يقول أدونيس : " الأدب الساخر لون صعب الأداء يتطلب موهبة خاصة ونكاءً حاداً وبديهية حاضرة " <sup>٢</sup>

والأدب العربي زاخر بالتجارب الأدبية الساخرة منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، وخير دليل على ذلك أنه قسيم أهم غرض من أغراض الشعير وهو الهجاء . فنجدهم قد سخروا من خلال هجائهم ، إذ تناولوا العادات التي لم يرغبوا فيها من خلال تحقيرها ، والسخرية من صاحبها لكنه كان غير منضبط إلى أن جاء أبو بحر

<sup>١</sup> ديوان المتنبي شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ ص ١٦٧

<sup>٢</sup> مقدمة الشعر العربي ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ط ٣ ، ١٩٧٩ ص ٤١

الأديب الألمعي شيخ الساخرين الجاحظ ، فجعل من السخرية فناً قائماً بذاته من خلال كتاباته الساخرة . لذلك يعد أول من ألف كتاباً مستقلاً خاض من خلاله في النفس البشرية ليخرج من أعماقها أدبا ساخرا ، جعله سوطا يضرب به متناقضات الحياة ، ويخلص به الحياة ممّا يعترّيها من المغالطات والزيف والنفاق .

يقول الدكتور عبدالحليم محمد حسين " كانت السخرية فيما سبق – قبل الجاحظ – نتفاً تأتي عفوية تارة ، ومقصودة لغرض من الأغراض السياسية تارة أخرى دون أن تقوم بالتفاصيل النابضة بالحياة تحليلاً ، وتصويراً ، وتشخيصاً ، واستنباطاً لدخائل النفوس ، وإبرازاً لخصائص المجتمع ..... من هنا كان الجاحظ أول مؤلف في تاريخ الأدب يخص كتباً بأكملها في السخرية تحليلاً ودراسة ، كما فعل في كتابه البخلاء ، ورسائله التربيع والتدوير ."<sup>1</sup> من هنا نرى أن الأدب لم يعرف السخرية التي تغوص في ضمير الأمة العربية ، وتحليل نفسية أبنائها إلا على يد الجاحظ الذي كان أستاذاً لمن جاء بعده من الأدباء الساخرين . هذا في جانب النثر أما في جانب الشعر فقد أشرنا في البداية إلى غرض الهجاء وكيف استخدمته العرب في إظهار العيوب وتخليص المجتمع منها فظهر لنا شعراء أجادوا في استخدامه مثل الحطيئة ، وابن الرومي ، لكن من يصدق عليه أدب السخرية ، أو من استطاع أن يبحر في أدب السخرية هو الشاعر أبو العلاء المعري ، الذي واجه الحياة ومحتنها الدائمة بالسخرية مرة والنفاد بالوعي والحكمة إلى صميمها مرة أخرى . استطاع التخلص من كل

<sup>1</sup> السخرية في أدب الجاحظ ص ٨٧

عوائقه بالسخرية ، فلم تمنعه معاناته من فقد البصر ومرضه ، ونحول جسمه من الإبداع ، بل والتفوق . يقول :

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن السنبأ النبيث<sup>١</sup>

لفقدي ناظري ولزوم بيّتي وكون النفس في الجسم الخبيث<sup>٢</sup>

كل هذه المعاناة لم تمنع الشاعر أن يخلق في سماء الإبداع وهو الذي يملك تلك النفس الطموحة إلى الوصول إلى ذرى العظمة والعلواء .

و إنني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل<sup>٣</sup>

وقد تأثر بأبي العلاء العديد من الشعراء ومن أبرزهم في العصر الحديث هو شاعر اليمن، وابنها البار، الذي عاش تجربة قريبة من تجربة أبي العلاء، إن لم نقل إنه عاش تجربة أشد مضاضة منه، وأظن الاختلاف في شدة المعاناة يعود إلى أن أبا العلاء عاش في عصر يقدر الأدب ، ويرفع من شأن الأديب حتى لو كان هناك بعض الظلم الذي يلحق ببعض الأدباء إلا أن الأديب يشعر ببعض الراحة عند التنفيس عن مشاعره، فيجد من يسمع هذه الشكوى ، ويردد هذا الألم . أما البردوني فقد عاش في زمن أطبق الجهل فيه على الناس ، فقليل ما نرى من يهتم بالأدب ، أو بالعلم بشكل عام لذلك أضيف إلى هموم شاعرنا هم آخر ، ألا وهو عدم وجود من يستمع إليه ، وإلى شكواه ، لذلك قرر وفي إصرار أن يخاطب الشعب بلغة تستميله ، ويستطيع بها

<sup>١</sup> النبيث : المستخرج المظهر يقال : نبثت تراب البئر إذا أخرجته ، ويقال لما يستخرج من ترابها : النبيثة ، والنبيذة .

<sup>٢</sup> المختار من لزوميات أبي العلاء المعري ، شرح واختيار أبو محمد عبدالله البطلوسي ، حققه حامد عبد الحميد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ م ، ص ١١٩

<sup>٣</sup> ديوان سقط الزند ، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون، إبراهيم الإبياري ، حامد عبد المجيد ، بإشراف د / طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٨ هـ ، ج ٢ ص ٥٢٥

التواصل معه والبوح بما يريده من خلالها ، وجد أن اللغة الساخرة هي أقرب طريق إلى قلوب شعب سيطرت عليه الأمية ، فجعل من البسمة طريقاً إلى رفض كل ما يستحق الرفض ، وجعلها أمله في تعديل أوضاع بلده السياسية والاجتماعية ، بلده الذي أفنى عمره مناضلاً في سبيله ، ومجاهداً لرفع رايته بين الأمم ، وشخصية عبدالله البردوني الساخرة . شخصية جاذبة لافتة تغري من عبر رياضها ، وذاق حلو ثمارها أن يوغل حيث أوغلت ، ويبحر حيث أبحرت ، وقد كنت ممن وقع في شباك عالمه الساخر الناضح بالألم ، فلملمت أطراف وعيي لأسجل - ما استطعت - من دوافع هذه السخرية ، وأهم أساليبها .

كما يجدر الإشارة إلى أن الدراسة من المواطن التي ابتعدت عنها أقلام الدارسين إلا القلة القليلة منهم، مدعين أننا في عصر نحتاج فيه إلى الجد بدلاً من الهزل. يقول الدكتور محمد فرشوخ " لكن الطريق شائك والمحطة أقل لمعاناً منها بعد الدراسات الرصينة في النقد والتقويم والتأريخ ، ولست أرهب سؤالاً يطرح: أتختار الأدب الضاحك في وقت نحن أحوج فيه ما نكون إلى الجد؟"<sup>1</sup> .

إذاً لسبب كما يراه الدكتور فرشوخ يعود إلى الدارس نفسه أولاً حيث لا يجد في هذا الأدب إرضاءً لطموحاته ، فالأدب الجاد أكثر نفعاً وإرضاءً لهذه الطموحات كما عبر بقوله (( أقل لمعاناً )) ، وهناك السبب الآخر وهو أن المجتمع الأدبي يعيش فترة جدّ ومعاناة مع مواقف مريرة في الحياة المعاصرة، فلا سبيل لنيل الاحترام عند التطرق إلى دراسات تسعى إلى الضحك وإثارة الفرح والسرور .

<sup>1</sup> أدب الفكاهة في لبنان ص ٧

أما الجواب على التصور الأول فإن جدية الدراسة أو ضعفها لا يعتمد على نوع الأدب المدروس فقد أدرس موضوعات فيها من الهم والحزن والجدة ما يبكي أكثر للناس ضحكاً ، لكنني أتناولها بطريقة تضحك أشد الناس تشاؤماً ، فالدراسة بما تقدمه لا بما تتناوله هذا في رأي البحث . أما الإجابة على التصور الثاني فمن شقين الأول منها أننا بحاجة مع ما يحيط بنا من سوداوية الحياة إلى منابع فرح وسرور تكون بارقة أمل لغد مشرق بحول الله وقوته ، أما الشق الآخر فإن كون الضحك ملازماً للفرح أمر ذهب وقته وأصبح مع ملازمته للفرح يحمل في طياته المعاناة والألم والجراح ، فكما قلنا سابقاً هو ضحك يشبه البكاء . فمثل هذا النتاج الأدبي يستحق الدراسة والتحليل بنفس القدر مع الأدب الجاد لسبب بسيط ألا وهو أن هذا الأدب يمثل الإنسان في جميع حالاته ، بل قد يكون أصدق في تمثيله للحالات الإنسانية من أي أدب آخر .

هذا من جانب ، أما الجانب الآخر فإن الغزارة في النتاج في مجال السخرية يتطلب من الدارسين زيادة اهتمام بهذا النوع الأدبي الذي يبدو من الاستقرار البسيط أنه أصبح ظاهرة أدبية في أغلب كتابات المبدعين من عبدالعزيز البشري و طه حسين مروراً بعبده الله النديم وصولاً إلى عبدالله البردوني ، مما يتطلب منا الوقوف على أسرار هذه الظاهرة ، وبيان الميزة التي اكتسبها المبدعون بطرقهم هذا المجال . يقول الدكتور فتحي محمد عوض : "فهذه دراسة عن الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث حاولت بما أتيت لي أن أكشف عنها القناع ، وقد وقع اختياري على هذا الموضوع - على الرغم من وعورة المسالك إليه واكتئاد السبل فيه ، لأنني

رأيت أنه لون جديد من الدراسة فضلاً عن أنه مهضوم مظلوم لم يتطلع إلى آفاقه إلا نفر قلائل ، اختطوا لأنفسهم منهجاً بعيداً عن الموضوعية " <sup>١</sup> .

ولا شك فإن السخرية هي نوع من نتاج أدب الفكاهة . هذا الأدب الذي لم يحظ باهتمام الدارسين مع كونه ظاهرة فنية لا يكاد يخلو منها أدب مُبدع .

هذا من جانب أما من ناحية أخرى فإن الدراسة سوف تتناول بالبحث قطراً عربياً عزيزاً أهملته أغلب الدراسات العربية ، إن لم نقل إنها تناسته وشغلت عنه ويعود هذا إلى أحد أمرين أولهما : جهل الكثير بما يدور في اليمن من فكر وثقافة والنظر إلى الحركة الأدبية في اليمن بعين الاقتصاد ، فما يعيشه اليمن من فقر لا يسمح بقيام حركة أدبية يمنية ، وهذا خطأ كبير فإن كان اقتصاد اليمن سجل تراجعاً فإن أدبه سجل حضوراً بارزاً على مدى تاريخ هذا القطر .

أما الطرف الآخر فهم يعلمون بوجود مثل هذه الحركة الأدبية لكن لا يؤمنون بجدوى الدراسات التي تتناول الأدب في اليمن فهي أقل من أن تساوي الجهد الذي يبذل فيها ، أو نور العين الذي يفقد من أجلها . وللإجابة على كل من الطرفين يقول هلال ناجي : " ما رأيت من إهمال الباحثين والدارسين للشعر في اليمن الكبرى التي هي في رأيي مهد العرب الحقيقي ، ودراسة الشعر فيها تمثل حلقة مهمة من حلقات الدراسات الشعرية العربية المعاصرة حتى معهد الدراسات العربية العليا الذي دعا العلماء والمفكرين ليحاضروا عن الحركة الشعرية في أوطانهم ، وطبع هذه المحاضرات في كتب مشهورة معروفة قد نسي أو تناسى هذا الجزء الغالي من الوطن العربي وربما

<sup>١</sup> الفكاهة في الأدب العربي ، محمد أمين فرشوخ ، دار الفكر اللبناني ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٠



كان رأي المسؤولين عنه كرأي من سألني ذات يوم : هل ثمة شعر وشعراء في اليمن" <sup>١</sup>.

إذاً ناجي هنا يؤكد غياب الدراسات العربية عن الأدب اليمني ، بل وتجاهله مع ما فيه من جدة وتميز يضاهي الحركة الأدبية في كثير من البلدان العربية.

أما من ناحية الثالثة فإن هذه الدراسة تكتسب أهمية من خلال تسليط الضوء على أدب شاعر يميني مميّز، استطاع أن يأسر بأدبه القلوب ، ويفجر ينابيع إبداعات ملؤها التآلق والنبوغ . إنه شاعر اليمن، ويميني الشاعرية ، إنه عبدالله البردوني ، شاعر لم تمنعه ظروفه من أن يتقدم على كثير من المبدعين الذين لم يخوضوا تجربة الحرمان والظروف القاسية التي عانها البردوني ليكون حقاً مبدع المعاناة. يقول عنه هلال ناجي " شاعر محروم حرمه القدر نعمة البصر وحرمه الهرم الاجتماعي أن يعيش مرفهاً بل حتم عليه أن يتجرع غصص الفقر مع أولاد الفلاحين من أقرانه ، وحرمه - قدر الله <sup>٢</sup> - القلب المغرم والكبد العاشقة، وحرمه الموت من أمه ففقد بفقدائها اليد الحانية والفؤاد العطوف" <sup>٣</sup> ومع كل هذه المعاناة نجده يتألق إبداعاً ، ويتخذ من هذه المصاعب سلماً يرتقي به إلى ذرى المجد والعز ، فشاعر بمنزلة البردوني شاعر يستحق أن تتناوله الدراسات ، بل يستحق من الباحثين الوقوف مع كل صغيرة وكبيرة في حياته ، وفي إبداعه . فالإهمال الذي تعرض له هذا المبدع في جانب تجربته الإبداعية من قبل الدارسين كان محركاً لي في دراستي التي خصصتها للوقوف مع

<sup>١</sup> شعراء اليمن المعاصرون ، هلال ناجي ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٠

<sup>٢</sup> في النص الأصلي ( إله الحب )

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٧٢

أدب هذا الإنسان الفذ الذي رسم بنفسه الشفافة إبداعاً ، وصبغ قلمه المبدع بأحاسيسه المتوجعة .

هذا الإهمال الذي يقول خالد الرويشان عنه " إن ما يحزن حقاً أن الضوء لم يلق بما فيه الكفاية على تجربته الإبداعية " <sup>١</sup> .

ولم يقتصر الإهمال على تجربته الإبداعية ، بل شمل الإهمال أيضاً تجربته الوجدانية والإنسانية ، يقول الرويشان

" وإذا كانت التجربة الإبداعية للبرؤني لم تلق اهتماماً كافياً أو حتى عادياً – وإذا كان ذلك محزناً – وهو محزن بحق – فإن تجربته الإنسانية الفريدة وهي تعانق تجربته الإبداعية لم تلق اهتماماً من أي نوع على الإطلاق " <sup>٢</sup> إن هذا الإهمال قاد البحث ليقف مع هذه التجربة ليستخلص من معينها أصدق المشاعر ، ويرحل مع إبداعاتها إلى أرحب العوالم .

<sup>١</sup> ديوان البردوني الأعمال الشعرية ، إصدارات الهيئة العامة للكتاب - صنعاء ١٤٢٣ هـ ط ١ ، ص ١٣ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٣

## ب / (حياة البردوني).

## ١- اسمه ونسبه :

هو عبدالله بن صالح بن عبدالله بن حسن الشحر بردوني ، أبوه صالح بن عبدالله بن حسن الشحر البردوني ، من قبيلة بني حسن من بني شُدَيْف ، فلاح بسيط ، لا يعرف إلا الحياة الريفية ، وما يعتريها من هموم ، ومصاعب ، جلّ ما يسعى له في حياته تأمين لقمة العيش الشريفة لأهل بيته. وأمه هي نَخلة بنت أحمد عامر من قبيلة بني حسن أيضا ، كانت فلاحا بسيطة ، تهتم بتدبير أمور منزلها ، كما تساعد زوجها في أعمال مزرعته ، صاحبة شخصية قوية ، دفعتها إلى مشاركة الرجال في بعض أمور الحياة ، من كسب ، وصراعات قبلية. يقول الحارث بن الفضل الشميري واصفاً لها :

" كانت ذكية ، فلاحا ، لا تقف عن العمل ، وكانت نصف حارثة ، ونصف ربة بيت ولدت لعم البردوني عبد ر به ابنتين وولدا بخيطة ، وظيفية ، وعبدالله ، واستخلفها أبو شاعرنا بعد موت أخيه ، فأنجبت له ثلاثة أبناء أحمد ، وعبدالله ، والثالث مات في شهر ميلاده ، ولعل السبب أن ميلاده كان بعد سن الحمل ، وقد تعمرت أكثر من تسعين سنة ، وهي حاطبة كالرجال ، وسارية الليل كالرجال ، تشارك في الفتن المحلية مع قبيلتها وكانت شديدة على شاعرنا في صغره ، لكونه يطلب ما لا تمكنها المحاصيل منه " <sup>١</sup>. من خلال هذه الصفات التي كانت تتمتع بها أمه ، يتضح كبيرة الأثر العظيم الذي تركته شخصية أمه عليه ، وكيف أنها كانت الراسم الحقيقي

<sup>١</sup> ديوان عبدالله البردوني ، ص ( ٢٣ ، ٢٤ )

---

لشخصية البردوني ، كما يتضح ذلك الألم الكبير ، والفراغ الهائل الذي سببه فقدها ،  
وتلك المسحة الحزينة التي ارتسمت على صفحات كتاباته بعد فقدانها من خلال هذه  
الجولة السريعة على عائلة البردوني ، نقف على أنه ينتمي لعائلة يمنية بسيطة ، فأبواه  
فلاحان ، وقبيلته يعتصرها الفقر ، وتجتأحها الصراعات القبلية ، كباقي القبائل ، كما  
أن أمه كان لها الدور الكبير في صقل شخصية البردوني لما كانت تتمتع به من  
صفات جعل لها الأثر الكبير والواضح في بناء شخصية شاعرنا فيما بعد .

## ٢- المولد والنشأة :

ولد البردوني في قرية صغيرة أسماها البردّون ، من أعمال مركز الحدّا التابع لمحافظة صنعاء . وقد اختلف في تحديد وقت ولادته ، فقد ذهب الدكتور وليد المشوح إلى أنه ولد في عام ١٩٢٩ م<sup>١</sup> ، بينما يذهب الدكتور محمد أحمد القضاة إلى أنه ولد عام ١٩٢٥ م<sup>٢</sup> ، أما الحارث بن الفضيل الشميري فقد أرجع ولادته إلى ١٩٢٩ م أو ١٩٣٠ م<sup>٣</sup> ، وقد برر هذا التحديد بقوله : " تاريخ ميلاد شاعرنا يمكن تقديره بعام ١٩٢٩ م ، أو ١٩٣٠ م . لا أزيد ولا أقل ، وهذا التقدير القائم على أحداث مثل ضرب الشمال بالطائرات البريطانية عام ١٩٢٨ م ، وغرق ( أحمد البدر ) ابن الإمام ( يحيى ) .<sup>٤</sup> وهذا التحديد أقرب إلى القبول ، لأنه التاريخ الوحيد الذي استدل صاحبه بأحداث تاريخية يمكن قبولها ، وأن تكون شاهلاً على مولد البردّوني ، ومع هذا فإن الجزم بتاريخ بعينه أمر لا يمكن تحقيقه ، لأنه حتى هذه الشواهد التي ذكرت ، هي أمور تاريخية ، وأحداث تهم اليمنيين بكل فئاتهم ، فلا غرابة أن نجد جل الشعب يتحدث عنها ، إما عن مشاهدة ، أو نقل عمّن عاصرها .

نشأ البردّوني في عائلة فقيرة ، جلّ ما يشغلها هو تأمين لقمة العيش الكريمة ، ومصارعة الحياة القاسية ، للوصول إلى تربية الأبناء وتأمين القدر الكافي مما يسد رمقهم ، وحاجياتهم الأساسية . وفي حديث والدته عندما سئلت عن مولد البردّوني

<sup>١</sup> الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني ، وليد المشوح ، كتاب الرياض ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ٢٠٠٠ م / ص ٢٠

<sup>٢</sup> شعر عبدالله البردوني ، محمد القضاة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩٧ م ، ط ١ / ص ٢٧

<sup>٣</sup> ديوان عبدالله البردّوني / ص ٢٤

<sup>٤</sup> نفس المرجع السابق / ص ٢

فقلت : " أصبنا ثلاث مرات ، لم ينزل المطر ، مات الجمل ، ولد عبدالله " <sup>١</sup> ، من خلال هذه الألفاظ نقف على حجم المعاناة التي كانت تثقل كاهل هذه الأسرة ، فقد نزلت بهم ثلاث مصائب متتالية ، لم ينزل المطر ، الذي تقوم عليه حياتهم الزراعية، والذي يعد أكبر هدية من الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الفقراء ، ليتمكنوا من تأمين حياتهم من خلال ما ينتجونه من أراضيهم ، فإن أجذبت السماء ، وعمّ القحط فهو عام شدة وكرب ، والمصيبة الثانية هي فقد الجمل ، المعين الثاني بعد الله ثم الأرض على تحمل نوائب الزمان ، ثم تأتي المصيبة الثالثة ، وهي ولادة عبدالله لينضم إلى الأسرة هم جديد ، فهذا يعطيك مؤشراً حقيقياً لما كانت تعيشه الأسرة من حالة فقر ، حيث يعد المولود مصيبة تزيد الهموم هما جديدا .

إنّ ولد عبدالله " لينضمّ إلى قافلة الأطفال البؤساء من أقرانه " <sup>٢</sup> ، لكن القدر لم يترك البردوني يعيش حتى حالة الفقر بسعادة ، إن كان فيها شيء من السعادة ، بل نجده ينغص حياته المنغصة ببلاء جديد ، لقد فقد شاعرنا بصره في زيارة من زيارات مرض الجدري المتعددة لليمن ، والتي كان يحصد خلالها العديد من أرواح أبناء اليمن ومن ينجو من الموت لا بد أن يترك له الجدري أثراً يذكره به ، وكان نصيب شاعرنا من هذه الزيارة ، أن خلد الجدري ذكره على عيني البردوني ، ليسلبه حبيبته ، ويجعلها ذكرى مريرة قاسية عاش معها البردوني تجربة حرمان جديدة ، أضيفت إلى تجربته الأولى مع الفقر ، فلم يعش شاعرنا جمال الطفولة ، وأحلامها ، وإنما عاش هموم الفقر ، والعمى كما يصف هو هذه المعاناة قائلاً : " للطفولة في حياة كل إنسان

<sup>١</sup> الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني / ص ٢٠

<sup>٢</sup> المرجع السابق / ص ٢٠

ذكرى جميلة ولكنها بالنسبة لي كانت مرّة ، وقاسية ، لأنني حملت مصيبة العمى وأنا في ريعان الطفولة " <sup>١</sup> ، ولا نستغرب من البردوني وصفه للعمى بالمصيبة ، لأنه حقيقة مصيبة ، فالمجتمع القبلي الذي يعيش فيه البردوني ، وتقاليد هذا المجتمع وما فيه من صراعات ، وثورات ، يحتاج فيها الأب إلى ولد سليم يكون عوناً لأبيه على نوائب الزمان، ولكن ماذا يصنع هذا الأب بهذا الابن ؟ وماذا يستفيد منه ؟ فهو في حاجة إلى من يعينه ، ويأخذ بيده ليسير في مجتمع لا يرحم الأسوياء فكيف بمن هذا حاله، لذلك كان بحق " حادث العمى مأثماً صاخباً في بيوت الأسرة ، لأن ريفه يعتقد بالرجل السليم من العاهات ، فرجاله رجال نزاع وخصام فيما بينهم ، فكل قبيلة محتاجة إلى رجل القراع ، والصراع الذي يقود الغارة ويصد المغير " <sup>٢</sup> ، الكل ظن أن حياة هذا الطفل قد انتهت ، وأسلمه قدره إلى هاوية الهلاك ، فهو سيعيش كلاً على أسرته ، إلى أن يقضي الله أمراً من عنده ، لكن البردوني رفض هذا الواقع، بل وتحده بكل إرادة وعزيمة ، وقرر ان يعيش حياته كأبي فرد سوي ، أراد البردوني كسر قاعدة الإعاقة التي حاصره بها المجتمع ، ليثبت للمجتمع أن قيمة المرء ليست في اكتمال خلفته الجسدية ، وخلوه من كل الإعاقات ، إنما بما يمتلكه من إرادة ، وما يقدمه من خدمة لمجتمعه، وما يشع منه من فكر وعلم . يقول واصفاً هذه المرحلة " أذكر أنني كنت أروح إلى هذه العلامة <sup>٣</sup> ، وأعود منها كل يوم وقد تملكني الخوف من المواشي الكثيرة، والأبقار الناطحة ، كنت في ذلك الوقت لا أعترف بأبي أعمى

<sup>١</sup> المرجع السابق / ص ٢١

<sup>٢</sup> شعر عبدالله البردوني / ص ٢٧

<sup>٣</sup> ما يسمى بالكتاب .

على الإطلاق، فرحت أرتطم في صخرة ، وأسقط في هوة ، وأقوم من عثرتي ، ومع هذا احاول أن أركض كلسديان ، وألعب ، وأجاري المبصرين من أترابي ، أو من أبناء جيلي في المدرسة ، أوفي الشارع ....

وهكذا تجاوزت العمى على الرغم مما كنت الأقي من أوجاع في القدمين ، أو من كدمات في الرأس أو من شروخ في الجبهة " ١

تجاوز البردوني محنته بما يمتلكه من إرادة ، وتصميم على الحياة ، فتلك المحاولات لمنافسة أقرانه لم تكن في الحقيقة إلا محاولة إثبات لذّفس أنه قادر، وتلك التحديات للأقران لم تكن حقيقتها إلا تحدي النفس ، وإثباته لها بأنه يستطيع أن يكون كغيره ، وتلك النطحات لصخور لم تكن في جوهرها إلا تصميماً ، وإرادة لكسر كلّ ما يحيط به من تصوّف في العقول ، وتجلّد في الآراء ، والأفكار القبلية ، هكذا أراد أن يقول البردوني لمجتمعه مع كل سقطة كان يعاني ألمها ، وهكذا أراد البردوني أن ينظر إليه أفراد قبيلته ، فرد فاعل في بناء مجتمعه ، وليس إنساناً يُرمق بعين الرأفة، والرحمة . قال لهم : إن الإرادة الحقّة لا يقف أمامها أي عائق ، وإنّ الإنسان يستطيع بإرادته كسر كل ما يواجهه في الحياة ، فلا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .

١ الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني / ص ٢



## رحلته العلمية :

بدأ البردوني رحلته العلمية في قريته البرون ، حيث استهلّها بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن في المعلّمة على يد الشيخ ( يحيى حسين القاضي ) ، ثم أنتقل بعد ذلك إلى قرية المحلّة في ناحية عنس جنوبي شرقي زمار ، وأكمل فيها حفظ القرآن ، ويقول عن هذه المرحلة : " ثم انتقلت إلى قرية أخرى من منطقة مجاورة اسمها قرية (المحلّة) وهي من قرى (عنس)¹ وأنهيت فيها التعليم الابتدائي ، وهو عبارة عن حفظ الأناشيد ، وحفظ القرآن عن ظهر قلب . " ² يدل حديثه هذا على أن الفترة الثانية من حياته العلمية تمتاز عن الأولى بأنها كانت نظامية ، لأنه ذكر فيها أنه أنهى فيها الدراسة الابتدائية ، كما أنها كانت دراسة مقننه ، يجتازها الطالب بعد اجتياز مقررات محددة ، وقد ورد تحديد لبعض هذه المقررات في حديثه ، عندما أشار إلى الأناشيد ، وحفظ القرآن ، ثم انتقل بعدها إلى مدينة زمار ليلتحق بالمدرسة الشمسية ³ والتي أكمل فيها دراسة العلوم الشرعية ، من علوم فقه وأصول الدين ، والتفسير ، وعلوم اللغة العربية ، من نحو ، وصرف ، وبلاغة ، وقد كان لما تلقاه في هذه المدرسة أثر كبير على حياته العلمية بعد ذلك ، حيث استفاد فائدة كبيرة من هذه العلوم في أيامه المستقبلية ، لكن في هذه الأثناء حصل حادث كاد يطوح بحياة شاعرنا ، ففي عام ١٩٤٩ م حدث انقلاب فاشل سجن البردوني على إثره تسعة أشهر خرج بعدها لمواصلة مسيرته العلمية ، لكن هذه المرة أراد وجهة أكثر ألقا ، ومدينة

¹ هكذا وردت في المصدر .

² الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني / ص ٢٢

³ عبارة عن جامع وسم باسم الإمام شمس الدين بن شرف الدين .

يجد فيها نفسه بجوار الأدباء والعلماء لينهل من مورد صاف، ويقتبس من فكر وقاد ، فيمم وجهه هذه المرة تجاه صنعاء ، ليلتحق بدار العلوم ، وفي صنعاء وجد مبتغاه فقد شعر عند وصوله إليها ، ودراسته فيها " أن صنعاء مختلفة بأهلها ، وبحياة العلم فيها والمجالس الثقافية وفرص اللقاء بين المثقفين والمؤرخين والكتّاب والشعراء ، وكانت زاخرة بالشعر والشعراء ، فيمكن أن أقول إن بدايتي الحقيقية مع الشعر كانت من مدينة صنعاء منذ عام ١٩٤٩م وحتى الآن ... " <sup>١</sup> يكشف في هذا الحديث ما وجده من تغير في حياة صنعاء لم يكن يجده في مسيرته الأولى لذلك كان بزوغ نجمه في هذه الأيام ، وفي دار العلوم أكمل البردوني مسيرته العلمية ليتخرج من شعبة تسمى ( ما هي الغاية ؟ ) ويقصدون بالغاية هي إتمام اثني عشر عاما من الدراسة المتواصلة كان يدرس فيها الطالب القرآن والتفسير وعلم البلاغة وعلم النحو و علم الصرف <sup>٢</sup> ليتخرج منها عام ١٩٥١ م .

لقد استطاع البردوني أن يكمل دراسته وأن ينال هذه الدرجة العلمية ، ويتفوق على أقرانه، ويجتاز كما قلنا سابقا مرحلة العجز ، ليثبت للجميع أنه قادر على صنع الذات، وأن الإرادة الصادقة طريق النجاح والتفوق ، والإبداع ، لقد ضرب البردوني مثالا حيا في التصميم ، والعزيمة يُدعى به فكان حقا رمزا في الصبر و المثابرة للوصول إلى الهدف والغاية ، لقد وصل الى غاية نفسه قبل أن يصل إلى ما هي الغاية ؟ لقد أعاد إكمال بناء روحه قبل أن يكمل دراسته ، لقد ولد البردوني ولادة حقيقية عام ١٩٥١ م . وعن هذه الرحلة العلمية يقول البردوني : " دخلت كتّاب القرية وكان

<sup>١</sup> الصورة الشعرية عند عبدالله البردوني / ص ٢٣

<sup>٢</sup> نفس المرجع / ص ٢٣

يسمى معلّمة حيث حفظت النصف الأخير من القرآن، ثم انتقلت إلى القرية المجاورة، فأكملت فيها حفظ القرآن، وكانت الدراسة فيها أكثر انتظاما من معلّمة البردّون، وعندما انتقل معلمي الشيخ محمد الصوفي إلى مدينة دمار، نقلني معه متحملا مسؤولية تعليمي ، دون أن يتحمل مسؤولية عيشي ، ثم انتقلت إلى جامع المدرسة الشمسية ، وفيه قطعت شوطا في دراسة النحو والفقه ، وأصول الدين ، وعلوم البلاغة ، والصرف ، ثم التحقت بدار العلوم سنة ١٩٤٩ م ، وتخرجت منها سنة ١٩٥١ م " ١

### الأعمال التي شغلها البردّوني :

تخرج البردّوني ليبدأ مسيرة حياة علمية وعملية فهذا الأعمى لم يتخرج ليبقى قعيدا في بيته ، بل ليشارك في مسيرة بناء بلده فكريا وعلميا ، فقد عمل محاميا ، وقاضيا ، ثم أستاذا للأدب العربي في دار العلوم ثم رئيسا لاتحاد الأدباء في اليمن ، كما عمل موظفا في إذاعة صنعاء .

### نتاج البردّوني الإبداعي شعرا ونثرا :

لم يقتصر نتاج البردّوني على الشعر فقط وإنما خاض غمار التجربتين الشعرية والنثرية ، إلا أنه اشتهر في تجربته الشعرية أكثر من النثرية ، لذلك سنقسم نتاج

البردّوني إلى قسمين :

أ/ الدّنتاج الشعري :

فقد صدر لشاعرنا اثنا عشر ديوان شعر هي :

١ شعر عبدالله البردوني / ص ٢٨

- ١ - من أرض بلقيس .
- ٢ - في طريق الفجر .
- ٣ - مدينة الغد .
- ٤ - لعيني أم بلقيس .
- ٥ - السفر إلى الأيام الخضر .
- ٦ - وجوه دخانية في مرايا الليل .
- ٧ - زمان لا نوعية .
- ٨ - ترجمة رمزية لأعراس الغبار .
- ٩ - كائنات الشوق الآخر .
- ١٠ - رواع المصابيح .
- ١١ - جوّ اب العصور .
- ١٢ - رجعة الحكيم زيد<sup>١</sup> .

وقد جمعت هذه الدواوين كاملة في عمل تكفلت به الهيئة العامة للكتاب بصنعاء تحت

عنوان ( ديوان عبدالله البردوني الأعمال الشعرية ) وذلك في مجلدين .

ب / **ادّتاچ النثري** : لقد تنوع نتاج عبدالله البردوني النثري ، فمن دراسات تقوم

حول الشعر ، إلى دراسات تهتم بالسياسة ، إلى دراسات متنوعة في علوم متفرقة ،

وأبرز هذه الأعمال هي :

<sup>١</sup> ديوان عبدالله البردوني / ص ٢٦ - ٢٧

- ١ - رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه .
- ٢ - قضايا يمنية .
- ٣ - فنون الأدب الشعبي في اليمن .
- ٤ - اليمن الجمهوري .
- ٥ - الثقافة الشعبية ( تجارب وأقويل يمنية ) .
- ٦ - الثقافة والثورة .
- ٧ - من أول قصيدة إلى آخر طليقة ( دراسة في شعر الزبييري وحياته ) .
- ٨ - أشتات<sup>١</sup> .

## وفاته :

توقف قلب البردوني النابض بالحياة في الساعة الحادية عشرة صباحا ، من يوم الاثنين، الموافق للثلاثين من شهر أغسطس، سنة ١٩٩٩م . الموافق ١٨ / ٥ / ١٤٢٠ هـ . عاش البردوني فيها حياة فكر وأدب ، وكان بحق شمعة أضاءت في دياجير اليمن في عصوره السوداوية ، وكان رمزا للأديب المكافح ، والشاعر المناضل ، الذي قدم نفسه فداء لوطنه .

---

<sup>١</sup> نفس المرجع / ص ٢٧

الفصل الأول  
حان ما حان سرنا  
والأول  
حان ما حان سرنا

## الفصل الأول

### المبحث الأول / معنى السخرية :

#### ١ - السخرية في اللغة :

قبل أن نتجه إلى المعنى الاصطلاحي لكلمة السخرية ، كان من الضروري الوقوف على معناها في اللغة ، حيث ذكر الزمخشري في باب سخر: "سَخِرَ فلان سُخْرَةً سُخْرَةً يُضْحَكُ منه الناس ويضحك منهم ، وسَخِرْتُ منه واستسخرتُ ، و اتخذوه سُخْرِيًّا ، وهو مَسْخَرَةٌ من المَسَاخر ، وتقول زُبَّ مَسَاخِرَ يعدها الناس مفاخر . وسخَّرَ الله لك ، وهؤلاء سُخْرَةٌ للسلطان يَتَسَخَّرُهم : يستعملهم بغير أجر .

ومن المجاز : مواخر سواخر : سفن طابت لها الريح . ويقولون : أنا أقول هذا ولا أسخرُ أي ولا أقول ما هو حقّ ، قال الرّاعي :

تغير قومي ولا أسخر وما حُمّ من قدر يُقدر<sup>١</sup> "

وورد في لسان العرب سَخِرَ منهُ و به سَخِرًا و سَخِرًا و مَسْخَرًا و سُخْرًا ، بالضم ، وسُخْرَةً و سَخِرِيًّا و سُخْرِيًّا و سُخْرِيَّةً : هزىء به ، ويروى بيت أعشى باهلة على وجهين :

إني أتنتني لسان ، لا أسر بها من علو ، لا عجب منها ولا سُخْرُ

ويروى ولا سَخِرُ ، قال ذلك لما بلغه خبر مقتل أخيه المنتشر ، والتأنيث للكلمة . قال الأزهري : وقد يكون نعتا هقوللهم بنُخْرِيٍّ و سُخْرِيَّةً ، من ذكّر قال سخريا ،

<sup>١</sup> أساس البلاغة / مادة السين مع الخاء / ص ٣٦٥

ومن أدت قال سخرية . الفراء يقال سَخِرْتُ منه ، و لا يقال سَخِرْتُ به . قال تعالى :  
 لا يَسْخَرُ قوم من قوم . وسَخِرْتُ من فلان هي اللغة الفصيحة . وقال تعالى :  
 فَيَسْخَرُونَ منهم سَخِرَ اللهُ منهم ، وقِيلَ تَبَسَّخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُهُمْ منكم ، وقال  
 الراعي:

تغير قومي ولا أسْخَرُ      وما حُمَّ من قدر يُقدر

قوله أسخر أي لا أسخر منهم . وفي اللسان وقال بعضهم : لو سخرت من راضع  
 لخشيت أن يجوز بي فعله . الجوهرى : حكى أن يزيد سَخِرْتُ به ، وهو أردأ اللغتين .  
 وقال الأخفش سَخِرْتُ منه و سَخِرْتُ به ، وضحكت منه وضحكت به ، وهزئت  
 ، وهزئتمنبه ، كلّ يقال ، والاسم السُخْرِيَّةُ والسُخْرِيُّ والسُخْرِيُّ ، و قرىء بهما  
 قوله تعالى : ليتبخضهم بعضا سُخْرِيًّا . وفي الحديث : أتسخر مني وأنا الملك  
 أي أتستهزي بي ، وإطلاق ظاهره على الله لا يجوز ، وإنما هو مجاز بمعنى :  
 أتضعني فيما لا أراه من حقي ؟ فكأنها صورة السخرية . وقوله تعالى : وإذا رأوا آية  
 يستسخرون ، قال ابن الرماني : معناه يدعو بعضهم بعضا إلى أن يسخر ،  
 كيسخرون ، كعلا قرنه واستعلاه . وقوله تعالى : يستسخرون ، أي يسخرون  
 ويستهنئون ، كما تقول : عجب وتعجب واستعجب بمعنى واحد .

والسُخْرَةُ : الضحكة ورجل سُخْرَةَ : يسخر بالناس ، وفي التهذيب : يسخر من الناس .  
 وسُخْرٌ وَسُخْرٌ منه ، وكذلك سُخْرِيٌّ وَسُخْرِيَّةٌ ، من ذكّر كسر السين ، ومن أنثه  
 ضمها ، و قرىء بهما قوله تعالى : ليتخذ بعضهم بعضا سخريا .



والسُخْرُورَةُ مَا تَسَخَّرَتْ مِنْ دَابَّةٍ أَوْ خَادِمٍ بِلَا أَجْرٍ وَلَا ثَمَنٍ . وَيُقَالُ سَبَخَرَ نُهُ بِمَعْنَى سَخَّرْتَهُ أَي قَهَرْتَهُ وَذَلَّلْتَهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، أَي ذَلَّلَهُمَا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مَسَخَّرَاتٍ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : جَارِيَاتٌ مَجَارِيهُنَّ وَسَخَّرَهُ تَسْخِيرًا : كَلَّفَهُ عَمَلًا بِلَا أَجْرِهِ ، وَكَذَلِكَ تَسَوْخِرُهُ يُسَخِّرُهُ سَخْرًا وَسُخْرِيًا وَسَخَّرَهُ : كَلَّفَهُ مَا لَا يَرِيدُ وَقَهَرَهُ . وَكُلُّ مَقْهُورٍ مَدْبُورٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ مَا يَخْلُصُهُ مِنَ الْقَهْرِ ، فَذَلِكَ مَسَخَّرٌ . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ : تَسْخِيرٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ تَسْخِيرُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لِلْأَدَمِيِّينَ ، وَهُوَ الْإِنْتِفَاعُ بِهَا فِي بُلُوغِ مَنَابِتِهِمْ وَالْإِقْتِدَاءُ بِهَا فِي مَسَالِكِهِمْ ، وَتَسْخِيرٌ مَا فِي الْأَرْضِ تَسْخِيرُ بَحَارِهَا وَأَنْهَارِهَا وَدَوَابِّهَا وَجَمِيعِ مَنَافِعِهَا ، وَهُوَ سُخْرَةٌ لِي وَسُخْرِيٌّ وَسِخْرِيٌّ ، وَقِيلَ : السُّخْرِيُّ بِالضَّمِّ ، مِنَ التَّسْخِيرِ وَالسَّخْرِيُّ بِالْكَسْرِ ، مِنَ الْهُزَاءِ . وَقَدْ يُقَالُ فِي الْهُزَاءِ بِسُخْرِيٍّ وَسِخْرِيٍّ ، وَأَمَّا مِنَ السُّخْرَةِ فَوَاحِدُهُ مَضْمُومٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسُوكُمْ ذِكْرِي ، فَهُوَ سُخْرِيًّا وَسِخْرِيًّا ، وَالضَّمُّ أَجُودٌ .

أَبُو زَيْدٍ بِسِخْرِيًّا مِنْ سَخَّرَ إِذَا اسْتَهْزَأَ ، وَالَّذِي فِي الزَّخْرِفِ : لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ، عَبِيدًا وَمِثْلًا وَأُجْرَاءً . وَقَالَ : خَادِمٌ سُخْرَةٌ وَرَجُلٌ سُخْرَةٌ أَيْضًا : يُسَخَّرُ مِنْهُ ، وَسُخْرَةٌ ، بِفَتْحِ الْخَاءِ ، يَسَخَّرُ مِنَ النَّاسِ . وَتَسَخَّرَتْ دَابَّةٌ لِفُلَانٍ أَي رَكَبَتْهَا بِغَيْرِ أَجْرٍ وَأَنْشُدُ :  
سواخر في سواء اليم تحتفز

ويقال سَخَّرْتَهُ بِمَعْنَى سَخَّرْتَهُ أَي قَهَرْتَهُ . وَرَجُلٌ سُخْرَةٌ يُسَخَّرُ فِي الْأَعْمَالِ وَيَسَخَّرُهُ مِنَ قَهْرِهِ . وَسَخَّرَتْ السَّفِينَةُ : أَطَاعَتْ وَجَرَتْ وَطَابَ لَهَا السَّيْرُ ، وَاللَّهُ

سخرها تسخيروا. والتسخير : التذليل . وسفن سواخر إذا أطاعت وطاب لها الريح . وكل ما ذل وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد ، فقد سُخر لك <sup>١</sup> . وفي نفس المعنى دار صاحب التاج ، فجل مادة ( س ، خ ، ر ) تدور على معنى الضحك والتندر ، والهزاء ، والعجب من الآخر <sup>٢</sup> . من خلال هذه الجولة البسيطة في المعاجم ، يتضح أن دوران كلمة السخرية في جميع معانيها يرجع إلى الاستهانة ، والاستهزاء والانتقاص من القدر . حتى عندما لا تعطي الكلمة المعنى مباشرة فإننا نجده يكون ضمنا في أي معنى تدخله (س ، خ ، ر)، فلو رجعنا إلى معنى التسخير في قوله تعالى ( ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات و ما في الأرض ) <sup>٣</sup> نجد أنه ذكر أن معناها هو تذليل ما في السموات وما في الأرض ، وإخضاعه للإنسان ليكون تحت تصرفه ، وفي خدمته ، وعندها نجد أن معنى التذليل و التحقير يطل برأسه من خلال مفردات هذه الكلمة ولو من مكان بعيد . وهذا ما يشير إليه ابن جني عندما تحدث عن الاشتقاق الصغير قائلا ( كأن تأخذ أصلا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغته ومبانيه . وذلك كتركيب ( س ل م ) فإنك تأخذ منه السلامة في تصرفه ) <sup>٤</sup> . إذا فمادة ( س خ ر ) في دورانها تعطي دلالة واضحة على معنى الانتقاص والاحتقار والذلة .

<sup>١</sup> لسان العرب / المجلد الخامس / ص ٢٠٢ / ٢٠٣

<sup>٢</sup> انظر تاج العروس من جوهر القاموس / باب س خ ر / ص الجزء الثالث ص ٢٦٠

<sup>٣</sup> سورة لقمان آية ٢٠ .

<sup>٤</sup> الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد انجار ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ج ٢ ص

وهو المعنى المباشر والمتأول لدوران هذه المادة. فإذا كان معنى السخرية يدور حول الاستهزاء والانتقاص والذلة، فما علاقتها بالهجاء؟

إذا عرفنا أن الهجاء هو فن الشتم والسباب<sup>١</sup> أو كما قال قدامة بن جعفر إنّه ضد المديح<sup>٢</sup> وهذا يعني الانتقاص والذم لذلك. وذكر محمد حسين أنّه أدب غنائي يصور عاطفة الغضب، أو الاحتقار، والاستهزاء<sup>٣</sup> ويقول قحطان التميمي: إنّه تعداد للمعائب وكشف لبشاعة الرذائل والنقائص في الفرد والمجتمع<sup>٤</sup> والهجاء غرض من أغراض الشعر فهو قسيم المديح فلا عجب أن يفرد له المؤلفون مكاناً خاصاً به، ويتحدثوا عنه.

والسخرية أداة من أدوات الهجاء، وذلك لما تسببه من ألم في نفسية المهجو، فالعلاقة بين السخرية، والهجاء، هي علاقة الجزء بالكل، إذ السخرية لم تكن يوماً غرضاً شعرياً مستقلاً عن الهجاء، إنما هي أسلوب في الأداء الهجائي، تطور بتطور الهجاء، لأنها أداة من أدواته وجزء منه<sup>٥</sup> ومع أنها جزء من فن الهجاء، إلا أن لها خصائصها، وطبيعتها، التي تميزها عن غيرها من فنون الهجاء، إذا صح التعبير

" فالسخرية فن له خصائصه وطبيعته، إلا أنه لا يخرج عن كونه هجاء "<sup>٦</sup>

فوجب عندها أن تحتاج السخرية إلى " مواهب متعددة ومقدرة فائقة في اختيار الموضوع وصياغته، وطريقة تقديمه، وأسلوب المعالجة "<sup>١</sup> وقد فطن ابن رشيق

<sup>١</sup> الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد حسين، بيروت، دار النهضة العربية، ١٣٨٩ م، ط ٣ ص ٥

<sup>٢</sup> نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ص ٢٩

<sup>٣</sup> الهجاء والهجاءون في الجاهلية / ص ١٦

<sup>٤</sup> اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، قحطان رشيد التميمي، بيروت، دار المسيرة / ص ١٢

<sup>٥</sup> المرجع السابق ص ١٢

<sup>٦</sup> الهجاء الجاهلي صورته وأساليبه الفنية، عباس بيومي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥ م ط ٣

لهذا المعنى الدقيق عندما قال : " خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها " <sup>٢</sup> . وهذا يدل على أن صاحبه كان له طريقته المميزة ، وأسلوبه الخاص . فالسخرية إذا هي السلاح الفاعل للهجاء ، وبدونها يتحول الهجاء من فن وإبداع إلى مجرد تراشق ، وشتم ، وسباب . وهذا ما أكده أبو الحسن الجرجاني عندما قال " فأما الهجو فابلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ، ولصوقه بالنفس ، فأما القذف ، والإفحاش ، فسباب محض ، وليس لشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم " <sup>٣</sup> وقد فطن الشعراء لهذا الأمر الدقيق منذ القدم فمне قول زهير :

وما أدري وكنت أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فإن تكن النساء مخبئات فحق لكل محصنة هداء <sup>٤</sup> °

وعلق عليه ابن رشيقي بقوله : " وإن هذا عندهم لمن أشد الهجاء وأمضه " <sup>٦</sup> ومنه ما ذكره أيضا ابن رشيقي قال : " عندما قدم النابغة الذبياني بعد وقعة حدي سأل بني ذبيان ما قلت لعامر بن الطفيل ، وما قال لكم ؟ فأنشده ، فقال : أفحشتم على الرجل ، وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ، ولكني سأقول ، ثم قال :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل السباب

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٨٢

<sup>٢</sup> العمدة في محاسن الشعر وآدابه ص ١٨٩

<sup>٣</sup> الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٣٠

<sup>٤</sup> العمدة في محاسن الشعر ص ١٩٠

° الهداء مصدر قولك هدى العرو وسرو هدى العروس إلى بعلها هداء وأهداها هتداها؛ الأخيرة عن أبي علي؛ وأنشد: كذبتم وبيت الله لا تهتدونها

وقد هديت إليه؛ قال زهير:

فإن تكن النساء مخبئات فحق لكل مُحْصِنَةٍ هداء

<sup>٦</sup> العمدة في محاسن الشعر ص ١٩٠

فكن كأبيك أو كأبي براء	تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبك طائشات	من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلم أو تناهى	إذا ما شبت أو شاب الغراب
فإن تكن الفوارس يوم حدي	أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد	ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه، وقال: ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة،

جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً ، وتهكم بي " ١ .

من هنا يظهر أثر السخرية على النفس فهي أشد ألماً ، وأعمق تأثيراً من مجرد كيل الشتائم ، كما أنها تحتاج إلى الفارس الذي يستطيع أن يعلو صهوتها ، وإلى المبدع الذي يجيد أن يتعامل مع لطائفها ، "السخرية فن لا يتقنه ، ولا يجيده إلا الأذكياء البارعون في التعبير عن الكلمة بحذق ولباقة وذكاء ، بينما الهجاء الخالص لا يعوزه التركيز على الكلمات، أو اختيار المعاني الناعمة الجارحة في آن واحد ، كما هو الحال في السخرية" ٢ لذلك وجدنا أثر قول النابغة على عامر ، ولم نجد نفس الأثر مع ما قاله الآخرون ، مع وصف النابغة له بالفحش ، فمجرد رصف الشتائم، والسباب الكل قادر عليه ، أو لنقل كما سبق لا يكون لشاعر فيه ميزة إلا بإقامة الوزن ، وانتظام القافية ، لأنه إن دققنا فيه ، لا يحتاج إلا إلى نفس دنيئة ، أو موقف منفعل ، لا يضبط المرء فيه نفسه ، فتنهال الكلمات دون وعي ، أو إدراك ، وهذا لا يكون في

السخرية

١ المرجع السابق ص ١٩٠

٢ أدبنا الضاحك ، عبد الغني العطري ، دار البشائر للطباعة والنشر ، دمشق ١٤١٢ هـ ، ط ٢ ص ١٣١

" لأن الحديث الساخر ينبغي ألا يكون محتداً ثائراً ، وألا يكون سيء اللفظ بذنباً " <sup>١</sup>  
في النهاية يقف البحث على أن السخرية هي الأداة الأكثر مضاء من أدوات الهجاء ،  
والفن الأعلى رسوخاً من فنون الهجاء ، لما تترك من أثر عميق ، وما تحدثه من هزة  
قوية في نفسية المهجو ، مما يجعل أثرها يستمر ، ومفعولها أقوى ، من مجرد كيل  
السباب والشتائم . إنَّ أثر الهجاء مهما كان بالغاً فإن أمره إلى زوال ، وهو من عقول  
الناس في ذهاب كما قال ابن رشيق " فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس  
علماً ، وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض " <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري / ص ٣٥٦  
<sup>٢</sup> العمدة في محاسن الشعر وآدابه ص ١٩١

## ٢ - الاستعمال الأدبي للسخرية :

للقوف على الاستعمال الأدبي للسخرية ، ينبغي أولاً أن نقف على تعريف لهذا الفن ، ونحن عندما نصفه بأنه فن ، فإننا نقرّ بصعوبة التعريف من أول وهلة ، " لأن الفنون أعمال نابضة بالحياة ، لا يمكن تعريفها ، والإحاطة بها ببعض ألفاظ قاصرة ، إذ الفن حي متحرك ، والألفاظ مهما تكن ، جامدة ساكنة " <sup>١</sup> ، وقد صرح الفيلسوف ( أدلر ) عند حديثه عن السخرية ، بصعوبة هذا التعريف عندما قال : " ولست مقتنعا إلى اليوم بأي تعريف لها فيما قرأته إلى الآن " <sup>٢</sup> ، وعلى غرار هذا المنوال اتجه سليمان الشبانة قائلاً: " رغم كثرة استخدام لفظة السخرية ، وجريانها على الألسنة ، وورودها في القرآن الكريم في أكثر من إحدى عشرة آية إلا أنها لم تحظ بتعريف اصطلاحى جامع مانع " <sup>٣</sup> . مع هذا التوضيح لصعوبة الوقوف على تعريف شاف للسخرية ، لا يمنع الأمر من أن نتلمس طريق من حاول أن يجتهد ليقف على تعريف للسخرية ، والذي حاول صاحبه أن يقف من خلاله على حقيقة السخرية ، مثنين له جهده ، واجتهاده في الوصول إلى المعرفة . وأول ما سنقف عليه ما ورد في كتاب الكشاف في تعريفه عن تفسيره لمعنى الاستهزاء ، لأننا في السابق قلنا إنّ من أهم معاني السخرية الاستهزاء ، ومن خلال هذا المنطلق لا ضير أن نتعرف على تفسير الزمخشري للاستهزاء بالمنافقين ، لأنه قد يكون فيه ما ينفع للوقوف على تعريف للسخرية ، من خلال أهم معانيها ، إذ يقول : " فما معنى استهزائه بهم ؟ قلت معناه

<sup>١</sup> السخرية في الأدب العربي ، نعمان طه ، القاهرة ، دار التوفيق ، ١٣٩٨ هـ ، ط ١ ، ص ١٣

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٥

<sup>٣</sup> الرسوم الساخرة في الصحافة ، سليمان محمد الشبانة ، الرياض ، شركة العبيكان للطباعة والنشر ص ٩

إنزال الهزاء ، والحقارة بهم ، لأن المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والوَرِيَّة ممن يهزأ به ، وإدخال الهوان ، والحقارة عليه .<sup>١</sup>، والملاحظ على هذا التعريف ، أنه لم يخرج عن المعنى اللغوي لدلالة السخرية ، ولم يرتق إلى مستوى فن السخرية ، إذ إنَّ السخرية ليس الهدف منها إظهار الذلة ، والحقارة فقط ، فهي وإن أرادت ذلك ، إلا أنها تتجاوزها إلى فضاء أرحب ، ومجال أوسع من تقيدها بمجرد دلالتها اللغوية . وإذا وقفنا على ما نقله الألوسي عن القرطبي في تعريفه للسخرية نجدها عنده " الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب ، والنقائص ، بوجه يضحك منه ، وقد تكون بالمحاكاة بالفعل ، والقول ، أو الإشارة ، أو الإيماء ، أو الضحك على كلام المسخور منه ، إذا يخبط فيه ، أو غلط ، أو على صنعته، أو قبح صورته " <sup>٢</sup> ، والجديد في هذا التعريف ، هو ربط السخرية بالضحك، حيث إنّها سلاح فعال في النكاية بالمهجو ، والتأثير عليه ، ومع أنها لها هذا الدور الفاعل في السخرية ، إلا أنها أيضا ليست الهدف المنشود من السخرية ، بل قد يكون الهجاء الصريح أشد منها إثارة للضحك ، وقد عرفنا أن السخرية أرقى من الهجاء الصريح ، لذلك يتجه البحث إلى أن الضحك عنصر فاعل في عملية السخرية ، إلا أنه ليس الهدف المنشود ، الذي تسعى السخرية لبلوغه لدى المتلقي وإلا لكان قول الحطيئة يهجو نفسه :

أَبَتْ شَدَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّبًا مَسْدَرًا فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ

<sup>١</sup> تفسير الكشاف ، جارالله المخشري ، بيروت ، دار المعرفة . ج ١ ص ٣٥

<sup>٢</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، اللوسي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٤ ج ١ ص ١٥٢



أَرَى لِجِبْهَاتٍ تَدْوَى هَ اللهُ خَلَقَهُ فَوَقَّبِحَ مِنْ وَهٍ حَوَّجِحَ حَامِلًا ه<sup>١</sup>

أبلغ من قوله يهجو الزبرقان بن بدر :

دَعِ الْمَكَارِ لِمْ تَرَحَلْ لِئُبْغِيَّتِهَا قَعُوقًا نَكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

وَإِبْعَثْ يَسَارًا إِلَى وَفْرِ مُذَمَّهٍ حَرَجَ إِلَيْهَا بِذِي عَرَكَينِ قِنَاسٍ ه<sup>٢</sup>

وهذا أمر غير صحيح ، فالكل يعرف ما أثارته هذه الأبيات في نفس الزبرقان ، حتى دفعته إلى أن يشكو الحطيئة لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أما ما قاله في الأول فهو مجرد رصف للكلمات القصد منها إثارة ضحك المتلقي دون هدف آخر. فهو يريد إضحاك من حوله على صورة خلقته القبيحة ، لا يتجاوز هذا المعنى ، بينما نجده في البيتين التاليين يحاول التنقص من رجولة الزبرقان ، مما جعل الهجاء يخرج بصورة أكثر إيلاما من سابقه .

أما عبد الحلیم حفني فقد عرفها بقوله : " السخرية أسلوب أو سلاح عدائي، ومهما صغرت درجاتها ، أو كبرت ، ويتميز عن غيره من أساليب العداء ، بأنه مصوغ بروح الفكاهة ، وأسلوبها " ٣ ، و المؤلف هنا يصدر حكما فيه بعض الشدة ، فقد جعل السخرية مصدر اعتداء، في كل حالاتها ، صغيرها، وكبيرها ، والبحث يتجه إلى أن في هذا الكلام نوعاً من التجني على السخرية ، فمع الإقرار بأن السخرية ليست بريئة من الاعتداء كل البراءة ، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن تعميم القول بأنها مصدر للاعتداء في كل حالاتها ، صغيرها وكبيرها ، كما لا يمكن أن نجعل هذا القول مقياساً

<sup>١</sup> ديوان الحطيئة ، شرح حمدو طمّاس ، دار المعارف ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ط٢ ، ص ١١٨

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٨٦

<sup>٣</sup> أسلوب السخرية في القرآن ، عبد الحلیم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م ، ص ١٥

لكل ما ينتجه الأدب الساخر ، فالسخرية تكون عدائية أحيانا ، وتصحيحية ، وناقدة ، وإصلاحية ، وغير ذلك من الأهداف الراقية لمثل هذا النوع الأدبي ، فلا يمكن أن نخرج السخرية من إطارها الفني ، ثم نوظّرها في هدف واحد ، ونقول : إنّها لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون غير ذلك .

أما قحطان التميمي فيقول : " السخرية في الشعر طريقة تعبيرية متطورة ، توصل بها الشعراء لنقد الأوضاع السياسية ، والاجتماعية ، والسير الفردية ، و النيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة ، والسباب المحض ، ويتنزه عن القذف ، والإيغال في الفحش ، ورفث القول " <sup>١</sup> ، ومع أن كل التعريفات السابقة لم تضع اليد على جوهر السخرية، إنما وقف كل مؤلف على عنصر من عناصر السخرية ، ولم نجد تعريفاً يكون جامعاً مانعاً لمفهوم السخرية ، إلا أننا قد نجد في تعريف قحطان تميم بعض الميزات التي يتجه البحث لإثباتها ، والوقوف عليها كأساس في دراسة السخرية ، وذلك عندما جعل قحطان تميم السخرية أداة إصلاح ، يهدف من خلالها الأديب الساخر إلى توجيه أصابع النقد إلى كل من يستحق النقد، ولا يفرق بين كبير ولا صغير، ولكن هذا النقد ليس نقداً تجريحياً ، يهدف من ورائه إلى التندر ، و إبراز العيوب للتشفي فقط ، وإنما هو نقد بناء ، بأسلوب يترفع فيه الأديب عن سطحية العوام، أو تندر الجهّال، ليقول من خلاله، وهذا الموقف نجده ماثلاً أمام عين كل أديب، سخر أديبه لخدمة مجتمعه، وجعل من نفسه حارساً أميناً لكل قيم أمته، يقول د/ طه وادي في معرض حديثه عن أدب عبدالله النديم : " وعلى الرغم من تعدد أنواع الكتابة الفنية

<sup>١</sup> اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ص ٣٥٦

عند النديم ، فإنه حرص على أن يوظف كل مجالات الكتابة الأدبية والصحفية من أجل الدعوة إلى تحرير وإصلاح المجتمع ..... والسخرية عند النديم ليست سخرية لفظية ، كما هو الحال في أمثلة السخرية التي تقوم على استخدام التورية ، أو التجنيس اللفظي ، لكن السخرية عند النديم سخرية موقف .<sup>١</sup>

إذا السخرية عند الأدباء الذين حملوا راية الإصلاح ، والنقد البناء ، ليست سخرية إضحاك أو ابتذال ، بل هي سخرية ترتقي ، وتترفع عن مثل هذه المواقف ، "و لا تقف أهداف السخرية عند إضحاك الآخرين ، أو الترويح عنهم ، أو قطع أوقات فراغهم للتسلية ، فتلك رؤى سطحية مبتذلة ، وهي للسوقة ، والعامية ، لكن السخرية الفنية لها أهداف تربو على ذلك ."<sup>٢</sup> ، من هنا نجد أن السخرية عمل جاد ، حتى وإن ارتبطت بالضحك ، أو إثارة الضحك كعنصر فاعل في تحريك الناس إلى هدف أكبر من مجرد الضحك ، كما أن السخرية ليست هدفاً لذاتها ، وإنما هي وسيلة يسلكها الأديب ليصل إلى هدف أسمى وأنبئ من مجرد إثارة الضحك ، إنها وسيلة لنصل إلى الضحك الجاد كما وصفه المازني " فالساخر حينما يتناول المضحكات أحياناً، ويمزح، ويسخر ، ويركب الأشياء ، والناس بالهزل ، فإن هزله أبداً مبطن بالجد ، وهو لا يقصد إلى الهزل في ذاته " .<sup>٣</sup>

في نهاية هذه الرحلة مع السخرية ، نقف على أهم ما توصل اليه البحث إليه ، وهو أن السخرية أسلوب يهدف إلى الضحك المبطن بنوع من النقد الموجه، الهادف إلى وضع

<sup>١</sup> السخرية في أدب عبدالله النديم ، أحمد يوسف خليفة ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشروق ، ١٩٩٥ م ، ص ٢٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٢٩

<sup>٣</sup> حصاد الهشيم ، إبراهيم المازني ، القاهرة ، مطابع دار الشعب . ص ٣٠٦

اليد على علة ماء، أو تصحيح وضع فاسد، أو توجيهه نحو سبيل سوي ، أو تغيير لحالة اجتماعية ، أو سياسية فاسدة .

وهذا الأمر حقيقة ما يريد البحث أن يصل إليه من خلال الوقوف على التعاريف السابقة لأن الهدف من البحث ليس الوقوف على معنى السخرية ، الذي يحيط بكل جنباتها ، أو التعمق في بيان أنواعها ، ومسمياتها ، لأن تقصي حقيقة السخرية أمر يمكن أن يستغرق بحوثاً ، ودراسات طويلة وإنما كان هدفنا أن نقف على أمر نستنير بنوره ، ونستهدي بهداه ، عندما تبحر سفينتنا في موضوع البحث وهو السخرية في شعر عبدالله البردوني ، فنكون قد وقفنا من خلال هذه التمهيد على معنى للسخرية ، يكشف لنا ما نريد أن نصل إليه في البحث ونحن نفتش عن سخرية البردوني . إننا في هذا البحث لا نفتش عن البردوني اللاهي ، وإنما نكشف عن قناع البردوني، الثائر ، على كل قيم الظلم الطبقي ، والاجتماعي ، والسياسي . والذي جعل السخرية منه الراقي ، الذي سلّمه في وجه كل أعدائه ، وأشهره في كل محفل وطني ، وأدبي .

## المبحث الثاني / ( دوافع السخرية عند البردوني )

أي سلوك إنساني لا بد أن يكون نتيجة عوامل معينة ، تقوده هذه العوامل تجاه سلوك محدد ، وهو ما يسميه علماء النفس بالدوافع" فيصدر السلوك الإنساني عن دوافع مختلفة بعضها فطري أي يولد الإنسان مزوداً به والبعض مكتسب من البيئة "١، وإذا رجعنا إلى البردوني لنعرف سبب اتجاهه لأسلوب السخرية، لا بد أن يكون هناك دوافع قادتة إلى هذا الأسلوب، وقد عرفنا أن أسلوب السخرية ، هو من أرقى أنواع الهجاء ، وقد قرر النقاد أن الغرض الشعري هو نتاج رغبة معينة "قواعد الشعر أربعة الرغبة والرغبة والطرب والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجه "٢ وما هذه الأمور الحاصلة إلا دوافع تقود الشاعر إلى الاتجاه نحو غرض بحد ذاته دون الآخر . يؤكد قول أرطاة بن سهية عندما سأله عبد الملك بن مروان " أتقول الشعر اليوم ؟ فقال : والله ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يجيء الشعر عند أحدهن "٣ ومع الوقوف مع حياة البردوني سنجد أن هناك نوعين من الدوافع كانت وراء اتخاذه أسلوب السخرية منهجا في شعره ، يمكن أن نسمي الأول دوافع ذاتية، أي أنها ترجع للبردوني نفسه ، والآخر يمكن تسميته بالدوافع الخارجية ، أي ما أثر في البردوني من أمور لا ترجع إلى شخصه ، وإنما إلى أسباب اجتماعية ، أو سياسية . وسنبداً بالدوافع الذاتية لأنها

١ مبادئ علم النفس ، جمال القاسم ، دار صفاء للطباعة والنشر ٢٠٠١ م ط ١ ص ١٣٣

٢ العمدة في محاسن الشعر وأدابه ص ١٠٨

٣ المرجع السابق ص ١٠٩

تعد الأرضية الخصبة التي هيأت البردوني لأن تغرس فيه بذرة السخرية ، ثم أنت الدوافع الخارجية لتمثل البيئة المناسبة لنمو هذه البذرة ، والحاضن الطبيعي لبروزها كظاهرة شعرية ميزت أسلوب البردوني ، كما أن الدوافع الذاتية كانت أسبق وقوعا ، بل هي من أهم مكونات البردوني الشخصية ، فهي لم تؤثر على أسلوب البردوني وحسب، بل أثرت على مسيرة حياته بشكل عام ، فكان من المنطق أن نبدأ بالدوافع الذاتية أولا ، لأنها رسخت المبدأ عند البردوني أولا ، ثم جاءت بقية الدوافع مكملة لهذه الدوافع الداخلية فكانت كأساس البنيان الذي لا يقوم إلا عليه ، ومن ثم سوف نعقب ببقية الدوافع ، والتي أنت لترسم بوضوح تلك الصورة الساخرة في عقلية البردوني .

## أ / الدوافع الذاتية :

## ١ - العمى وأثره على البردوني :

يعرف العمى على أنه " عاهة في البصر إما عن خلقة ولادية ، أو عن مرض يصيب الإنسان نتيجة آفة جسمانية يفقد نعمة الإبصار " <sup>١</sup> وذكر صاحب كتاب نكت الهميان في نكت العميان " قد تتبعت أفراد وضع اللغة ، فرأيت العين المهملة والميم ، كيفما وقعتا في الغالب وبعدهما حرف من حروف المعجم، لا يدل المجموع إلا على ما فيه معنى الستر، أو ذهاب الصواب من الرأي " <sup>٢</sup> ولعلماء الاجتماع عدّة تعاريف للأعمى منها :

## ١ - التعريف التربوي :

" الشخص الذي تقل درجة إبصاره عن ٢٠ على ٢٠٠ في العين الأقوى ، وذلك باستخدام النظارة ، لأن مثل هذا الشخص لا يمكنه الاستفادة من الخبرة التعليمية التي تقدم للعاديين " <sup>٣</sup>

٢ - التعريف الاجتماعي : " بأنه الشخص الذي لا يستطيع أن يجد طريقه دون قيادة في بيئة غير معروفة لديه، أو من كانت قدرته على الإبصار عديمة القيمة الاقتصادية، أو من كانت قدرة بصره من الضعف بحيث يعجز عن مراجعة عمله العادي " <sup>٤</sup>

<sup>١</sup> الصورة الشعرية عند البردوني ص ٢٩

<sup>٢</sup> نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين الصفدي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٠ م ، ط ١ ص ١٦

<sup>٣</sup> السلوك الاجتماعي للمعوقين دراسة في الخدمة الاجتماعية ، محمد فهمي ، المكتب الجامعي الحديث، الأزطية، الإسكندرية ، ١٩٩٨ م ، ١ ص ٧١

<sup>٤</sup> متحدو الإعاقة من منظور الخدمة الاجتماعية ، عبد المحيي صالح ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ م ،

من خلال ما ذكر نقف على أن العمى ، أو كف البصر هو ذهاب نعمة البصر التي تعد من أجل النعم التي وهبها الله للإنسان ، فذكره بهذا الفضل العظيم في قوله تعالى {لَمْ نَجْعَلْ لِّلْعُيُونِ ۙ لِّسَانًاۙ لِشَوْفَتَيْنِۙ وَهَادِيَۙ النَّجْدِ دَيْنَ ۙ} {١٠} <sup>١</sup> فذكر سبحانه وتعالى للعينين نعمة يجب على الإنسان أن يشكر الله تعالى عليها ، وقد جاء التصريح بذلك في قوله تعالى: {وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون} <sup>٢</sup> كما أنه جعل فقد هذه النعمة بلاء ومحنة فقال تعالى { ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون } <sup>٣</sup> ، بل إنه تجاوز حد البلاء ليجعل فقد البصر من العقوبات التي يعذب بها الكافرين فقال سبحانه وتعالى : { ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر } <sup>٤</sup> . ثم يبين لنا سبحانه وتعالى شرفها عندما يجعلها كناية عن السرور والسعادة في قولة مخاطبا مريم عليها السلام: { فكلي وشربي وقرِّي عينا } وفي قوله على لسان عباد الرحمن : { ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين } <sup>٥</sup> وقد فضل الله العين على سائر الأعضاء عندما ذكرها بعد النفس النفس مباشرة في القصص حين قال تعالى:

{ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن والسن بالسن } <sup>٦</sup> من هنا يتبين ان للعين مكانة عظيمة وهي وسيلة الإبصار الذي من أجله وجد هذا العضو المكانة العالية بين الأعضاء ، لذلك من الله على من فقد

<sup>١</sup> سورة البلد آية ٨  
<sup>٢</sup> سورة النحل آية ٧٨  
<sup>٣</sup> سورة يس آية ٦٦  
<sup>٤</sup> سورة القمر آية ٣٧  
<sup>٥</sup> سورة مريم آية ٢٦  
<sup>٦</sup> سورة الفرقان آية ٧٤  
<sup>٧</sup> سورة المائدة آية ٤٥



بصره وصبر على هذه البلوى بإدخاله الجنة مكافأة له على فقد حبيبته ، وثوابا على ما ابتلاه به الله فصبر عليه ، لأن فقد البصر من أعظم الرزايا .

" عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله تعالى قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر ، عوضته منهما الجنة " <sup>١</sup> ، من هذا الحديث يتضح ما للبصر من أهمية حيث جعل الرسول صلى الله عليه وسلم العين حبيبة الإنسان ، ثم جعل الله فقدها من المصائب العظام التي تصيب الإنسان ، فإذا شكر واطمأن كان مستوجبا لرضى الله ودخول الجنة. فبعضم الجائزة يتضح عظم البلاء إذا فالعمى أو فقد البصر ، أو كف البصر كلها ألفاظ تصب في خانة واحدة، هي أن صاحبها حرم من نعمة من أهم النعم التي وهبها الله للإنسان ، فكل ما يحيط بالإنسان مرتبط بشكل كبير بحاسة البصر ، بل إن شخصية الإنسان تتكون من خلال إدراكه لما يدور حوله في الحياة ، وهذا لا يتأتى إلا بواسطة إدراكه البصري . " إذ تتوقف عليها معظم ما يملك من تمييز وانتباه وإدراك . وتعتبر مقلة العين في تكوينها جزءا من الدماغ تشترك معه في أجزاء خارجية لحفظها ومساعدتها على القيام بوظيفتها ، والعين هي منفذ الدماغ إلى العالم الخارجي ، ونافذة لمعرفة ما يحيط به من عوامل ، وإدراك ما يقابله من تأثيرات خارجية ، فعين الأخصائي الاجتماعي المنتبهة للتغيرات المختلفة على وجه العميل : لها قيمتها في عملية الدراسة والتشخيص والعلاج . وكما أن العين هي منفذ الدماغ إلى الخارج نجدها أيضا منفذا داخليا للجسم،

<sup>١</sup> مختصر صحيح البخاري ، الإمام زين الدين أحمد بن أحمد الزبيدي ط ٢ ، دار المؤيد للنشر والتوزيع ١٤٢٣ هـ  
ص ٥٥٠

فالطبيب يستخدم فحص قاع العين لارتباطه ببعض الأمراض قبل استفحالها<sup>١</sup>، وعلى قدر المصيبة تكون المكافأة من الله سبحانه وتعالى لعبده المبتلى، هذا إذا أردنا أن نبين أهمية البصر بالنسبة للإنسان، لكن السؤال الذي نبحث عن إجابة له هل يؤثر فقد هذه النعمة في تكوين شخصية الفرد المعاق. وهل يكون له أثار جانبية تتدخل في بناء شخصية الفرد، وتكون نمط سلوكه؟. هذا ما يسعى البحث للوصول إليه من خلال هذا المبحث. "من المؤكد أن الإعاقة تؤثر على المستوى الفردي بمظاهر سيكولوجية متعددة تجعل من المعاق فردا في حالة معنوية سيئة، نتيجة إحساسه بإعاقته دون الآخرين"<sup>٢</sup>

إذاً فالإعاقة تؤثر على شخصية المعاق، فكيف إذا كانت هذه الإعاقة هي فقد البصر، لابد أن يكون أثرها على نفس المعاق أكثر وضوحا، وهذا الكلام لا يعني أن المعاق لا يستطيع أن يتفوق على إعاقته، بل قد يستطيع أن ينافس الأصحاء، و في التاريخ شواهد كثيرة تثبت أن المعاق، وبالتحديد المعاق إعاقة بصرية، أو ما يسمى بالأعمى، قد تفوق على أقرانه، وبزهم، وما بشار بن برد، و أبو العلاء المعري، وطه حسين إلا أمثلة شاهدة على هذا التميز، فالإعاقة ليست إلا حجر عثرة في طريق الإنسان يستطيع بإرادته أن يتفوق عليها. ومع قدرته على التأقلم مع هذه المصيبة، إلا أننا لابد أن نُقرّ بحقيقة أن للإعاقة أثارا على نفسية، بل وشخصية المعاق، سواء أكانت ظاهرة جلية، أم خفية تحتاج إلى تأمل وتدقيق. ولو وقفنا مع

<sup>١</sup> متحدو الإعاقة من منظور الخدمة الاجتماعية ص ١٠

<sup>٢</sup> سياسات الرعاية الاجتماعية للمعوقين في المجتمعات النامية، عبد الله محمد عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥ م، ص ١٥٢

إعاقة كف البصر لنرصد مدى تأثيرها على المعاق سنجد أن " كف البصر يفسح المجال لظهور سمات شخصية غير سوية في شخصية الكفيف في كثير من الأحيان" <sup>١</sup> هذه السمات تؤثر سلبا على تعاطي المعاق مع ما يواجهه من أمور حياتية ، ومع التأقلم المعيشي داخل مجتمعه " فالرجل الصحيح الجسد ربما لا يحتاج في إظهار شخصيته ، والتأثير في غيره إلى ما يحتاج إليه المشوه الخلقة أو المنقوص الجوارح ، فبينما نجد الرجل الصحيح طبيعيا في معاملته ، لأنه لا يشعر بنقص خارجي يريد أن يكمله ، إذ نجد ذلك المبتلى محبا للتظاهر ، مرتجيا التميز ، منتهزا استغلال الفرص للظهور، بل إنهم يبرهنون على أن الإنسان حينما يحس نقصا من الناحية الجسمية ، إنما يعمل دائما على أن يملأ هذا الفراغ ، ويكمل ذلك النقص بتعويضه عن طريق تفوقه العقلي ، أو الخلفي، أو هما معا" <sup>٢</sup>

إذاً فالإعاقة تؤثر سلبا على المعاق ، وتدفعه نحو حياة خاصة تختلف عن حياة الأسوياء ، طبعا مع اختلاف درجة التأثير من شخص لآخر .

لذلك فإعاقة البردوني البصرية ، مع إيمان كثير من النقاد أنه استطاع تجاوزها بإرادته القوية، إلا أنها تركت أثرا واضحا على شخصية البردوني، وما يهمننا في هذا الطرح هل كان لفقد البصر من دور في توجه البردوني إلى أسلوب السخرية ؟ للإجابة على هذا التساؤل يجب أن نعود إلى ما قرره البحث سابقا ، وهو أن السخرية نوع من أنواع الهجاء ، " والصلة بين العمى والهجاء عميقة ذلك أن الهجاء ليس سوى تجسيد للقبح والتشويه والمنكر ، وهي صفات ملازمة لبعض العميان الذين

<sup>١</sup> الإعاقة الحسية المفهوم والأنواع وبرامج الرعاية، مدحت أبو النصر ، مجموعة النيل العربية ص ١٠٤

<sup>٢</sup> الشخصية ، محمد الأبرشي ، مطبعة التأليف ، والترجمة والنشر ، مصر ، ١٩٣٨ م ، ط ٣ ، ص ٩٩

افتقدوا منذ نشأتهم الحب والعقيدة السليمة ، لفقدهم الأسرة الصالحة المتماسكة ، والمجتمع الرحيم " <sup>١</sup> .

إذاً هذا الميل إلى القبح ناتج عن ترسبات داخلية يشعر بها الأعمى فيحاول أن يخفف منها بأساليب متنوعة ومنها الهجاء ليكون وسيلة تفريغ لما يشعر به من قلق نفسي يحاول التخلص منه ، " فكف البصر المفاجئ يصيب صاحبه بالانقباض وأحياناً بالسلوك العدوانى " <sup>٢</sup> هذه العدوانية التي مثلت في شخصيته الجانب الساخر من كل شيء ، كانت بالنسبة للبردوني هي الطريق إلى التوازن النفسى ، بل إنها الطريق لإثبات الوجود والشعور بالطمأنينة التي يحرم منها الأعمى بفقد بصره . ففقد البصر وخاصة المبكر منه " يطبع صاحبه بسمات ضعف الثقة بالنفس ، وعدم الشعور بالأمن " <sup>٣</sup> لذلك يلجأ الكفيف إلى أساليب متعددة للخروج من هذه المحنة ، وأسلوب الهجاء نوع من أساليب الهروب المحببة للأعمى لأن فيه انتصاراً لشخصيته المهزومة وإنقاصاً من قدر المجتمع الذي جار على صاحب هذه الإعاقة ، فكانت سلاحاً دفاعياً في المقام الأول ، وانتقامياً في المقام الثانى . فالسخرية إذاً لم تكن إلا ستاراً حاول البردوني أن يخفي خلفه متاعبه مع العمى ، إلا أنه لم يستطع أن يستر هذه المشاعر المكبوتة فكانت تظهر جلية في العديد من المواقف على أشكال متنوعة ، في وحدة لا تكاد تفارقه بل تسيطر على كل جوارحه، إذ يعيش معها في كل لحظاته :

<sup>١</sup> عبد الله البردوني حياته وشعره ص ٣٩

<sup>٢</sup> السلوك الاجتماعى للمعوقين دراسة في الخدمة الاجتماعية ص ٧٦

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٧٦

وحده يحمل الشقا و السنيننا لا معين و أين يلقي المعينا

وحده في الطريق يسحب رجليه و يطوي خلف الجراح الأنيانا

متعب يعبر الطريق و يمضي وحده يتبع الخيال الحزينا<sup>١</sup>

هذه حياة البردوني التي كابدها ، وعانى الجراح دون معين أو نصير، وحدة محملة بشقاء السنين ، كل ما حوله يصرخ من الألم ، كما أن قوله يسحب رجليه تشعرك بثقل هذه الخطوات التي يجبرها البردوني على السير دون رغبة أو أمل في الوصول . لم تكن وحدة البردوني خافية وإنما كان يصرخ بها البردوني بأعلى صوته :

وحدي هنا يا ليل وحدي ما بين ألامي و سهدي

وحدي و أموات المني و الذكريات السود عندي

و كأنّ أشباح الدجى حولي أمانى مسـتـبـدّ

تطوي أحاسيسي و تند شرها و تخفيها و تبدي

والليل يلهو بي كما يهوى التجدي و التعدي

فكأدني في كفه عرض الكريم بكفّ و غد

ياليل لي قلب يـحـنـن إلى العلا بأحرّ وجد<sup>٢</sup>

ارتبط شخص البردوني بالوحدة عندما وجد أن المجتمع يرفضه كمعاق ولايقدم له ما يحتاجه من دعم ففضل البردوني كغيره من المعاقين أن يهجر هذه الحياة ويعيش في رحاب وحدته . هذه الوحدة التي لم يستطع مفارقتها قادتته إلى عالم مجهول ، لا مجال

<sup>١</sup> ديوان البردوني ص ١٣٢

<sup>٢</sup> نفس المرجع ١٦٣

فيه إلى الهداية ، بل إن كل ما فيه غامض لا يكاد يعرف ، حتى نفسه أصبح يجهل عنها الكثير . عالم أشبه ما يكون بليل حالك المسالك لا طريق فيه وليس له نهاية :

كئيب بطيء الخطا مؤلم يسير إلى حيث لا يعلم  
و يسري و يسري فلا ينتهي سراه و لا نهجه المظلم  
وتنسب أشباحه في السكو ن حيارى بخيبتها تحلم  
هو اللّيل في صمته ضجّة و في سرّه عالم أبكم  
كأنّ الصبابات في أفقه تننّ فترتعش الأنجم  
حزين غريق بأحزانه كئيب بالآلامه مفعم  
كأنّ النجوم على صدره جراحٌ يلوحُ عليها الدّم<sup>١</sup>

نصل في النهاية إلى أن هذا الليل ليس إلا البردوني في رمزيته المحببة ، فعلاقته بالليل علاقة سرمدية ، علاقة يجمعها الظلام ، وتغني فيها الوحدة ، وتتشابك فيها الهموم ، علاقة يفسرها هو في وصفه للّيل :

واللّيل يسري كأعمى ضلّ وجهته و غاب عن كفه العكّاز و الهادي  
كأنّه فوق صمت الكون قافلة ضلّت وضلّ الطريق السّور و الحادي<sup>٢</sup>  
هذا التشبيه يقودنا إلى ما يشعر به البردوني من غربة وضياح وألم يصارعه في حياته، مهما قلنا إنه تخلص من هموم إعاقته إلا أننا نجده يُرجع لحنها بين الفينة والأخرى علّاه يجد الراحة في ذلك الرجوع .

<sup>١</sup> ديوان عبد الله البردوني ص ١٣٢

<sup>٢</sup> نفس المرجع ص ١١٤

وعندما يئس البردوني من الخلاص من هذه المحنة ، وما سببته من ألم سار معه منذ نعومة أظافره وجدناه يتبع سبيل أستاذه أبي العلاء المعري في تمنى الموت وطلب الراحة من خلاله ، فهذا المعري يطلب الراحة من العمى جاعلا السبيل هو أن يوارى في الثرى : إذا طفئت في الثرى أعين فقد أمنت من عمى أو رمد<sup>١</sup> وفي قول المعري طفئت إحساس رهيب بعظم المحنة ، فهو يرى أن العالم قد غرق في ظلام دامس لن يخرج منه ، كما أن قوله أمنت يوحي بقلق نفسي كبير ، وعدم شعور بالأمن الذي كان يبحث عنه في حياته ، لكنه اكتشف أن الوصول إليه لن يكون إلا تحت الثرى وعلى طريق أبي العلاء يسلك البردوني طريق الخلاص من محنته :

فمتى متى يطفى الفنا الـ موعود عمري الأحمقا  
 كيف الخلاص و لم يزل روعي بجسمي موثقا  
 لا الموت يختصر الحيا ة و لا انتهى طول البقا  
 لا القيد مزقه السجـ ن و لا السجين تمزقا<sup>٢</sup>  
 حيران لم يطق الحيا ة و لم يطق أن يزهدقا  
 يا أسر العصفور رفـ قا بالجناح المـتعـب  
 سئم الركود و لم يزل في قبضة الشوك الغـبي  
 درن التراب مجسـد في الشيخ ، في ثوب الصبي<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> شرح اللزوميات ، نظم أبي العلاء المعري ، تحقيق ، منير المدني ، زينب القوصي ، وفاء الأعصر ، سيدة حامد ، إشراف الدكتور حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م ، ج ٢ ص ٢٩  
<sup>٢</sup> في المرجع / لا القيد مقه السجـ ين ولا السجين تمزقا  
<sup>٣</sup> ديوان عبد الله البردوني ص ١٣٦

" فالبيتان الأخيران محملان بالضيق النفسي الجارف من العمى، فالعمى ركود وملل، وشوك جارح غليظ لا يرحم، ويشفق على نفسه في البيت الأخير، إن القول في ثوب الصبي، يبين أنه لا يستطيع أن يميز من أثوابه النظيف المناسب، ولكلمة مجسد إحياءاتها العميقة بآلامه المستمرة، كما أوحى كلمة الصبي أيضا بشكواه من ماضيه المؤلم في غيابات العمى. وهذه المرحلة من شعره خلال ديوانيه الأولين من أرض بلقيس ١٩٦١م، وفي طريق الفجر ١٩٧٦م يذكر فيها العمى بوصفه مصابا مؤلما " <sup>١</sup>

يتأكد من هذا التحليل الذي ذهب إليه الدكتور أحمد إسماعيل أن البردوني وصل إلى درجة التشاؤم من واقعه المعاش، بل أصبح لا يرى بارقة أمل في غد مشرق، حتى ولو في خيالات شاعر، فكل ما يحيط به هموم وأحزان ليس منها مخرج:

غبت في الصمت و الهموم الضوّاري	والأمني و الذكريات السوّاري
و تغلّفت بالوجوم و واريـ	ت همومي في صمتي المتوّاري
و خنقت اللّحون في حلق مزما	ري و أغفى على فمي مزماري
وانطوت في فمي الأغاني و ماتت	نغمي في حناجر الأوتار
و تلاشى شعري و نام شعوري	نومة اللّيل فوق صمت الفقار
و تفانى فنّي و لم يبق إلا	ذكريات الصدى بشـ جو اذكار
و خيال النحيب في عودي البا	كي و طيف النشيج في أسراري
و كأني تحت الدياجير قبر	جائع في جوانح الصمت عاري
و أنا وحدي الغريب و أهلي	عن يميني و إخوتي عن يساري

<sup>١</sup> عبدالله البردوني حياته وشعره / د. أحمد إسماعيل / ص ٤٠



و أنا في دمي أسير ، و في أر ضي شريد مقيد الأفكار  
 و جريح الإبا قتيل الأماني و غريب في أمّ تي ودياري  
 كلّ شيء حولي عليّ غضوب ناقم من دمي على غير ثار<sup>١</sup>  
 تراكمت هموم البردوني وآلامه ، فلم يجد غير طريق الموت ليسلكه ليرتاح من كل  
 عذاباته وأوهامه ، فمهما كانت هذه المصيبة عظيمة تبقى أهون من حياته المرتبطة  
 بالذل والمعاناة :

يا حياتي ويا حياتي إلى كم أحتمي من يديك صابا وعلقم  
 وإلى كم أموت فيك وأحيا أين مني القضا الأخير المحتم  
 أسلميني إلى الممات فإني أجد الموت منك أحنى وأرحم  
 وإذا العيش كان ذلاً وتعذيباً بآ فإن الممات أنجى وأعصم<sup>(٢)</sup>

إن هذه الوحدة والغربة وتمني الموت بل السعي وراءه يكمن وراءها نفس معذبة  
 مجروحة ، هذه النفس المعذبة والمجروحة تحاول أن تجد ما يخفف عنها ، ويرد لها  
 بعض طموحاتها من حياة سلبتها الفرحة ، والسعادة ، فلم تجد إلا التشفي منها ،  
 وجلدها ، بل والانتقام أحياناً ، فكان أسلوب السخرية هو السبيل فهو يجمع بين أمرين  
 يحتاجهما ، تشفٍ من هذه الحياة ، وأنس وفرح للنفس ، وذلك بالاستبدال بهذه الأتات  
 الموجعة بسمات ضاحكة ، حتى ولو على حساب بكاء مدفون داخل هذه الضحكات .

لا تسل عذّي فالأم الوري بضلوعي كاللهيب الذهم  
 وغنا شعري بكا عاطفتي وتباكي جرحي المبتسم<sup>(١)</sup>

(١) نفس المرجع ص ١٥٨

(٢) نفس المرجع ص ١٣٧

هذه الفلسفة البردونية التي استمدّها من آلامه وأحزانه قادته إلى أن يسخر ، بل إلى أن تكون السخرية منهج حياة. " فالإنسان أعمق الموجودات ألما - في نظر نيتشه - لهذا كان لا بد له من الضحك فأكثر الحيوانات تعاسة، وشقاء هو أكثرها بشاشة وانشراحاً"<sup>٢</sup> لذلك كان من المنطق أن يذهب البردوني نحو السخرية ليجعلها أسلوبه المحبب ، بل ترياقه للخروج من آلامه وأحزانه . " فأثر هذه المصيبة من الحزن عظيم يلزم صاحبه في جميع أطوار حياته لا يفارقه ولا يعدوه ذلك لأنه يذكر بصره كلما عرضت له حاجة ، وكلما ناله من الناس خير أو شر ، بل كلما لقيهم في مجمع عام أو خاص فما زال الحزن يؤلمه ويحزه " (٣)

(١) نفس المرجع ص ١٩٠

(٢) سيكولوجية الفكاهة والضحك / د. زكريا إبراهيم / دار المعارف مصر ١٩٥٦م / ص ٨

(٣) تجديد ذكرى أبي العلاء - طه حسين - دار المعارف - مصر - ط ٩ ص ١١٢

## ٢ - فقد الأم :

لم تقف الأقدار في مرورها بأرض البردوني عند حد فقد البصر ، وإنما عاودت هبوبها مرة أخرى ، حاملة في جعبتها هذه المرة ، فقد أعطف قلب ارتبط به قلب البردوني ، وطلّ ف يد امتدت لتخفف عنه هموم حياته ، التي أثقلت كاهله ، عصفت رياح الفراق آخذة في طريقها هذه المرة رفيقة عماه ، وملهمته الصبر والسلوان . لقد فقد البردوني أمه ، وأصبح أسير الحزن الذي ملأ قلبه وجوارحه " فالأم مصدر حياته وأحلامه وقد تركته في صباحه ، فزادت من معاناته وآلامه " <sup>١</sup> ، فالبردوني قد احتمل من الهم ، والحزن ما يكفيه ، لتأتي هذه المصيبة لتعمق هذه الجراح ، وتترك البردوني يصارع شقاء الحياة وحده ، دون تلك اليد الحانية التي كان لها الأثر الكبير في تخفيف أحزانه وهمومه . لكن ما يهمنا هنا هو أن نعرف ما علاقة فقد أمه بتوجهه إلى الأسلوب الساخر . أو لنقل بطريقة أخرى كيف هيأ هذا الفقد أرضية البردوني لتكون تربة صالحة لنمو غرسة السخرية في نفسه .

وقبل أن نبدأ في توضيح أثر فقد الأم على توجه البردوني الساخر ، سنتعرف على أهمية دور الأم في حياة طفلها ، لأننا لا نشك لحظة واحدة في أن للأم " أثرها البالغ في شخصية الطفل نفسياً وخلقياً وبدنياً ، وذلك بحسب الأساليب ، والأنماط السلوكية ، والمعرفية التي تراعيها في تربية طفلها" <sup>٢</sup> ، ومن هنا لا نستغرب أن الإسلام يعطي تلك المكانة العالية للأم ولو صَدَّ لِلْإِنْسَانِ وَالِدِيهِ مَلَاتُهُ أُمُّهُ هُنَا عَلَيَّ هُنَا

<sup>١</sup> شعر عبدالله البردوني ص ٧٩

<sup>٢</sup> الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، مها عبد الله الأبرش ، ١٩٩٦ م ج ١ ص ٩٩

وَفَصَالُهُ فِيهَا مِيزَانٌ إِنَّ إِشْدَاقَهُ وَلِيْلُوَ الدِّيَكِ<sup>١</sup> أي أنه لما أوصى بالوالدين ذكر شدة بلاء الأم ، وما تعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفضاله هذه المدة المتطاولة إيجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا " <sup>٢</sup> من هنا نجد تلك المكانة العالية للأم في الإسلام فكل ما تتحملة من عناء ومشقة في سبيل أبنائها ، وكل ما تبذله من أجلهم أعطاهها هذه المكانة العالية التي نجدها في إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أتاه ليسأله عن أحقّ الناس بصحبته " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحقّ الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أبوك " <sup>٣</sup>

فتكراره صلى الله عليه وسلم في وصيته للأم فيه دلالة واضحة على مكانة الأم ، وما لها من دور ريادي في تربية الأبناء ، إذا نستطيع القول " إن لكل بناء أساسا ودعامة ، ولكل عمل قواما وركيزة ، كذلك الأم ركيزة عظيمة ، ولبنة هامة في المجتمع تمنح بنيتها - بعد الخالق سبحانه وتعالى - الحياة ، فهم في بطنها أجنة يقضون أشهراً في قرار مكين يغتذون من دمها، ثم هم بعد الوضع أطفال يرتضعون من لبنها ، وينعمون برعايتها وحبها ، ثم هم فتيانا وشباناً معقد أملها ، فإذا ما اكتهلوا فهم فخارها وذراها ، وهم حينئذ ذكرانا وإناثا حياتها المتجددة ، وثمراتها الواعدة ، ترى خلودها

<sup>١</sup> سورة لقمان آية ١٤

<sup>٢</sup> الكشف ج ١ ص ١٩

<sup>٣</sup> صحيح البخاري ج ٧ ص ٦٩

فيهم ، وفي ذرايرهم . " (١) ولو وقفنا مع قصة تربية مريم عليها السلام نجد أمراً عجيباً يقودنا إلى ذلك الدور الذي تضطلع به الأم في تربية أبنائها ، فإننا نتبع قصة مريم عليها السلام نجد أنه " لم يرد ذكر لأبيها في تربيتها إلا في قوله تعالى { ما كان أبوك امرأ سوء } أما عملية التربية، والتحصين الأخلاقي فكانت للأم " (٢) فدور الأم كما يتضح من خلال هذا الاستنتاج أكبر من دور الأب، خاصة في تربية الأبناء ، وهذا الدور المهم تقوم به كل أم ، فكيف إذا كان هذا الابن معاقاً ، فلا شك أن ارتباطه بأمه سيكون أكثر ، واحتياجه لها ضرورة لا بد منها . ولو رجعنا للبردوني لنعرف ذلك الدور الذي كانت تقوم به أمه تجاهه ، لوجدناها هي حياة البردوني ، خاصة بعد فقد بصره ، فلقد تعلق البردوني بها أيما تعلق ، فقد كانت رفيقة حياته ، ومعينته على مصائبه المتتالية ، حتى إنها كانت مطعمته ، وهاديته إلى تحسس طريقه المظلم .

" هي مصدر حياته، وأحلامه وقد تركته في صباه ، فزادت من معاناته وآلامه " (٣) لكن يبقى السؤال هل فقد الأم دفع البردوني إلى أن يكون ساخراً ، للإجابة على هذا السؤال يجب أن نقف على الآثار التي يتركها فقد الأم على شخصية الابن ، فلا يشك عاقل أن هناك آثاراً سلبية لفقد الأم تؤثر بشكل مباشر في رسم معالم شخصية هذا الطفل الفاقداً لأمه "فالأم هي النافذة التي يطل منها الطفل على العالم سواء عالمه الصغير في داخله ، أو العالم المحيط به ، وعلى قدر إشراقها ونورها ، يكون ما

(١) المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٨٠ م ، ص ، ٧٦

(٢) الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة . ج ١ ص ، ١٠٨

(٣) شعر عبدالله البردوني ، ص ، ٧٩

يملكه الطفل من ملكات نفسية وخلقية، وعقلية" (١) هذه النافذة التي تشعره دوماً بالأمان والاطمئنان " فالطفل الذي يشعر بأن لا شيء يمنعه من اللجوء إلى الأم ( الوجه الذي يتعلق به ) عندما يرغب ، وكلما اقتضت الظروف ذلك ، وأن الأم تقبل ذلك برحابة صدر يكون أكثر أمناً ، وأقل خوفاً ، من طفل آخر ، لا يملك الثقة بحضور الأم ، واستعدادها نحوه . إن تشكيل هذه الثقة يتم عبر المراحل المختلفة من تطور الطفل ، ويتعزز من خلال التجربة التي يعيشها الطفل مع الأم بشكل يومي." (٢)

لأن شعوره بأنه بجوارها يمنحه ذلك الإحساس بالأمان ، فيندفع للحياة بنفس راضية مطمئنة ، معتمداً على الله أولاً ، ثم تحسسه لليد الحانية التي يجدها كلما أراد الوقوع ، فتحمله ، وتعيده لجادة الطريق "فالطفل حيوان صغير مقلد يتأثر بكل ما يحيط به من أنماط سلوكية مختلفة ، وليس أهم من الوالدين من يستطيع أن يرسم للطفل طريق المحاكاة ، والتقليد . فالطفل يتعلم الكثير من والديه ، ويتعلم ذلك بسرعة فائقة ، فكل اضطراب في سلوك الوالدين ، أو انحراف في شخصيتهم لا شك يعكس آثاره على شخصية الطفل عاجلاً أم آجلاً " (٣) ونقول إنَّ الأم لها الدور الأكبر في هذه العملية ، كيف لا وهي التي تصحب هذا الصغير ، وتلازمه طوال اليوم ، فلا شك أن أثرها السلوكي سيكون أكبر من أثر الأب ، ولا نقلل من أثر الأب في ذلك التكوين النفسي لشخصية الابن ، لكن هذا الأثر لا يقارن بأثر الأم . فلقد أوضحت الدراسات أهمية سلوك الأم في تشكيل السلوك عند الطفل وتطوره ، فلقد أشار كل من جولد فارب

(١) الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، ص ١٠٦

(٢) الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم ،،فايزة قنطار ، دار العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م ، ص ٥٠

(٣) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية لهم ، محمد سلامة ، مصر ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٩ م ، ص ١٣٠

( ١٩٤٣ م ) وبولبي ( ١٩٥٢ م ) " إلى أهمية دور الأم في عملية تطبيع وليدها اجتماعيا ، فلقد أشار إلى أن الطفل يلقي العناية بالحاجات الفسيولوجية الأساسية له ، دون أن يلقي العناية نفسها بالجوانب الشخصية فإننا نلاحظ تعرضه لآثار خطيرة على خصائصه الشخصية ، ومستقبل حياته " <sup>(١)</sup> فإن فقد الطفل هذه العناية ، لا شك في أنه سيتعرض للكثير من المشكلات النفسية ، والتي تؤثر بشكل واضح في شخصيته ، ومن أهم هذه الآثار السلبية :

١ - " تعطيل النمو الجسمي والذهني والاجتماعي . فللحرمان الأمومي آثار سيئة على هذه النواحي من النمو ، وهذا الرأي مستمد من دراسات متعددة قام بها الباحثون في مختلف البلدان ، ووصلوا فيها إلى أن نمو الأطفال في المؤسسات يختلف عن نموهم في أسرهم ، أو في دور الكفالة ، ومرد ذلك هو أن حرمان الطفل من عناية أمه يعطل نموه في النواحي الجسمية والذهنية والاجتماعية . " <sup>(٢)</sup> هذا التعطيل يكون له آثاره السلبية ليس فقط على طفولة الصغير ، وإنما تمت هذه الآثار ظلالتها على حياة هذا الإنسان بشكل عام .

٢ - اضطراب النمو النفسي ( اضطراب تكوين الأنا ، والأنا الأعلى ) .

إن وجود الأم في حياة الطفل يجعله يعيش حياته الطبيعية بشكل سليم ، كما أنه يوفر له التكوين السليم لذاته الشعورية، التي يبدأ في تكوينها منذ مراحل حياته الأولى " أما في حالة انفصال الطفل عن الأم في هذه الفترة فإن ذلك يؤدي إلى اضطراب هذه

(١) علم النفس الاجتماعي نظرياته وتطبيقاته ، عباس عوض ، رشاد دمنهوري ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٧ م ، ص ، ٦٧-٦٨

(٢) علم النفس الاجتماعي دراسات نظرية وتطبيقات عملية ، مصطفى فهمي ، محمد القطان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ص ، ١٠٦

الذات الشعورية ، وينعكس ذلك الاضطراب على تكوين شخصية الطفل ، وتعرضه للانحراف" (١)

٣ - شعور الطفل بأنه منبوذ أو مهمل .

إن الطفل المحروم من أمه، كثيرا ما يشعر بأنه منبوذ ، أو غير مرغوب فيه ، فهو لا يجد من الرعاية والاهتمام ما يلبي حاجاته النفسية، فيتولد لديه ذلك الشعور بالإحباط ، والإهمال ، مما ينعكس سلبا على تصرفاته ، وأعماله ، فشعور الطفل بأنه منبوذ

ينعكس على تصرفاته ، وتعامله مع غيره ، فتبرز في هذه التصرفات أمور منها

أ - يقوم بأنواع من السلوك يقصد به لفت نظر الأهل : صراخ أو ضحك بصوت عال، أو القيام بنشاط زائد أو كثرة الشكوى، والتذمر ، أو كثرة الشقاوة، أو التخريب ، أو إتلاف أدوات المنزل والأثاث ، أو السرقة .

ب - القيام بسلوك يتميز بالمقاومة والعدوان ، والثورة والعناد فكثيرا ما نجد هؤلاء الأطفال مصدر تعب للمدرسة والمنزل وليس من السهل إخضاعهم للسلطة .

ج - نجد هؤلاء الأطفال يقومون بسلوك يدل على حقدهم على المجتمع وتحديدهم للسلطة. إن سلوكهم يدل على المرارة والغيرة ، وعدم الرضا . إنهم في الواقع يعبرون عن هذه المشاعر بطريقة تدل على عدم الاكتراث . (٢)

من خلال ما سبق ذكره يتضح الأثر الكبير الذي يرسمه فقد الأم على شخصية الفرد ، ونحن فيما مضى نتحدث عن شخص سليم ، خال من الإعاقة ، فكيف إذا أردنا أن نلمس هذه الآثار على نفسية هذا المعاق التي تأتي من آثار الإعاقة ، لنكمل عزف

(١) نفس المرجع ص ١١٨

(٢) نفس المرجع ص ١٢١



أوتار أحزانها بفقد الأم ، وما يترتب عليه من آثار نفسية ، إذاً لا نخطيء إن قلنا إن آثار حرمان المعاق من والديه ، وبخاصة أمه ، يكون أضعاف أثر الإنسان السليم ، لأن احتياج المعاق لهما ، وبخاصة أمه يكون أضعاف احتياج الإنسان السليم ، فإن أردنا أن نقيس أثر حرمان المعاق من أمه فعلينا أن نستشعر تلك العلاقة المميزة التي تجمع بين المعاق وأسرتة ، وبخاصة أمه ، فهي الرفيقة ، وهي المعينة ، وهي الهادي للطريق بعد أن أطفئت شمعة عينه . لذلك فإن اعتماد الفرد المعاق على والديه وخاصة أمه يكون أكبر من غيره ، كما أن مساحة الشعور بالأمان التي يبحث عنها ذلك المعاق أكبر من غيره، وعليه فإن الأثر النفسي الذي يتركه فقد الأم على المعاق يكون أكبر ، وأعمق من ذلك الأثر الذي يشعره الإنسان السليم. فينتج عن ذلك الإحساس شعور بالغرابة ، ورغبة جامحة إلى معانقة ذلك الحنان المفقود ، وهو ما نلمسه في كتابات البردوني عن المرأة.

يقول واصفاً المرأة : " فعندما تحركت خطوات الإنسان ، واكبت المرأة الرجل، بل سبقته فكان وراء كل بطل أم بطله، وخلف كل متفوق أم متفوقة"<sup>١</sup> من هنا يتضح ذلك الشعور بالرغبة عن الحديث عن الأم ، مع أنه في هذا المقال كان يتحدث عن يوم المرأة العالمي ، إلا أن إحساسه بذلك الحنين إلى أمه قاده إلى ضرب هذا المثل مع التغيير المصاحب له ، فقد اعتدنا القول : إن وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة ، دون أن نقيد هذه المرأة بالأم ، فقد تكون أما ، أو زوجة ، أو غير ذلك ، لكن البردوني أراد أن يقول لنا بشكل غير مباشر إن أعظم مؤثر في حركة الفرد هي أمه، إنه شعوره

(١) قضايا يمنية / عبدالله البردوني ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٥ ، ١٩٩٦ م ، ص ٣٥٦

الذي لازمه ومشاعره الجارفة تجاه أمه ، تظهر كلما عَن ذكر للمرأة ، فالمرأة عند البردوني لا بد أن تلبس وشاح الأمومة "لأنها نقطة انطلاق الرجل يأتي منها كما تأتي الثمرة من الشجرة، ويأتي إليها كما يأتي القاطف إلى العناقيد، فهي مصدر العطاء" (١) العطاء الذي حرم منه البردوني ، فأخذ يبحث عنه في كل زاوية من حياته ، فعندما لم يجدها ، ذرف عليها دموعه الدامية ، فرثى أمه ، بقلبه قبل لسانه ، فخرجت تلك العبارات لتجسد حجم المعاناة .

تركَني ها هنا بين العذاب و مضت ، يا طول حزني و اكتئابي

تركَني للشقا وحدي هنا و استراحت وحدها بين التراب

حيث لا جور ولا بغي ولا ذرة تنبي و تنبي بالخراب

حيث لا سيف و لا قنبلة حيث لا حرب و لا لمع حراب

حيث لا قيد ولا سوط و لا ظالم يطغى و مظلوم يحابي (٢)

يعبّر البردوني عن حجم المعاناة التي يشعر بها بسبب فقد أمه ، فيبدأ بقوله ترَكَني ، ليعبر عن التصاقه بها ، وشدة ارتباطه بها ، فالترك يدل على عدم رغبته في ذلك الفراق الذي حكم الله به أن يكون ، ولا يسعه إلا التسليم بقضاء الله وقدره ، وإن كان قاسيا ، ومؤلما ، ثم إن تركها جعله وحيدا يحيط به العذاب من كل الأمكنة ، فقوله بين العذاب دليل على سيطرة العذاب عليه ، هذا الترك جعله يتعمق في الأحزان ، ويغرق في الاكتئاب ، الذي يعاني منه سابقا بفقد بصره ، فجاءت هذه المحنة لتزيد الطين برة ، ثم ينتقل إلى التعبير عن فلسفته للموت ، وكيف أنه السبيل الأمثل للراحة

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٥٦

(٢) ديوان البردوني ص ١٠٨

الدائمة، السبيل الذي طالما تمناه ، لكن الأقدار أراحت أمه وتركته هو لشقاء الحياة ،  
 حرمة هذه الأقدار من أن يتنعم بالموت ، وأبقتة يصارع هموم الحياة ، لكذّه هذه  
 المرة وحده دون معين أونصير يأخذ بيده في ظلمتها .

ويظهر في هذا المقطع العمق النفسي لشخصية البردوني ، والذي تسبب فيه كثير من  
 العوامل على رأسها ، عماء ، وفقد أمه ، فعبارات الحزن ، والاكئاب ، والوحدة  
 ظاهرة على تعبيرات البردوني ، مما يعطينا صورة واضحة عن أعماق نفسية  
 البردوني ، وأثر هذه الظروف عليها .

خَلَّفْتَنِي أَذْكَرَ الصَّفْوِ كَمَا      يَذْكَرُ الشَّيْخُ خِيَالَاتِ الشَّبَابِ

و نَأْتِ عَنِّي وَ شَوْقِي حَوْلَهَا      يَنْشُدُ الْمَاضِي وَ بِي - أَوْ آه - مَا بِي

وَ دَعَاهَا حَاصِدَ الْعَمْرِ إِلَى      حَيْثُ أَدْعُوهَا فَتَعْيَا عَنِ جَوَابِي

حَيْثُ أَدْعُوهَا فَلَا يَسْمَعُنِي      غَيْرَ صَمْتِ الْقَبْرِ وَ الْقَفْرِ الْيَبَابِ

موتها كان مصابي كآله      و حياتي بعدها فوق مصابي<sup>(١)</sup>

تركته أمّه يتذكر ذلك الماضي الجميل الذي عاشه بقربها ، مع أن هذا الصفو ليس إلا  
 خيالاً فحقيقة ماضيه مأسوئية ، إلا أنها أقل مما يشعر به الآن ، فمصيبة أهون من  
 مصيبة ، فهذا الماضي ، شبيه بتخيلات شيخ لأحلامه الشبابية ، لا يستيقظ على فاجعة  
 أمه ، التي حرمة من أن يستمتع بنغم صوتها الذي كان أنيسه في وحدته ، فأصبح لا  
 يعيد له رجع سؤاله ، وحال بينه وبين ذلك الصوت تراب القبر ، فكانت أعظم مصيبة  
 مرت عليه ، فموتها كل مصابه ، مصاب لا يعدله مصاب ، وأكبر منه حياته بعدها ،

(١) المرجع السابق ص ١٠٨

فهي المصيبة الأعظم ، والفاجعة الأدهى ، والأمور ، فكيف يستطيع أن يعيش حياته دون أن تكون أمه فيها . فهي مصيبة إن لم تكن أكبر من فقدها فهي على الأقل مساوية لها .

أه " يا أمي " و أشواك الأسي تلهب الأوجاع في قلبي المذاب  
 فيك ودّعت شبابي و الصّبا وانطوت خلفي حلوات التصابي  
 كيف أنساك و ذكراك على سرفر أيامي كتاب في كتاب  
 إنّ ذكراك ورائي و على وجهتي حيث مجيئي و ذهابي  
 كم تذكّرت يديك وهما في يدي أو في طعامي و شرابي  
 كان يضنيك نحولي و إذا مسّني البرد فزندانك ثيابي  
 و إذا أبكاني الجوع و لم تملكي شيئاً سوى الوعد الكذاب  
 هدهدت كفاك رأسي مثلما هدهد الفجر رياحين الرّوابي  
 كم بكت عـينك لمّا رأنا بصري يطفأ و يطوي في الحجاب

و تذكّرت مصيري و الجوى بين جنبيك جراح في التهـاب<sup>(١)</sup>

يبدأ البردوني رحلة تذكارية يعيش في أجوائها مع أمه ، أمه التي حكمت عليه أن يلقي بزمن الصبا في ذاكرة التاريخ ، فقد انتهت أيامه برحيلها ، وكأنها إشارة من البردوني إلى أن حياته معها كانت قريبة من سعادة الصّبا، وفرح وحلوات التصابي . كل ما في الحياة يذكره بأمه ، حتى عماه يعيد تلك اللحظات التي تشاركه يدا أمّه فيها ، فهي لا تفارقه أبداً ، إما قائدة له ، أو ساقية لظمئه ، أو سادة لجوعه، متفجعة على حالتي

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٠

الصحية . باكية على فقد بصره ، حزينة على مصيره ، وما تحمله الأيام من كرب لهذا الضرير، في مجتمع لا يرحم الأسوياء فكيف بالضعفاء . هذه الذكرى التي توقد في قلبها الأسى ، والحزن على مصير هذا الصغير المعاق ، الذي يحتاج لها في كل لحظات حياته ، شعر البردوني بعمق المأساة التي سببها لأمه ، فهو يشعر بذلك الهم الذي تحمله بسببه ، لذلك نجده ينطلق في نهاية القصيدة ليقول لها مطمئنا إن ذلك الصغير الذي كنت تخشين عليه من غائلة الزمان أصبح سمع الدنيا ، وبصرها ، أصبح شدوها ، وحزنها ، أصبح التاريخ يتحدث عنه بملء فيه ،

هأنا يا أمي اليوم فتى طائر الصديت بعيد في الشهاب

أملأ التاريخ لحنا وصدى و تُغني في ربا الخلد ربابي

فاسمعي يا أمّ صوتي وارقصي من وراء القبر كالحورا<sup>١</sup> الكعاب

ها أنا يا أمّ أرثيك و في شجور هذا الشعر شجوي و انتحابي . (٢)

لكن هذه السعادة لا تكتمل في اعتقاد البردوني لأن هذا الشدو لا يصل إلى أمه ، فقد تمنى أن تكون سامعة له ، راقصة على أنغامه ، فعندما يبس من هذا المطلب انتقل إلى رثائها بنفس الشعر الذي أراد أن ترقص على أنغامه .

كل هذا الحزن الذي ملأ قلب البردوني، رسم تلك النفس الثائرة على الحياة، الحياة التي لم تصف له منذ أن خرج طفلا وليدا في أسرة فقيرة تكابد شظف العيش ، إلى أن هبت أقدار عماء، إلى أن نزلت بساحته مصيبة فقد أمه، وكان هذه الحياة لا تعرف إلا

<sup>١</sup> كالحورا : قصر كلمة الحوراء ، ويكثر حذف الهمزة وقصر الممدود عند البردوني . ( الكعاب ) خطأ في الديوان والصحيح ( الكعاب ) بفتح العين .

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١١١

البردوني لتعاود كلم جراحه كلما برأت ، وكأن هذه الجروح أصبحت قدر الابد أن يسير عليه البردوني

أبدا أسير على الجروح وأنتهي حيث ابتدأت فأين مني المختم (١)

والهموم رفيقة دربه ، وكأنها لا تعرف إلا قلبه المتفطر ، حتى خيم عليه اليأس .

وحدي أعيش مع الهموم ووحدتي باليأس مفعمة وجوي مفعم (٢)

فصاغ لنا فلسفة عجيبة لكل هذه الجراح التي يعانيتها ، فلسفة قائمة على الضحك المبكي .

أبكي فتبتسم الجراح من البكا فكأنها في كل جراحة فم

يا لا بتسام الجرح كم أبكي وكم ينساب فوق شفاهه الحمرا دم

وأصوغ فلسفة الجراح نشائدا يشدو بها اللاهي ويشجى المؤلم (٣)

(١) المرجع السابق ص ١١٢

(٢) المرجع السابق ص ١١٣

(٣) المرجع السابق ص ١١٢ - ١١٣

## ٣ - ثقافته :

لا يشك أحد في أن ما يحيط بالإنسان يسهم بشكل أو بآخر في تكوين توجهات هذا الفرد ، سواء بشكل كبير يظهر على تصرفاته المختلفة ، أو بدرجة بسيطة ، قد يجدها المتتبع لتفاصيل حياة هذا الفرد . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خير شاهد على أثر البيئة في توجهات أفرادها حين قال : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " <sup>١</sup> ، ثم يعقب عليه ابن حجر بقوله : " الكفر ليس من ذات المولود ومقتضى طبعه بل إنما حصل بسبب خارجي ، فإن سلم من ذلك السبب استمر على الحق " <sup>٢</sup> . فهذا الحديث يدلنا على أثر البيئة الخارجية في الفرد ، وكيف أنها تحدد اتجاهاته المستقبلية . فالدين هو أهم مقومات بناء الشخصية ، فإذا كان عرضة للتغيير بسبب مؤثرات خارجية ، فما عداه أولى بأن يتأثر بهذه المؤثرات . وهذا ما يقرره علماء النفس ، إذ "تستند التربية في هذا المجال إلى فهم صحيح للعوامل المؤثرة في تكوين الشخصية، ونموها ، كعوامل الوراثة ، والعوامل البيئية الطبيعية ( المادية ) والاجتماعية ، وطبيعة وقوة المثيرات الثقافية ، وطبيعة ومستوى الخبرات والمؤثرات الأخرى " <sup>٣</sup> ، فشخصية الفرد هي نتاج ظواهر خارجية أثرت في تكوين هذه الشخصية، مع الاستعداد الذاتي . فإذا عرفنا أن الأسلوب هو الفرد ، أو كما يقول بيفون " الأسلوب هو الرجل نفسه " <sup>٤</sup> " بهذا تكون التجربة الفنية أو الصورة الأدبية تعبيراً

<sup>١</sup> فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج ٣ باب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ص ٢٩٠

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٢٩٢ .

<sup>٣</sup> مدخل إلى مبادئ التربية ، محمد عكيلة ، سمير هوانة ، حسن طه ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ط ١ ص ٢٦

<sup>٤</sup> المدخل في دراسة الأدب - مريم البغدادي ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٩٨٢ ، ط ١ ، ص ٤٤

غير مباشر عن شخصية الأديب . حيث إن الآثار والنصوص تصدر مباشرة عن نفس الأديب . وعلى هذا يكون الأدب سجلاً للتاريخ الخاص بالأديب ، وصورة لشخصيته بوجه عام" <sup>١</sup>. فإذا أردنا أن نبحث عن سر توجه البردوني إلى الأسلوب الساخر ، كان ضرورياً أن نبحر في أعماق تجربته الثقافية لنكشف عن أسباب هذا التوجه ، ونحاول أن نجد مبررات لا نخاذله الأسلوب الساخر منها وأسلوباً يتناول فيه أغراضه الشعرية. ويعبر به عن قضاياها الشعرية . فإذا رجعنا للبردوني لتتبع أثر هذه الثقافة التي وجهته هذه الوجهة الساخرة ، فيمكن أن نقسم المؤثرات الثقافية التي أسهمت في بناء شخصية البردوني الساخرة إلى:

#### ١ - أثر المجتمع :

لا يستطيع الإنسان العيش بمفرده ، فهو يحتاج إلى المجتمع الذي يتفاعل فيه سلباً، وإيجاباً " يقول أرسطو إن الإنسان كائن اجتماعي لا يعيش إلا في مجتمعات . والإنسان اجتماعي لحاجته . لأن الإنسان يولد وهو أكثر الكائنات الحية ضعفاً . فهو لا يستطيع تلبية احتياجاته ولا توفير الحماية لنفسه ويحتاج لمدة تطول كثيراً بالنسبة للمدة التي يحتاجها غيره من الكائنات الوليدة حتى يشتد ساعده ويستقل عن الاعتماد على غيره" <sup>٢</sup> إذا كان الإنسان محتاجاً إلى المجتمع كمؤثر في بناء شخصيته ، فإن طبيعة أفراد المجتمع ، وطرق عيشهم تؤثر في شخصية الفرد ، وفي تعامله مع الأحداث ، وبناء طرائق التفكير ، وقد عُرِفَ عن أهل اليمن أنهم أصحاب رقة في القلب ولين في الفؤاد، قال صلى الله عليه وسلم : " أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٤٤

<sup>٢</sup> مدخل إلى مبادئ التربية - ص ٩٥



## الفصل الأول

## :وواقع السخرية عند البردوني

## أ / الدوافع الذاتية

وأرقّ أفندةً ، الإيمانيمانٍ والحكمة يمانية والفقهِ يمان " ١ ، كان لهذه الرقة أثرها في تعامل أهل اليمن مع الأحداث تعاملًا يميل إلى الفكاهة ، بدل الصدام ، فعرفوا بنكاتهم ، وتعليقاتهم الساخرة . فإن توجهنا إلى دمار موطن البردوني ، وجدنا أن أهلها خاصة يمتازون بهذه الروح المرحّة ، فهم أهل نكتة حاضرة في تعاملهم مع الأحداث ، إلى درجة أنها أصبحت رمزا للمنطقة، ودلالة فارقة في شخصية الذماري ، فارتباط الفكاهة بالذماري ، ارتباط وثيق ، كارتباط جحا بها في الموروث الأدبي العربي هذه النشأة الذمّارية كان لها دور في بناء شخصية البردوني الساخرة فيما بعد ، فقد سار في طرح فكره ، وأدبه على النمط الذي تعود عليه وعاشه منذ نعومة أظفاره . سخرية يجسد فيها روح المعاناة بقلب ضاحك باك . فعندما يدخل ذلك اللص المسكين داره بحثًا عن غنيمة ، يشكره البردوني لأنه لم يزعجه بالدخول .

شكرا دخلت بلا إثارة	وبلا طفور أو غرارة
لما أغرت خنقت في	رجليك ضوضاء الإغارة
لم تسلب الطين السكون	ولم تُرِعْ نوم الحجاره
كالطّيف جنّت بلا خطي	وبلا صدى وبلا إشارة <sup>٢</sup>

دخول آثار إعجاب البردوني لكنه سرعان ما بدأ يتحسر على هذه البراعة أن ترجع  
صفر اليدين :

أرأيت هذا البيت قز	ما لا يكلفك المهارة
فلئنّيته ترجو الغنا	ثم وهو أعرى من مغارة

<sup>١</sup> صحيح مسلم ج ١ ص ٥٢ - ٥٣  
<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٤٩٧

لم يكتف البردوني بهذا القدر من سخريته بهذا اللص الغبي ، وإنما راح كعادة أهل  
ذمار يشتم به ، ويتندر عليه . ويعتذر له ،

يالص عفوا إن رجعت بدون ربح أو خساره

لم تلق إلا خبيبة ونسيت صندوق السجاره

شكرا أتتوي أن تشرفنا بتكرار الزياره<sup>١</sup>

لقد غادر ذلك اللصّ ، لكن البردوني يعيش مأساة أخرى مع حارس المسئول الذي  
أوصل له آخر التحريات .

سيدي هذي الروابي المنتنه لم تعد كالأمس كسلى مذعنه

(نقم) يهجس يعلي رأسه ( صبر ) يهذي يحدّ الألسنه

( يسلح ) أيومي يرى ميسرة يرتئي ( عيبان ) يرنو ميمنه

لذرى ( بعدان ألها مقلّة رفعت أنفا كأعلى مئذنه<sup>٤</sup>

ليأتي رد ذلك المسئول في غاية الغرابة والعجب !

اقتلوهم واسجنوا آباءهم واقتلوهم بعد تكبيل سنه<sup>٥</sup>

لم يتوقف أمر الحاكم عند هذا الحد من السطحية ، بل زاد شناعة ، وجهلا في جوابه  
الجديد على الحارس :

أمركم لكن ! (ولكن) مثلهم سيدي هذي أسامي أمكنه<sup>٦</sup>

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤٩٧

<sup>٢</sup> (نقم ، صبر، عيبان ، بعدان ) أسماء جبال في اليمن .

<sup>٣</sup> ربوة بين منطقة صنعاء والمناطق الوسطى

<sup>٤</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٧٤١

<sup>٥</sup> نفس المرجع ج ١ ص ٧٤١

<sup>٦</sup> نفس المرجع ج ١ ص ٧٤٢

لتكتمل فصول سخرية البردوني بتلك العنجهية ، والحذقة غير المنطقية من المسئول

الذي أخذه العزّة بالإثم ، وهو يحاول تفسير جهله بخزعبلات ما أنزل الله بها من

سلطان . ( صبر ) وغدّ أنا رقيته كان خبازا أجداه معججه

( نُقْمٌ ) كان حصانا لأبي اطحنوه علفا للأحصانه

أقتلوا ( يسلح ) ألفي مرة اسحبوا عيبان حتى ( مؤسنه )<sup>١</sup>

أقلعوا ( بعدان ) من أعراقه أنقلوا نصف ( بكيل مقبنة )

أمرمك لكن ! ولكن إقطعوا رأسه دع عنك هذي اللكنه<sup>٢</sup>

فإذا انتقلنا إلى حماسياته ، سنجده يتحدث عن حماسيات يعرب الغازاتي ، ومن عنوان

القصيدة تبدأ رحلته الساخرة ، فهي حماسة غازية لا بقاء لها على أرض الحقيقة ،

ليرتحل بعد ذلك وفي مفارقات عجيبة بين ما كان وما صار .

نحن أحفاد عنتره نحن أولاد حيدر<sup>٣</sup>

كلنا نسل خالد والسيوف المشهره

يعربيون إنما أمنا اليوم لندر

أمراء وفوقنا عين ريجن مؤمره

وسكاكيننا على أعين الشعب مخبره

نحن للمعتدي يد وعلى الشعب مجزره<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> ( مؤنسة ، مقبنة ، بكيل ) أسماء مناطق باليمن .

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٧٤٢

<sup>٣</sup> يقصد بحيدرة ( علي بن أبي طالب كرم الله وجهه )

<sup>٤</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٧٧

لتستمر بعد ذلك السخرية عندما يثبت تلك البطولات التي يفخر بها العربي ، متنازلا عن دوره الحقيقي الذي يتطلب منه بطولة حقيقية .

في الملاهي لنا الأمام      في الحروب لنا المؤخره  
نحن في اللهو أقوياء      وفي الحروب مسخره  
إننا أجبن الـورى      عندما الحرب مسعره  
ونمور على الظباء      وعلى الصقر قُبـرة  
نحن في الهزل وثبة      نحن في الجد قهقهـره<sup>١</sup>

فعندما يجتمع مطلع القصيدة (نحن أحفاد عنتره) و ( نحن أحفاد حيدر ) ،  
( وكلنا نسل خالد ) ، و ( ونسل السيوف المشهرة ) يكون هناك تقابل محزن في  
تبدل الحال من زمن الشجاعة والعزة إلى زمن الذل والهوان، والرضوخ والاستسلام ،  
بل صرف الهمة والبطولة إلى أمور لا تتناسب مع ذلك الدور العظيم الذي وكلت به  
الأمة .

فيصبح التقدم للأمام في الملهى دون الحرب ، وتصبح القوة في اللهو دون الجد ،  
وتصبح البطولة في الكرة دون الحرب .

هذه الروح الساخرة التي كان البردوني يبثها في كثير من قصائده أتت ، دليلا على أن  
هذه الروح التي تشبع بها البردوني منذ صغره ، إنما هي تجربة حياة تعود البردوني  
أن يعيشها في تفاصيل حياته ، مثله كمثل أي نماري، يقابلك بتلك الروح المرححة التي  
تبحث عن الحق في صورة ابتسامة، لأن الأدب لا يستطيع مهما كان فرديا أو ذاتيا ،

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٧٨

ومهما بلغت درجات الوجدان والعاطفة، ومهما حاول أن يكون تعبيراً خالصاً عن تجربة الأديب وروحه، ومزاجه، لا يستطيع بأي حل من الأحوال أن يعيش منزوياً، أو بعيداً عن الحياة<sup>١</sup>.

٢ - أثر التراث :

نشأ البردوني في أحضان التراث العربي، فنهل من نبع أبي تمام، وصاحب المتنبي في بحثه عن الطُّك، وعاش تجربة المعري بكل تفاصيلها، وجالس أبا نواس وصافاه، فكل شاعر عربي لا بد أنه تأثر بالشعراء العرب في العصور السابقة، فبينني وبينه وبينهم جسوراً من العلاقات الثقافية، يستطيع من خلالها " أن يعيش في جلودهم، ويرى بأبصارهم، وأن يحس بقلوبهم ليشعر معهم بما كانوا يشعرون به، ومن هنا يلتقط الضوء، وبعد ذلك يترك نفسه لوجدانه هو، ولعصره هو، ولظروفه هو، وكيفما وجهته موهبته، فليكتب، ولكن، بعد أن يكون قد زوّد نفسه بزاد انطوى في اللاوعي وساعده على إنشاء شعر جديد، وفي الوقت نفسه يكوّن شعراً عربياً يكون فصلاً من فصول ديوان الشعر العربي " <sup>٢</sup> لذلك وجدنا البردوني يتأثر بما قرأه خلال مسيرته العلمية ويقاسم كل الثائرين حياتهم، وهمومهم، فلاقت تلك الشخصيات الثائرة بذرة ثورية في نفس البردوني، فسقتها بماء السخرية. لتنتج شعراً رافضاً لواقع أليم عاشه المجتمع، رافضاً كل طرق الاستبداد التي عانى منها الفرد البسيط في ظل تسلط المسئول، والفرد القوي. الأمر الذي جعل البردوني يستخدم تلك الرموز التاريخية في نقض ذلك الواقع المرير الذي يعيشه، ويحاول من خلال

<sup>١</sup> الأدب وقيم الحياة المعاصرة - محمد العشماوي، دار النهضة، ١٩٨٠ - ص ١١

<sup>٢</sup> مجلة الموقف - حوار مع الدكتور زكي نجيب محمود - العدد ١٣ / ١٤ - ص ١٧٥

طرح تلك الأسماء أن يربط المتلقي بمعاناة هذه الشخصيات . فالتجربة الإنسانية ، مهما اختلف زمانها ، ومكانها تبقى معينة لفهم الواقع، بل ومساعدة في التخلص منه ، وما الواقع سوى ركام ماضٍ في دورة الحياة ... والشاعر المبدع يرى العالم مسرحاً تتكرر فيه التجربة الإنسانية على مر الدهور <sup>١</sup> ، فمهمة ذلك المبدع هو تلقف تلك الرموز ، وربطها بالواقع ، ربطاً يجعل منها جسراً يعبر من خلاله المتلقي إلى عوالم جديدة بعيدة عن واقعه ، ليقوم بعد ذلك بتلك الإسقاطات التي تعيده بشكل غير مباشر إلى واقعه ، بعيداً عن كل المضايقات . وهو في رحلته هذه سيجد مئات الأصوات رهن تصرفه الفني، ترن في وجدان المتلقي وسمعه ، بأبعاد من تجربته المعاصرة ، وهذه الأصوات لها في سمع المتلقي صدى لا يخطئ وجدانه التقاطه <sup>٢</sup> مما يدفعه إلى الحركة ، وكسر الروتين الرهيب الذي يقيدته ، والتمرد على ذلك الواقع الذي سلبه حقه في الحياة ، فالشاعر في رصده الواقع ومزجه بالماضي ، إنما يتعمق تلك النفس الإنسانية الدافعة للأحداث <sup>٣</sup> ، فهو يتخذ تلك الشخصية بوابة للعبور إلى نقد الواقع المعاش ، فتلك الصرخة التي أطلقها البردوني مخاطباً أبا تمام ، إنما هي صرخة ألم ، وضجر بذلك الواقع المرير ، فشخصية أبي تمام العربية التي انفجرت بعزة الإسلام وبشهامة العربي مؤيدة للمعتصم في دك حصون الروم ، تنظر بعين الحسرة إلى واقع العروبة اليوم ، في مفارقات بين الحالين .

ماذا جرى .. يا أبا تمام تسألني ؟ عفوا سأروي .. ولا تسأل .. وما السبب

<sup>١</sup> عبدالله البردوني حياته وشعره - ص ٦٨

<sup>٢</sup> استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي ، على عشري ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٧٨ م ، ط ١ - ص ١٩

<sup>٣</sup> عبدالله البردوني حياته وشعره ص ٦٨

يدمى السؤال حياء حين نسأله      كيف احتقت بالعدى حيفا أو النقب  
من ذا يلبي ؟ أما إصرار معتصم      كلا وأخزى من الأفشين ما صلبوا  
اليوم عادت علوج الروم فاتحة      وموطن العرب المسلوب والسلب  
ما ذا فعلنا ؟ غضبنا كالرجال ولم      نصدق .. وقد صدق التنجيم والكتب<sup>١</sup>  
تلك المفارقات التي تنقل المتلقي من ذلك الواقع المرير الذي يعيشه الشاعر ، ويعيشه  
معه المتلقي إلى تلك الحياة العزيزة التي عاشها أبو تمام .  
ليذوب بعد ذلك البردوني في تجربة ذاتية مع أبي تمام يبثه فيها أحزانه وآلامه ، لأنه  
وجد جسور التشابه تمتد بين ضفتيهما .  
حبيب هذا صدك اليوم أنشده      لكن لماذا ترى وجهي وتكتب  
ماذا أتعجب من شبيبي على صغري ؟      إني ولدت عجوزا .. كيف تعجب ؟  
واليوم أدوي وطيش الفن يعزفني      والأربعون على خديّ تلهتهب  
كذا إذا ابيض إيناع الحياة على      وجه الأديب أضاء الفكر والأدب<sup>٢</sup>  
ليخرج متفائلا بغد أفضل لأن مع اشتداد الأزمات يأتي الفرج .  
ألا ترى يا أبا تمام بارقنا      ( إن السماء ترجى حين تحتجب )<sup>٣</sup>  
في هذه القصيدة صرح البردوني بشخصيته ، وأخذ يحاورها ، ويناقشها ، ليرسم تلك  
الصورة العكسية بين ماضى الأمة وحاضرها ، مع ذلك الأمل الذي يترجى أن يعود  
لأن شدة تأزمت ولا بد من يوم يكون فيه الفرج .

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٦٢٤

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٦٢٨

<sup>٣</sup> نفس المرجع السابق ص ٦٢٩

وقد يلتحم البردوني بشخصية تراثية أدبية ، ويتحدث بلسانها إلى شخصية أخرى ، ليحكم القناع الذي يتخفى خلفه ، ويتيح لنفسه قدرا من الحرية ، وهو في الحقيقة يسقط عليها واقعه القاسي لينأى عن المضايقة والإرهاب ، فقد التحم البردوني بالمتنبي زمنا ولسانا ، من خلال تقليده الفني لمعارضته ، ليواسي أبا نواس في محنته مع الرشيد والأمين ، في حين أنه يسقط عليه واقعه ، فقد نشرت السلطة الإمامية إرهابها باسم جلد باعة الخمر وشاربيه سنة ١٣٧٩هـ في اليمن ، والشعب محروم من الخبز ، ولا يمتلك الخمر سوى الأئمة ووطنهم ، وإنما القرار لفرض الحكم قسرا ، والإيحاء بظلال الحكم الإسلامي ، ولتدمير فئة المثقفين الراضين للتخلف ، وتشويه مكانتهم لدى العامة بهذا الاتهام البغيض .<sup>١</sup>

وقد جاءت معارضته للمتنبى في قصيدته :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عانا

وتولوا بغصده كلهم من ه وإن سرّ بعضهم أحيانا<sup>٢</sup>

ليكون موقف البردوني مختلفا عن موقف المتنبي ، فعندما يجد المتنبي نفسه مستسلما لمصائب الحياة ، مفلسا لها نجد أن البردوني يرفض الاستسلام للزمان بل ويقول إنّ باستطاعة الإنسان قيادته و التغلب عليه .

لو تسامت عقولنا عن هوانا لهدينا الهدى وقدنا الزمانا

ولسرنا وخطونا يلد الفج رالمغدى ... وينبت الرّيحانا

لو تلّظت قلوبنا بسنى الحب ب لما عانت العيون الدخانا

<sup>١</sup> عبدالله البردوني حياته وشعره ص ٧٧

<sup>٢</sup> ديوان المتنبي - الشيخ ناصيف اليازجي - ج ٢ ص ٩٠٠



لو كبحنا غرورنا لمألنا من عطايا الوجود وسع منانا<sup>١</sup>  
 لتبدأ بعد ذلك مفارقات البردوني الساخرة ، التي تصف تراجع المجتمع ، وكأنها  
 الوصفة التي سيستشفى المجتمع عندما يطبقها .

ونسمي لصّ الحياة شـجـاعا ونسـمي عفّ الـيـدين جـبانـا  
 نحن غرس الإله يحصده الله ه لماذا تعيث فيه ... يـدانـا ؟  
 مالنا نسبق الحمام إليـنا وهو أمضى يدا وأحنى بنانا ؟  
 ونخاف العدى وحين نعادي هل درينا أتّا خلقنا عدانا  
 لو نفضنا شرورنا لرأيـنا أوجه الخير في الضياء عيانا  
 نحن نبدي عيوبنا حين نرمي بالخطايا فلانة أو فلانا  
 نحن لو لم نكن أصول الخطايا ما رأينا ظلالها في سوانا  
 كم سألنا التفتيش عن جيفة الإثم م وسرنا والإثم يحدو خطانا  
 وهتكنا مخابئ الإثم في الحـي ي وعدنا نفتش الأكـفـانا<sup>٢</sup>

ليقف بعد ذلك مع تلك المفارقة التي جعلها بين الشعب المتمثل في شخصية أبي نواس ،  
 المحروم ، المعذب ، من أجل راحة القسيم الآخر وهو الحاكم المتمثلة في شخصية  
 ( الرشيد ، المامون ، الأمين ) التي تجد كل المتع ، بل وتتمتع بإذلال ذلك المعذب  
 المسمى شعبا .

ما ترى يا أبا نـواس ؟ ترى ال أكواب ملأى وتحتسي الحرمانا  
 تشتتهي مدامة ... لم تجدها فتغني خيالها الفتـانا

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٣٤١

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٣٤٢

لو وجدت الرحيق ما ذبت شجوا وتحرقت في المنى أشجانا  
 شاعر الحب حين يهجره المحد بوب يفتن في الحنين افتنانا<sup>١</sup>  
 لقد فلسف لنا البردوني ، تعشق أبي نواس للخمرة ، فهو عندما حرم منها بدأ يحن  
 للقائها، لأن المحبّ إذا هجره الحبيب تعلق به ، وافتتن به أشد الافتتان ، لتأتي تلك  
 المقارنات بين الحاكم والمحكوم ، فأحدهما يتمتع بكل ما يريد ، والآخر يعيش على  
 الأمنيات ، ويتضور ألماً وجوعاً .

ملك يرضع الدنان كما يهـ وى وأنت الذي تغني الدنانا

والأمين النديم يمنعك الخـم ر ويحسو وتنحني ظمانا

وهو في القصر يحتسي عرق الشعـب ويروي القيان والغمانا

ويرى انه أمين على الديـن ن وإن ضيع الرشاد وخانا

كيف يحمي دين الإله ظـلوم يتحدى الإله والإنسانا

يدعي عصمة الملائكة الطـهـر ويأتي ما يخجل الشيطانا<sup>٢</sup>

بهذا يخرج البردوني بتلك الصرخة التي تقول للحاكم لا تحرم علينا شيئاً نحن لا  
 نجده، بل حرم على نفسك ظلمنا وتعديك على حقوقنا .

إن المتأمل يجد أنه أجاد في استغلال ثقافته ، عندما استطاع أن يوظف ثقافته في خدمة  
 إبداعه الشعري فهناك الكثير من الثقافات المعاشة التي حولها البردوني بمقدرته الفنية  
 إلى نمط شعري خاص به . فمن الميسور عليه أن يطوع أصعب الثقافات للفن

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ص ٣٤٤

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٣٤٥

الشعري كما فعل المتنبي الذي قعد لشعره الفلسفة الديمويّة والرؤية القرمطية ، فأتى بثقافة جديدة في 'نسيج الشعر' .

لم يكتف البردوني بالإبحار في موروته الثقافي شعرا ، بل تعدى ذلك إلى الكتابة النثرية ، فقد كتب دراسة لشعر الزبيري، أستاذه الذي تعلق به كثيرا، بل مثله الأعلى، والذي قاد فكره الثوروي ليكتب عنه دراسته التي كانت ثورية حتى في عنوانها ، حيث أطلق عليها " من أول قصيدة ، إلى آخر طلقة ، دراسة في شعر الزبيري " كل هذا الموروث الثقافي الذي نهل منه البردوني مع ما عاناه شكل تلك الشخصية الثائرة ، التي جعلت أهم سلاح تدافع به عن همومها وأحزانها ، هو سلاح السخرية التي رفع لواءها البردوني في وجه مصاعبه التي نغصت عليه حياته ، لتكون ذلك البلمس الذي يمر على جراحه فيسكنها .

قلبي القلب إن بكى رقّص الـ	دنيا بكاه وحول الدمع فدّا
دمعة الفن بسمة في شـفاه الـ	خلد أصفى من الصباح وأسنى
في ظلال الربيع قطرات أنـ	فلي نشيدا أرقّ منه وأحنى
وعصرت الشجون في الروضة الـ	غذا لحونا أندى وفنا أغنا
أنا أشدو لكلّ قلب طـروب	أنا أبكي لكلّ قلب معنى <sup>٢</sup>

هذه الفلسفة البردونية في تناوله للشعر ، يرفض الظلم ، ويغني للحياة بكل أشكالها

<sup>١</sup> من أول قصيدة إلى آخر طلقة - عبدالله البردوني ، دار البارودي ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ط٣ ، ص ٣٠٧

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج١ ص ١٢٢

## ب/ الدوافع الخارجية :

## ١- أثر الحياة السياسية :

قبل أن نلج في أثر الحياة السياسية في توجه البردوني الساخر كان من الواجب على البحث أن يعطي فكرة موجزة عن تلك الفترة الزمنية التي ترعرع فيها البردوني وعن أهم الأحداث التي صاحبت رحلة البردوني الحياتية . فبعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى اختتمت اليمن " عملية تحررها في شمال البلاد والاعتراف بسيادتها في العام التالي " <sup>١</sup> في هذه الفترة كان اليمن على موعد مع انتهاء " الدور العثماني ( الثاني ) في اليمن ، لتدخل حقبة جديدة في ظل حكم الإمام يحيى حميد الدين الذي كان أطول من حكم من أئمة بيت القاسم ، كما استمر الوجود البريطاني في عدن وجنوب البلاد " <sup>٢</sup> انتهى العصر العثماني ليبدأ عصر كان اليمنيون يتوقون إلى أن يكون خيرا من سابقه ، لكن هذا الشعب استيقظ ليجد نفسه أمام نفس الوضع السابق " الذي انتهج سياسة الرجل الديني من أول يوم للاستقلال الوطني " <sup>٣</sup> ليجد اليمن نفسه في يد رجل " تميزت سياسته بالانعزال والانغلاق مما تسبب وكما يرى البعض من المفكرين في عزل اليمن عن بقية العالم ، وهذا ما صوره الشاعر محمد محمود الزبييري في روايته مأساة واق الواق التي تناول فيها عزلة بلاده عن العالم ، وحلم فيها بجنة منتظرة - مدينة فاضلة - وقد تخلصت من كل ما كانت تقاسي منه

<sup>١</sup> تاريخ اليمن الحديث والمعاصر - حسين العمري ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١ م ، - ص

٢٠١

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٢٠١

<sup>٣</sup> ابن الزبيير - - ص ٣٨

صنعاء فلا ظلم ولا اضطهاد ، ولا قسوة ، ولا جبروت ، يعيش الإنسان فيها طليقا ، كالطيور والنسائم والزهور المتلاحقة من غصن إلى غصن وتلك تشبيهات أطلقها الزبيري في روايته ، وهو يرى أن تلك المدينة قائمة بالفعل ، ولكن في العالم الآخر ، حيث ينعم بها الشهداء، أما صنعاء والمدن اليمينية الأخرى ، التي ترضخ للظلم والقتل والنزاعات ، فهي مدن ميتة بالفعل ، وقد أقام لها في الجنة متحفا بشريا ، يدل على حس تشكيلي عميق ، سماه ، مقابر الأحياء " <sup>١</sup>

لقد رأى هؤلاء المؤرخون أن المسئول سيطر على كل مناحي الحياة في اليمن سيطرة كاملة ، وجعله يعيش في تاريخه ، ولا ينفك من ربة الماضي ، فمن يزور اليمن في تلك الفترة يجد أنه يعود " فجأة إلى القرن الثالث عشر الهجري ، فلا مدارس ، ولا جرائد ، ولا أدوية ، ولا أطباء ، ولا مستشفيات في اليمن ، إن المسئول هو المعلم والمحامي والكاهن " <sup>٢</sup> استمر النظام كما يرى بعض المؤرخين يمارس تلك السيطرة العنيفة على الشعب ، ويضطهده بكافة الأشكال من أجل ذلك نشبت "الحرب الأهلية بين اليمنيين من أجل إسقاط فاطمي ليحل محله فاطمي آخر " <sup>٣</sup> كانت السيطرة الإمامية متحكمة بجميع الأمور " فقد أصبحت الثقافة الإمامية هي سيدة الميدان سياسيا " <sup>٤</sup> فكان تنافس هؤلاء الأئمة فيما بينهم للحصول على الحكم، وكانت أفضل الطرق هي السيطرة على الشعب ولم يمكن أن يتم لهم ذلك إلا إذا نشروا بينهم

<sup>١</sup> شعر عبدالله البردوني - محمد أحمد القضاة - ص ١٢

<sup>٢</sup> ملوك العرب - امين الريحاني - مطبعة يوسف صادر - بيروت - لبنان - ١٩٢٤ م - الجزء الأول - الطبعة ٢ - ص ١٦٧ بتصرف

<sup>٣</sup> شعر عبدالله البردوني - أحمد القضاة - ص ١٦

<sup>٤</sup> اليمن الجمهوري - عبدالله البردوني - ٢٠٠٨ م ، ط ٦ ، ص ٢٩

الجهل لذلك " بناء على ما سبق من أقوال هؤلاء المؤرخين يتضح أن نظام الحكم في تلك الفترة ركز على تجهيل أبناء الشعب ، كي تسهل السيطرة عليهم فكريا ليتم تسليطهم على الطوائف الأخرى ، كما ازداد لديهم الانتماء القبلي المسلح الذي نماء أكثر الأئمة بجعلهم يتناحرون فيما بينهم ، فلم يوجد الأئمة في مناطقهم أية مشاريع اقتصادية تشغلهم عن الحرب والعصبية . واستمرت هذه السياسة بهذا الشكل إلى أن جاءت ثورة عام ١٩٤٨ م لتضع حدا لهذه السياسات التي أخرجت اليمن عن ركب الحضارة علميا وثقافيا واقتصاديا " <sup>١</sup>

بدأ عهد الثورات اليمنية ، وتفاعل الشعب بها خيرا غير أنها جاءت على نفس النسق السابق ، فما تغير هو اللقب أما طريقة العيش والتعامل مع الأحداث فبقيت على نفس المنهج السابق فكأنّ الزمان لم يتغير ، وكأنّ الأحداث تتكرر ، والتكرار الزمني يعيدك إلى نفس الفترة السابقة لأنه " يجعل الأزمان كلها زمنا واحدا ، وبهذا يفقد تأريخيته ، لأن التاريخ تحرك دائم يتكون من جملة التغيرات الإنسانية في الزمن ، وتغير الزمن في رؤية مفجري تغييراته ، فليس التاريخ مجرد اختلاف الليل والنهار ، فالتحرك التغييرية ، وتكرار المتشابه يشكلان الفرق بين التأريخ كصيرورة ، وبين الزمن كتعاقب أوقات " <sup>٢</sup> لم تكن كل الثورات إلا إحساساً بالظلم ولد انفجاراً ليس محسوب الخطة " المهم أن المرارة من الإمام يحيى كانت مؤهلا كافيا للانتماء إلى الثوار ، بغض النظر عن نوعية أفكار المنتمي . " <sup>٣</sup> لم يكن أمام الثوار أي برنامج بديل

<sup>١</sup> شعر عبدالله البردوني - محمد القضاة - ص ١٦ بتصريف

<sup>٢</sup> اليمن الجمهوري - عبدالله البردوني - ص ٤٢١

<sup>٣</sup> نفس المرجع السابق - ص ٤٢٤

يجعلونه هدفاً يسيرون إلى تحقيقه ، إنما هي رغبات لتغيير الوضع دون السؤال عن كيفية قيادة الدفة عند التغيير ، " لأن السخط وحده على أي وضع لا يكون سبباً جامعاً لإنهائه دون تبني بديل أفضل ، قد يكون السخط ثورة دائمة ، ولكن تحويله إلى وسيلة تغييرية يحتم رؤية الغاية من خلال الوسائل ، فلا يكفي السخط على الإمام يحيى بدون نظرية تغيير"<sup>١</sup>

لقد تغير الثوار ، وتغير الحكام لكن الوضع السائد في البلاد لم يتغير ، بل ازداد في بعض الأحيان سوءاً أكثر مما كان عليه في الماضي ، لقد قسم النظام الحاكم في البلاد الشعب إلى فئتين :

فئة تحكم البلاد ، ومعهم وزراؤهم ، وحاشيتهم ، يعيشون في أرغد عيش ، وفئة يتسلق على أكتافهم هؤلاء الحكام في وصولهم إلى تلك الكراسي ، ويذيقونهم في مسيرتهم أنواع الذل والمهانة ، ويجعلونهم في شظف من العيش ونكد . هي تلك الحياة السياسية التي عاشها البردوني ، وترعرع في خضمها ، وهو يشاهد تلك التحولات السياسية التي تأتي وتذهب ، والشعب قابع في مكانه لم يحصل على شيء من كل هذه التحولات ، والتغيرات التي حصلت على وجه السياسة اليمنية في تلك الفترة . لقد سكن اليمن قلب البردوني ، فكان نفسه التي تلوح بين جنبيه ، يغنيه لأنه عشقه الأول ، ويسكب عطر قصيده أنشده في ربوع أيامه ، يصوغ من حياته لحناً يطرب ذلك المحبوب :

أعندي لعينيك يا موطني      سوى الحرف أعطيه سكبا وغرف

---

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق - ص ٤٢٤

أتسألني : كيف أعطيك شعرا وأنت تؤمل دورا وجراف

أفضل للباء وجها بهيجا وللميم جيدا وللنون طرف

أصوغ قوامك من كل حسن وأكسوك ضوعا ولونا وعرف<sup>١</sup>

لقد قدم البردوني حياته مقابل أن تحيا يمنه ، قدم نفسه لكي يراها في أحلى حلة ، كل ما يتمناه أن يرى تلك الروابي وقد اكتست ثوب الحرية ، و تزينت بكرامة اليمينيين ، من دون أن يكون لأحد عليهم يد فضل ، حتى لو كان ثمن ذلك أرواحهم فهم يجودون بها دون تردد :

حدي سكيننا حـدي عنقي أغلى ما أهدي

أرجوك احتزي عمري أضحى شيئا لا يجدي

يعلو مشنوقا يهوي كرماد النعش الهندي

خبزي من كفيّ غيري غيري بينيه زندي

هيا ارمي رأسي عني وأريحيني من جلدي

ماذا تخشين ؟ اقتربي الحسن الوحشي يعدي

كوني حبا قـتالا ولتبتدئي من عندي

أرديني كي لا يلقى مستهدفني من يردي

من لا يردي لا يحيا أو تنتظرين ( المهدي ) ؟<sup>٢</sup>

إنها الحياة التي يريدونها البردوني ، حياة لا تكون إلا بالتضحية ، فلا تنبت الأرض إلا من خلال سقيها ، والعناية بها وتقديم التضحيات من أجلها .

<sup>١</sup> ديوان البردوني - ج ٢ ص ٩٤١

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٨٦٣



اجتثني من عرقي      يخضر مكاني بعدي  
 تورق ذراتي خيلا      أقلاما حبار عدي  
 من كل حصة ينمو      فلاح يزهو جندي  
 من تحت ركامي يحبو      آتيك يغني عهدي  
 قتلي بيدي من سري      ما أعياني أن أبدي<sup>١</sup>

عاش البردوني مأساة شعبه مع المسئول ، ليعبر عن تلك الحالة التي سيطرت على الشعب وهو يعيش بلا أمل ، مسلوب الإرادة ، فكل خطواته تائه ، في طريق لا تعرف نهايته

أخي صحونا كله مآتم      وإغفاؤنا ألم أبكم  
 فهل تلد النور أحلامنا      كما يلد الزهرة البرعم  
 وهل تنبت الكرم ودياننا      ويخضر في كرمننا الموسم  
 وهل يلتقي الريّ والظامئو      ن ، ويعتق الكأس والمبسم  
 لنا موعد نحن نسعى إليه      ويعتاقنا جرحنا المؤلم  
 فنمشي على دمننا والطريق      يضيعنا والدجى معتم  
 فمذا على كل شبر نجيع      تقبله الشمس والأنجم<sup>٢</sup>

كل هذا التخبط الذي يعيشه الشعب في ترحله نحو الحرية ، وضياح كل الطرقات أمام جبروت الحياة ، وظلم المتسلط ، يعيشه البردوني ومن خلفه الشعب بكل تفاصيله ، وبكل مسبباته ، وكأنه ينقل لنا صورة معبرة عن أوضاع تلك الفترة ، الفترة التي

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ص ٨٦٣

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٢٣٦

امتزجت بمعاناة الشعب ، وكانت شاهدا على طغيان النظام ، واستبداده ، الاستبداد الذي حول الحياة إلى جحيم لا يطاق :

سل الدرب كيف التقت حولنا ذئاب من الناس لا ترحم  
وتهنا وحكامنا في المـتـاه سباع على خطونا حـوم  
يعيثون فينا كجيش المغول وأدنى إذا لوح المـغـنم  
فهم يفتنون ألوف الألوف ويعطيهم الرشوة المـعـدم  
ويبنون دورا بأنقـاض ما أبادوا من الشعب أو هدموا  
أقاموا قصورا مداميـكها لحوم الجماهير والأعظم  
قصورا من الظلم جدرانها حواحتنا ابيضّ فيها الدم  
أخي إن أضأت قصور الأمير فقل تلك أكبادنا تـضـرم<sup>١</sup>

لقد رحل البردوني في بيان أوزار النظام في ذلك الوقت ، لكنه لم يغفل عن فلسفة هذا الطغيان حين راح ، يعلل بعض أسباب تجبر المسئول ، وخضوع المحكومين :

رأوا هدأة الشعب فاستذأبوا على ساحة البغي واستضغموا  
وكلّ جبان شـجـاع الفؤاد عليك ، إذا أنت مسـتـسلم  
وإذعاننا جرأ المـفسـديـن علينا وأغراهم المـتـأثم  
أخي نحن شعب أفاقت مناه وأفكاره في الكرى تحـلم<sup>٢</sup>

لقد تيقن البردوني أن الشعب هو من سلم قيادته للمستبد ليحركه كيف يشاء ؟  
أعذر الظلم وحملنا الملاما نحن أرضعناه في المهد احتراماً

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ص ٢٣٦-٢٣٧

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٢٣٨

نحن دللناه طفلا في الصبا      وحملناه إلى العرش غلاما  
 وبنينا بدمانا عرشه      فانتنى يهدمنا حين تسامى  
 وغرسنا عمره في دمننا      فجنيناه سجوننا وجرماما  
 لا تلم قادتنا إن ظلموا      ولمّ الشعب الذي أعطى الزماما<sup>١</sup>

لقد تعرّف البردوني على سبب ذلك الطغيان فأخذ على نفسه أن لا يسير مع الركب السائر ، وإنما اختط لنفسه منهاجا أراد فيه أن يكون مع أولئك الذين يضيئون الشموع في ظلمة الليل فأنت هذه الكلمات الراضة لكل ظلم المعبرة عن سخط الجميع في عيد يوم جلوس الإمام أحمد بن يحيى :

عيد الجلوس أعر بلادك مسمعا      تسألك أين هناؤها ؟ هل يوجد ؟  
 تمضي وتأتي والبلاد وأهلها      في ناظريك كما عهدت وتعهده  
 يا عيد حدث شعبك الظامي متى      يروى ؟ وهل يروى وأين المورد ؟  
 حدث ففي فمك الضحوك بشارة      وطنية وعلى جيبي نك موعد  
 فيم السكوت ونصف شعبك ههنا      يشقى .. ونصف في الشعوب مشرد  
 يا عيد هذا الشعب ذلّ نبوغه      وطوى نوابغه السكون الأسود  
 ضاعت رجال الفكر فيه كأنها      حلم يبعثره الدجى ويبدد<sup>٢</sup>

لقد رأى البردوني الخلاص ماثلا أمام عينيه وهو ينشد للثورة ، ويغني للثائرين على وتره الحزين ، لذلك وجدناه يمجد الثورة ويدعو الشعب للتخلص من ربقة الجلاّ دين :  
 هو الشعب طاف بإنذاره      على من تحداه واستعبدا

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ص ٢٦٤

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٢٤٦ - ٢٤٧

وشق لحوذا تعب الفساد	وتنجر تبتلع المفسدا
وأوما بحبات أحشائه	إلى فجره الخصب أن يولدا
أشار بأكباده فالتقت	حشود مداها وراء المدى
وزحفا يجنح درب الصباح	ويستنفر الترب والجلمدا
وينتزع الشعب من ذابحيه	ويعطي الخلود الحمى الأخلدا
ويهتف يا شعب شديدي على	جماجمنا مجدك الأمجدا
وعش موسما أبديّ الجنى	وعجسد بإبداعك السرمددا
وكحل جفونك بالنيترات	وصغ من سنى فجرك المرودا
لك الحكم أنت المفدى العزيز	ز علينا ونحن ضحايا الفدا <sup>١</sup>

ردد البردوني نداءات وطنه الذي أثقله القيد والسجن ، فكان صوته الصارخ، وفكره الرافض :

لن يستكين ولن يستسلم الوطن	توثب الروح فيه وانتخى البدن
أما ترى كيف أعلى رأسه ومضى	يدوس أصنامه البلها ويمتهن
وهبّ كالمارد الغضبان متشحا	بالنار يجتذب العليا ويحتضن
فزعزت معقل الطغيان ضربته	حتى هوى وتساوى التاج والكفن
وأذن الفجر من نيران مدفعه	والمعجزات شفاه والـدنا أذن
تيقظت كبرياء المجد في دمه	واحمر في مقاتيه الحقد والإحن <sup>٢</sup>

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ٢٦٩ - ٢٧٠

<sup>٢</sup> المرجع السابق ٣٦٥

تغنى البردوني بثورة الشعب ، ولدن لها أجمل أنغامه ، لأنه كان يراها المنقذ الوحيد لطغيان النظام ، فلا سبيل للخروج من هذه الأزمة إلا على يد الشعب ، غير أن كل هذه الأحلام تبددت حين ارتطمت أحلامه بجدار واقع الثورة ، لم يجد البردوني ومن خلفه الشعب اليمني أي انفراج لأزمته ، بل إتهم وفي كثير من الأحيان كانوا يتمنون الرجوع إلى ماضيهم لأنهم رأوا في الحاضر شرا يفوق ما عاشوه سابقا :

أتيت خريفا ، كما جئت صيف°  
 فليست مقيما ، ولا أنت ضيف°  
 بحسب اعتيادك تمضي تجيء  
 وتدعى لطيفا ، وليست اللطيف°  
 فلا أنت غيب ولا موعد  
 ولا أنت حلم ولا أنت طيف°  
 أتبدو جديدا وأنت القديم  
 بهذا تضيف إلى الزيف زيف°  
 لماذا ثولي لكي تنتثني ؟  
 أحققك كشفا فتعطي كُشيف°  
 على حالك اليوم تأتي غدا  
 كما جئت من ألف عصر ونيف°<sup>١</sup>

لقد أخلف الثوار في نظر الشاعر كل ما وعدوا به من عدل ، وحرية ، ومساواة ، وبدأوا يعملون لمصالحهم الذاتية :

ألم تعلنوا ثورة العدل يوما  
 وطورتموا باسمها كل حيف  
 سمنتم فيبستمو كل نام  
 كما تحتسي خضرة الزرع ( هيف )<sup>٢</sup>

لقد عايش البردوني مولد الثورات ليعيش في نفس الوقت وقت احتضارها ، وهو يبحث عن أمل يتشبث به .

<sup>١</sup> المرجع السابق ج ٢ ص ١١٤٥

<sup>٢</sup> هيف : ريح حارة تيبس الزروع والأشجار وتنشف المياة

<sup>٣</sup> ديوان عبدالله البردوني ج ٢ ص ١١٤٦

يا سبتمر ، قل لاكتوبر كلّ مدّا أمسى في قبرٍ  
 بين القبرين نحو الشّبرين أترى الحفّار أطال الشّبر  
 أسرعُ أنا ولحقت على خطّ المجرى طلّقت الصبر  
 نفس الشيطان أخذ العنوان وأتى وحشا في جلد الدّبر<sup>١</sup>

لقد اختلطت أوراق البردوني ، فلم يعد يثق في كل هذه الثورات التي تنادي بالحرية ، والعدل ، والمساواة ، فهي شعارات تحملها كل تلك الثورات سرعان ما تتبدد على أرض الواقع ، ويستمر الحلم لدى البردوني في إيجاد واقعه المأمول الذي دائما ما يتكسر أمام الواقع الحاضر فكلّ ميلاد يراه ويظنه أمل المستقبل سريعا ما ينهار أمام عينيه ليبدأ من جديد رحلة الهموم، والمعاناة بميلاد فجره الجديد .

ولدت صنعاء بسبتمبر كي تلقى الموت بنوفمبر  
 لكن كي تولد ثانية في مايو ... أو في أكتوبر  
 في أوّل كانون الثاني أوفي الثاني من ديسمبر  
 مادامت هجعتها حبلى فولادتها لن تتأخّر  
 رغم الغثيان تحن إلى أوجاع الطّلق ولا تضجر<sup>٢</sup>

لم يمت حلم البردوني في ميلاد فجر جديد لصنعاء ، فهو ينتظر بزوغ ذلك الفجر ، ويتأمل أن يرى الحياة تدب في جسدها الميت كما يرى :

هل تدري صنعاء الصّرعى كيف انطفأت؟ ومتى تنشر  
 كالمشمش ماتت واقفة لتعدّ الميلاد الأخر

<sup>١</sup> نفس المرجع ص ٩٣٩

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٥٨٠

تندى وتجف لكي تندى      وترف لكي تصفر  
 وتموت بيوم مشهور      كي تولد في يوم أشهر  
 ترمي أوراقاً مـيـتة      وتلوّح بالورق الأنضر  
 وتظل تموت لكي تحيا      وتموت لكي تحيا أكثر<sup>١</sup>

كل ما كان يشغل عقل البردوني هو أن يرى مدينة غده التي طالما حلم برؤيتها، وردد أنغام نجواها ، إنها كما يقول : مدينة الغد التي طالما أنتظر بزوغ فجرها الجميل .

من دهور ...وأنت سحر العباره      وانتظار المنى وحلم الإشاره  
 كنت بنت الغيوب دهرا فنمت      عن تجليك حشرات الحضاره  
 وتداعى عصر يموت ليحيا      أو ليفنى ، ولا يحسّ انتحاره  
 جانحاه في منتهى كلّ نجم      وهواه في كلّ سوق : تجاره  
 باع فيه تأله الأرض دعواه      وباعت فيه الصلاة الطهاره  
 أوما تلمحينه كيف يعـدو      يطحن الريح والشّظايا المثاره<sup>٢</sup>

لقد بنى البردوني صرح أحلامه على أفلاطونيّة وجود تلك المدينة التي ستحقق كل أمانيه وتطلعاته للحياة ، ففيها سيجد تلك الحياة التي حلم بالعيش في ربوعها .

ذات يوم ستشرقين بلا وعـ      دتعيدين للهشيم الدّضاره  
 تزرعين الحنان في كلّ واد      وطريق في كلّ سوق وحاره  
 في مدى كلّ شرفة في تمّني      كل جار وفي هوى كلّ جاره  
 في الروابي حتى يعي كلّ تلّ      ضجر الكهف واصطبار المغاره

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٥٨١

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤١٧

سوف تأتین كالنبوءات كالأمطا ركالصيف كائثيال الغضـاره

تملئین الوجود عدلا رخـیًا بعد جور مدحج بالـقاره

تحشدين الصفاء في كل لمس وعلى كل نظرة وافـتراره<sup>١</sup>

لقد سيطرت على البردوني الحياة الوطنية ، واجتلبت فكره ، فراح يحاول أن يصوغ فلسفة خاصة به يفسر من خلالها ما يراه من مشاكل سياسية ، ويضع مقترحاته لحل تلك المعضلات التي يراها سببا رئيسا في تأخر اليمن عن ركب الحضارة . ومع أن هذه القضايا سيطرت على نتاجه الأدبي بشكل كبير ، إلا أن العالم من حوله كان له نصيب من تأملات البردوني .

فناقش كثيرا من القضايا على صعيد الوطن العربي ، أو الإسلامي ، أو الدولي ، وكان له من تلك الأحداث مواقف ، وآراؤه .

لم يكن يحلم البردوني بالوحدة اليمنية فقط وإنما أرادها وحدة عربية ، تلف جميع أقطار الوطن العربي وقد " تجسدت الوحدة العربية في القصيدة التي قالها عام ١٩٥٨ بعنوان البعث العربي وفيها يقف على الحافة بين المنطقتين الرئيسيتين للنظر إلى الوحدة العربية بوصفها همًا كبيرًا إذا ما حصلت - فهو يقف برجل في الماضي المبهم، وأخرى في الحاضر المتفتح"<sup>٢</sup> ، وهو لا يقصد من العنوان السابق ما تحمله الكلمة من معنى سياسي موجود اليوم ، وهو اسم للحزب الاشتراكي ، وإنما أراد المدلول اللغوي للكلمة ، فهو يريد العودة إلى المجد العربي ، فالبعث مرادف للرجوع مرّة أخرى إلى زمن العزّة و الفخار الذي كانت تعيشه الأمة في السابق فهذا ما

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٤١٨ - ٤١٥

<sup>٢</sup> شعر عبدالله البردوني ص ٧١



تحمله دلالات القصيدة . فهي قيلت في مدح الاجتماع الذي ضمّ " أقطاب العرب الثلاثة جلالة ( الإمام أحمد ) ، والرئيس ( جمال عبد الناصر ) ، وجلالة الملك ( سعود ) " <sup>١</sup> ، وقد تغنى البردوني بهذا الاجتماع، ورأى فيه وحدة للأمة تعود فيه لسالف مجدها ، وعزتها .

وحدة المجدوالفخار التّليد	زعزعت مرقد الصباح الجديد
واستطارت تحت قافلة الفتى	ح وتطوي الحدود بعد الحدود
وتناجي العدا بالسننة التّنا	ر وبالموت من شفاه الحديد
وحدة يعربيّة وانطلاق	عربيّ يهزّ صمّت اللّحود
إنما العرب ثورة وحدتها	يقظة البعث وانتفاض الوجود
فابن ( يحيى ) مؤزر ( بجمال )	( وجمال ) مؤزر ( بسعود )
وحدت شملهم كبار الأماني	والدم الحرّ واعتزاز الوجود
قد تلاقى الحجاز واليمن المي	مون والتّيل في اتحاد الجهود
واستفاقت مواطن العرب الشّم	م فعودي يا راية العرب عودي <sup>٢</sup>

لقد غنى البردوني للعروبة أجمل الألحان ، وراح يتنزه في بساتين رياضه ، وهو يحلم بأن يجتمع الشمل في يوم من الأيام .

دعني أغرد فالعروبة روضتي	ورحاب موطنها الكبير رحابي
فدمشق بستانني ومصر جداولي	وشعاب مكة مسرحي وشعابي
وسماء لبنان سماي وموردي	بردى ودجلة والفرات شرابي

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ١١٦

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ١١٦ - ١١٧

وديار عمّان ديارى ... أهلها أهلى وأصحاب العراق صحابى<sup>١</sup>  
لقد عاش البردوني مع أمته ، يؤلمه ما يؤلمها ، ويفرحه ما يفرحها ، فهي تعيش بين  
جوانحه ، يحس بكلّ ما يحصل فيها .

وطن العروبة موطنى أعياده عيدي وشكوى إخوتي أوصابى  
فاترك جناحي حيث يهوى يحتضن جوّ العروبة جيئتي وذهابى<sup>٢</sup>  
لم يتوقف همّ البردوني على المواضيع العامة في موقفه من الأمة ، وإنما وجدناه  
يعيش مواضيع الأمة الخاصة ، ففضية فلسطين كان لها حضور في أدب البردوني ،  
فهو كأيّ شاعر عربي عاش تلك المأساة بكلّ تفاصيلها ، وحلم كالأخرين بتحرر ذلك  
الجزء العزيز من برائن الصهيونية .

يا أخي يا بن الفدى فيم التماذي وفلسطين تنادي وتنادي ؟  
ضجّت المعركة الحمرا ... فقم نلتهب .. فالنور من نار الجهاد  
ودعا داعي الفدى فلنحترق في الوغى أو يحترق فيها الأعادي  
يا أخي يا بن فلسطين التي لم تنزل تدعوك من خلف الحداد  
عد إليها لا تقل لم يقترب يوم عودي قل أنا يوم المهاد<sup>٣</sup>  
لقد رأى البردوني أن هذا الوعد المشئوم الذي حمل جريرته بلفور ، لن يزول إلا إذا  
اجتمعت الأمة ، وأنت عدوها صفا واحدا .

خاب بلفور وخابته يده خيبة التجار في سوق الكساد

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٤

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٢٥٥

<sup>٣</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٠

لم يضرع لا لم يضرع شعب أنا      قلبه وهو فؤاد في فؤادي

قل لبلفور تلاقى في الفدى      أمة العرب وهبت للذفادي

وحّد الدرب خطانا والتقت      أمتي في وحدة أو في اتحاد

عندما قلنا : اتحدنا في الهوى      قالت الدنيا لنا : هاكم قيادي

ومضينا أمة تُزجي الهدى      أينما سارت وتهدي كلّ هادي<sup>١</sup>

ثم نجده يندد باختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد من جنوب لبنان بيد الكومندز

الاسرائيلي المحمول جوا ليلة ٢٨ تموز ١٩٨٩ م<sup>٢</sup>

بالخطف أضحت دولة قل متى      تدوّل السرحان با بن العديم

من ذا سيثنيها ؟ حماة الحمى      أدنى زنابير الزمان السـتـيم

يا بن عبيد ما الذي ترتني      فوق احتمال الأرض نصر اللئيم

كيف استباحوا بيتك ابن الهدى      وأهدروا فيه جلال الحـطـيم<sup>٣</sup>

لقد عايش البردوني كل هذه الأحداث ، وتفاعل معها بكلّ ما يستطيع من إحساس ،

ممّا ترك أثراً واضحاً في مشاعر البردوني إزاء هذه المعاشية الحزينة لأوضاع بلاده

خصوصاً ، وحال أمته عموماً ، وهو يرى وضعها الذي يمزق القلب حزناً ، ويفطر

الكبد غيظاً ، لذلك وجدناه يتجه إلى سياط السخرية ليجلد بها ذاته ، وأبناء أمته عله

يجد مخرجاً لما يراه من نكبات ، وما يحسّ به من آلام . فبعض الألم قد ينعش الأمل ،

وصدمة كهرباء قد ترجع الحياة لقلب يتجرع الموت .

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٢

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٥١٧

<sup>٣</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٢٢

## ٢- أثر الحياة الاجتماعية :

لعبت حياة البردوني الاجتماعية ، دوراً كبيراً في رسم تلك الشخصية الساخرة ، فما عاشه البردوني ، وما مر به من تجارب اجتماعية نقش على وجهه أثراً أكبر مما فعله الجدري بذلك الوجه البائس ، " فالبيئة عامل أساس في تشكيل توجهات الفرد ذلك لتلازم الحدث الزمني بالتجاوب المكاني والفعل الإنساني " <sup>١</sup> ، " والموقف الفكري لأي إنسان لا بد أن ينطلق من ذات الإنسان ، والبردوني لا تنفصل ذاته عن مواقفه ، وكما رأينا في البداية كيف عاش البردوني حياته فقيراً ومحروماً من الرفاهية ، وسبل العيش الكريمة ، فهل تنفصل هذه الحياة عن مواقفه ، أم أنها تشكل سبباً مهماً في تفكيره ورؤيته ؟ " <sup>٢</sup> إذن أثرت حياة البردوني الاجتماعية التي عاشها على رسم تلك الشخصية المتمردة ، التي تحاول بكل طاقاتها أن تتخلص من تلك الحياة التي كانت تسيطر عليه ، فهناك من يموت جوعاً ، وهناك من يتجاوز حد البذخ . الذي يعبر عنه البردوني في إجابته الساخرة .

فترى البؤس أكلاً وأكيبلاً وترى العقم ساجناً وسجيناً

أي فرق ما بين ذلك وهذا ؟ ذا هزيل وذاك يبدو سميناً <sup>٣</sup>

عبر البردوني باسم الإشارة ( ذا ) للدلالة على قرب ذلك الهزيل ، لأنه يقصد به أفراد شعبه فهو قريب من تجربة البردوني ، أما المقابل فهو بعيد عن تلك التجربة البردونية

<sup>١</sup> الثقافة والثورة في اليمن ، عبدالله البردوني ، دار الفكر بدمشق ، ١٩٩٨م ، ط ٤ ، ص ١٥

<sup>٢</sup> شعر البردوني - محمد القضاة - ص ٤٩

<sup>٣</sup> ديوان البردوني - ص ٨٤٥

فكان يستحق اسم الإشارة ( ذاك ) ذلك البعيد الذي كان يحسه البردوني في حياته ،  
ويتلمسه في نسامته ، فأخذ يقص علينا رحلته مع الفقر .

خذها فديتك يا شقيقي      ذكرى أرق من الرحيق  
وأذ من نجوى الهوى      بين العشيق والعشيق  
خذها أرق من السنى      في خضرة الروض الوريق  
واذكر تهاديننا على      كوخ الطفولة والطريق  
وأنا وأنت كموثقين      نحن في القيد الوثيق  
نمشي كحيرة زورق      في غضبة اللج العميق  
ونساجل الغربان في الـ      وديان أصوات النعيق  
وإذا ذكرت لي الطعام      أكلت أنفاسي وريقي<sup>١</sup>

لقد أصبح الطعام مجرد ذكرى قد تجلبها مسامرات الصداقة ، وعند تلك الذكرى لا  
يجد البردوني إلا أنفاسه لتسد رمق جوعه لينتقل بعد ذلك في سرد المعاناة كاملة .

أيام كنا نسرق الرمـ      مان في الوادي السحيق  
ونعود من خلف الطريد      ق وليلنا أحنى رقيق  
ونخاف وسوسة الريا      ح وخطرة الطيف الرشيق  
حتى نوافي بيتنا ...      والأهل في أشقى مضيق<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> ديوان البردوني - ج ٢ - ص ٢٣١  
<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ص ٢٣٢

هذه الطفولة التي كان يعيشها البردوني تنتقل بين الطرقات بحثًا عن حبة رمانة يجد فيها إشباعًا لجوعه ، حتى ولو كانت عن طريق السرقة ، ليأوي إلى بيت يعيش أهله في شقاء وضيق ، لينتقل إلى تصوير أحداث ذلك البيت .

فيصيح عمي والشرا      سة في محياه الصفيق<sup>١</sup>  
وهناك جدتنا تنا      غينا مناغاة الشفيق  
تهوى الحياة وعمرها      أوهى من الخيط الدقيق  
وأبي وأمي حولنا      بين التنهد والشهيق  
يتشاكيان من الطوى      شكوى الغريق إلى الغريق  
شكواهما صمت كما      يشكو الذبال من الحريق  
ويحدقان إلى السكو      ن ورعشة الكوخ العتيق<sup>٢</sup>

هذه الحياة التي كان يعيشها البردوني مع الفقر آهات ، وجوع ، ومعاناة لا يستطيع معها تسيير حياته ، مع الرغبة الشديدة في الحياة . وهذا ما وجدنا عندما تحدث عن جدته فقد وصف حبها للعيش ، مع كبر سنها دلالة على قبوله للتحدي ومواجهة المصاعب على الرغم من كل الظروف. ثم يأتي بتلك المفارقة التي تبين حالة المقابل ، وما يعيشه من ترف .

وجوارنا قوم لهم      إشراقة العيش الطليق  
من كل غرّ لم يمز      بين الأغاني والنهيق  
وتظنه رجلا وخلص      ف ثيابه وحش حقيقي

<sup>١</sup> أخطاء في الأصل تم تعديلها . ( تدوير البيت الأول والثاني و الأخير ) ليس في الأصل .

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق - ص ٢٣٢

وتراه يزعم شخصه	من جوهر المسك الفتيق
يتحدثون عن النقود	حديث تجار الرقيق
حتى تراهم صورة	للزور والجهل الأنيق
ونماذا براقية	لأناقة الخزي العريق
يمشون في نسج الحري	ر فهم رجال من حرير
وكانهم من خلق نسا	ج وخبياط قدير
لولا خداع ثيابهم	كسدوا بأسواق الحمير
فقراء من خلق الرجال	ويسخرون من الفقير <sup>1</sup>

لقد زرع البردوني في هذا النص ذلك الإحساس الشديد بالمرارة ، فهو عندما ينظر إلى هؤلاء المترفين لا يرى فيهم علامات التميز والنباهة التي قد يفترض أنها قادتهم إلى ما هم فيه ، بل على العكس من ذلك تماما فهم صورة ممثلة للزور والخداع ، ولو أردت مقارنة فهم لا يصلون إلى منزلة الحمير ، ومع ذلك فهم يتمتعون بكل هذا النعيم . ويبدع البردوني في اختيار كلماته فينكر كلمة ( قوم ) لتدل على أنهم غير معروفين لديه ، كما أن تعدد صور الخداع جعل البردوني يميل إلى التذكير أيضا في قوله ( صورة ) لتشمل كل أنواع الصور الخادعة .

ويختتم بتلك الزفرة الموجعة عندما شاهدهم يسخرون من فقر الفقراء ، ويتمتعون على حساب فقرهم ، ويرى البردوني أن الحياة غير عادلة ، فلو أنصفت كان هؤلاء المترفون هم أحق بالسخرية ، لأنهم لو رجعوا لأنفسهم لوجدوا عجا .

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق - ص ٢٣٢

يمضي البردوني ليقف مع حالة مأساة الفقير، ومعاناته في رحلته مع الحياة ، وهو يلبس الفقر كجلده :

في هجعة الليل المخيف الشاتي والجو يحلم بالصباح الآتي  
والرياح كالمحموم تهذي والدجى في الأفق أشباح من الإنصات  
والشهب أحلام معلقة على أهداب تمثال من الظلمات  
والطيف يخبط في السكينة مثلما تتخبط الأوهام في الشبهات  
والظلمة الخرسا تلعثم بالرؤى كتلعثم المخنوق بالكلمات<sup>١</sup>

فحاله دائما في ترقب وخوف ، يخشى الآتي ، ويرعبه الماضي

في ذلك الليل المخيف مضى فتى قلق الثيلب مروّع الخطوات  
يمشي وينظر خلفه وأمامه نظر الجبان إلى المغير العاتي  
ويرى الحتوف إذا تلفت أو رنا ويحس اصداً بلا أصوات<sup>٢</sup>

هذه هي الصورة الحقيقية التي يعيشها أبناء الطبقة المعدمة ، صورة الفقر والأحلام المعلقة والأشباح والظلمات<sup>٣</sup> ، صورة ارتبطت بالواقع الاجتماعي الذي عاشه البردوني فلا يستطيع التخلص من رتابتها لذلك لم تنته صرخات البردوني الجائعة ، بل تتواصل في وصف ذلك الكوخ الذي يسكنه الفقر في رحلته مع ذلك الفقير في معاناته اليومية ، وهو يصف كدحه وألمه :

وعلى يمين الدرب كوخ تلتقي في صدره النكبات بالنكبات

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق - ص ٢٩٨

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق - ص ٢٩٨

<sup>٣</sup> شعر البردوني - - ص ٥٥



بين القصور وبينه ميل وما أدنى المكان وأبعد الحاجات<sup>١</sup>  
لم تنفعه نداءات الاستغاثة لأنه من عالم آخر ، فحتى ولو كان بجوارهم فهم لا يرونه  
لأنه مخلوق يختلف عن طبيعتهم .

يشكو إلى جيرانه فيصمهم عنه ضجيج القصف واللذات  
كوخ إذا خطرت به ريح الدجى أو ما إلى السكان بالعرشات  
( سنوات يوسف ) عمره وجداره أبدا تنوء بأعجف السنوات  
فيه العجوز وبنتها وغلامها يتذكرون موارد الأقوات  
فالحقل جذب ظمئى وسماءه صحو تلوح كصفحة المرأة  
والأغنياء ، وهل ترق قلوبهم ؟ لا ، إنها أقسى من الصخرات<sup>٢</sup>

كل ما في هذا الكوخ ينذر بالموت ، وتعلو صرخات النجدة منه ، بل إن أزمته قد  
تكون أشد ألما من سني يوسف عليه السلام ، لأتته في ذلك الزمن وجد من يأخذ بيد  
الفقير ، أما في زمن البردوني ، فالأغنياء قاسية قلوبهم فهي أقسى من الحجارة . كل  
هذه الظروف المعيشية كان وراءها ذلك الجشع الذي سيطر على المجتمع . ، حتى إته  
ليظن أن البلاد تم تقسيمها على فئة معينة من الناس ، فهم الذين ينعمون بخيراتها ،  
وهم الذين يحق لهم أن يستفيدوا من ثرواتها، أما الآخرون فمحرم عليهم كل شيء<sup>٣</sup> .  
يرحل البردوني في تجربة أخرى مع بيوت خلت من كل شيء فنامت على بساط  
الجوع والحرمان يتحدث البردوني عن ليالي هؤلاء الجائعين .

<sup>١</sup> ديوان البردوني - ص ٣٠١

<sup>٢</sup> نفس المرجع ص ٣٠١

<sup>٣</sup> اليمن الجمهوري - ص ٤٣٧-٤٣٨ بتصرف

هذي البيوت الجائحات إزائي	ليل من الحرمان والإجاء
من للبيوت الهادمات كأنها	فوق الحياة مقابر الأحياء
تغفو على حلم الرغيف ولم تجد	إلا خيالاً منه في الإغفاء
وتضم أشباح الجياع كأنها	سجن يضم جوانح السجنا
وتغيب في الصمت الكئيب كأنها	كهف وراء الكون والأضواء
خلف الطبيعة والحياة كأنها	شئ وراء طبائع الأشياء
ترنو إلى الأمل المولّي مثلما	يرنو الغريق إلى المغيث النائي
وتللم الأحلام من صر الدجى	سودا كأشباح الدجى السوداء <sup>١</sup>
معاناة يتسبب في تكريسها النظام الطبقي الذي يئن الفقير والمعدم تحت وطأته .	
يا ليل من جيران كوشي ؟ من هم	مرعى الشدقا وفريسة الأرزاء
الجائعون الصابرون على الطوى	صبر الرُّبا للريح والأنواء
الآكلون قلوبهم حقدا على	ترف القصور وثروة البخلاء
الصامتون وفي معاني صمتهم	دنيا من الضجات والضوضاء
وَيَلِي على جيران كوشي إنهم	ألعوبة الإفلاس والإعياء
ويلي لهم من بؤس محياهم ويا	ويلي من الإشفاق بالبؤساء <sup>٢</sup>

لم يقتصر تدمير البردوني من حياة الحرمان والفقير ، وإنما نجده يمتد ليشمل كل إفرزات هذه الظروف الاجتماعية الصعبة ، فالجهل الذي يسيطر على العقول ثمرة

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ - ص ٨٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٨٩

من ثمرات هذه الأوضاع ، ونتيجة منطقية لحياة يسعى الإنسان فيها لسد حاجته الأساسية :

مررت بشيخ أصفر العقل واليد يدب على ظهر الطريق ويجتدي  
 ثقيل الخطا يمشي الهوينى بجوعه وأحزانه مشي الضرير المقيد  
 ويمضي ولا يدري إلى أين ينتهي ولم يدر قبل السير من أين يبتدي  
 ويزجي إلى الأسماع صوتا مجرّحا كئيبا كأحلام الغريب المشرد  
 يمد اليد الصفرا إلى كل عابر ولم يجن إلا اليأس من مدّة اليد  
 فيلقي على الكف النحيل جبينه ويسأل هل في الأرض ظل لمسعد<sup>1</sup>

لقد وجد البردوني ذلك الشيخ صفرا من شيين ، من العقل ، ويقصد به الجهل ،  
 وصفرا من المال ، لكننا وجدناه بعد ذلك لا يبحث إلا عن ما يملأ يده وليس عقله ،  
 لأنه في حاجة ضرورية للعيش ، ولا مجال للتفكير بحياة عقلية ، ويستمر البردوني  
 في جلد ثمرات هذه الحياة ليقف مع ظاهرة السرقة، وكيف أن بعض الناس أصبح  
 يمتهن هذه الجريمة سدا لحاجته

فقصيدته ( لص في بيت شاعر ) هي نقد لاذع لهذا المجتمع كما أنها تصوير نابض  
 بالحياة لما يعيشه الفقير من حياة بائسة ، تجبر صاحب الشرف ، والمنزلة على  
 امتهان أمر لا يليق بأمثاله ، كما وجدناه في قصة ذلك اللص الذي سولت له نفسه أن  
 يسرق منزل شاعر ، لكن حتى من حاول أن يسد حاجته بطرق غير شرعية نجده  
 يرتطم بصخرة الواقع التي تثبت حجم المأساة التي يعيشها الجميع، ودون استثناءات .

<sup>1</sup> المرجع السابق ص ٩٦

ماذا وجدت سوى الفراغ      وهرة تشتمّ فاره

ولهاث صعلوك الحرو      ف يصوغ من دمه العبارة<sup>١</sup>

يطفي التوقد باللظى      ينسى المرارة بالمراره

لم يبق في كوب الأسي      شيئاً حساه إلى القراره<sup>٢</sup>

مرارة يعيشها البردوني وهو يرى أن الظروف تجبر أبناء شعبه على أن يمارسوا عادات تتنافى مع مبادئهم ، فنجده يعطي تلك النصيحة السيئة كما أسماها لمن تريد أن تصل إلى أهدافها من بنات شعبه .

إن تريدي سيارة وإداره      فلتكوني قوادة عن جداره

ولتعدي لكل سلطان مال      كل يوم زوجة مسـتعاره

ولتكوني عميلة ذات مكر      تشربين القلوب حتى القراره

ولتلبي سرير كل وزير      ولتمني من في انتظار الوزاره

وبهذا النشاط تمسين أعلى      من وزير ، وربما مستشاره<sup>٣</sup>

لم يقف البردوني أمام كل هذه المآسي مكتوف اليد ، وإنما أعلن بلغة مدوية، أن هذه الأوضاع لن تستمر ، وأن غدا مشرقاً لا بد وأن يأتي ، فعندما تتأزم الأمور يأتي الفرج ، لذلك وجدنا البردوني يصرخ بأعلى صوته منادياً غده الزاهر "فالحكم ينبثق من دخائل الفن ، وبالأخص الفن الصراعي الذي يريد أن يتفجر بغضبه كما تتفجر الزلازل والرعود ، ولا يمنعه هذا التفجر المباشر من التألق الإبداعي الذي يمكن

<sup>١</sup> تدوير البيت ليس في الأصل

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٤٩٨

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٦٣٠

إدراكه بالحس ، والذي يلامسه من أول هجساته ، من أمثال ذلك أشعار الصعاليك الذين أحسوا مرارة فقرهم وتأجج غضبهم على المترفين ، حتى ارتكبوا الحتوف إلى قوت الليلة أو اليوم وجأهروا بهذا كصراع طبقيّ بدائي وكشجاعة تقبلها البيئـة " <sup>١</sup> ، لقد كانت صرخات البردوني غاضبة ، مدويّة ، تحاول أن تنهض بالهمم ، غير مكترثة بكل المصاعب صرخات بثّها البردوني في وجه كل من يسلب الفقير حقّه في الحياة :

لماذا لي الجوع والقصف لك ؟ يناشدني الجوع أن أسألك  
وأغرس حقلي فتجنّبه أن ت و تُسكر من عرقي منجلك  
لماذا؟ وفي قبضتيك الكنوز تمد إلى لقمتي أنمـاك  
وتفتتات جوعي وتدعي النزيب ه وهل أصبح اللص يوما ملك ؟  
لماذا تسود على شقوتي ؟ أحب عن سوالي وإن أخجلك  
ولو لم تجب فسكوت الجواب ضجيج يردد : ما أنذلك  
لماذا تدوس حشاي الجريـح ح وفيه الحنان الذي دلك  
ودمعي ودمعي سقالك الرحيـق ق أتذكـر يا نذل كم أثملك  
فما كان أجهاني بالمـصيد ر وأنت لك الويل ما أجهلك <sup>٣٢</sup>

تمرد صارخ في وجه كل طاغية سلب الإنسان الشريف حقه في حياة كريمة، وتمتع هو بكل ثروات البلاد ، متناسيا أن كل ما وصل إليه هو من كدح هؤلاء المساكين ،

<sup>١</sup> فنون الأدب الشعبي في اليمن ، عبد الله البردوني ، دار الحدائـة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ٢١٢ .

<sup>٢</sup> تدوير الأبيات ليس في الأصل

<sup>٣</sup> ديوان البردوني ج ١ - ص ٢١٦

الذين يتناول عليهم ، ويضيق عليهم فسحة العيش ، لكن غد البردوني يشرق في إبداعه ، فهو يرى تباشير الصباح قادمة ، وسحب الليل زائلة .

غدا سوف تعرفني من أنا ويسلبك النبل من نبلك  
 ففي أضلعي ، في دمي غضبة إذا عصفت أطفأت مشعلك  
 غدا سوف تلعنك الذكريا ت ويلعن ما ضيك مسـتقبالك  
 ويرتد آخرك المسـتكيـن باثامه يزدري أولك  
 ويستفسر الإثم أين الأثـم م ؟ وكيف انتهى ؟ أي درب سلك ؟  
 غدا لا تقل تبت لا تعـتذر تحسر وكفن هنا مأمـالك  
 ولا ( لا تقل ) أين منى غد؟ فلا لم تسمّر يداك الفـالك  
 غدا لن أصدق لركب الظلا م سأهتف : يا فجر ما أجملك<sup>٢١</sup>

" وهكذا ، كانت أوضاع المجتمع تعج بالمتناقضات ، طبقات تستغل أخرى، وثانية تسلب الخيرات ، وثالثة تعمل في الربا ، وأخرى تحتكر التجارة ، وتستغل الفلاحين ، ولكن كيف عبر الشعر عن هذه الأوضاع ؟

لقد عالج الشعر اليمني هذه التناقضات من زوايا مختلفة ، فأبصر الظلم الواقع على الطبقات المسحوقة ، وشجب الإقطاع والإقطاعيين ، وعلى رأسهم المسئولون الذين يتاجرون بعرق الفقراء ، وبشر بعدالة اجتماعية قادمة .<sup>٢</sup> قادمة لأن الإنسان الأبي لا يموت ، يتعذب لكنه يخرج من تحت رماد المصائب أكثر جلادة وقوة .

<sup>١</sup> تدوير الأبيات ليس في الأصل .

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق - ص ٢١٧

<sup>٣</sup> شعر عبدالله البردوني ص ٥٤ بتصرف

شوطنا فوق احتمال الاحتمال      فوق .. الصبر ... لكن لا انخدال<sup>١</sup>  
 نغثلي .. نبكي ... على من سقطوا      إنما نمضي لإتمام المجال  
 دمنا يهمني عــــلى أوتارنا      ونغني للأمانى بانفعــــال  
 مرّة أحــــزاننا ... لكنّها      يا عذاب الصبر أحزان الرجال  
 نبلع الأحجار ... ندمى إنما      نعزف الأشواق ... نشدو للجمال  
 ندفن الأحباب ... نأسى إنما      نتحدى ... نحتذى وجه المحال  
 مذ بدأنا الشوط .. جوهرنا الحصى      بالدم الغالي وفردسنا الرمال  
 نبتني لليمن المنشــــود من      سهدنا جسرا وندعوه : تعال<sup>٢</sup>

معاناة يعيشها كل المكافحين للوصول إلى أهدافهم المرسومة ، يتجرعون في سبيلها أنواع الهموم ، يستسيغون شربها لأنها بطعم الحياة بينون جسر أمل لتعبر عليه الأجيال . لذلك كانت التضحية جميلة ، والفداء مطلباً ، لتحيا الأمة،

موت بعض الشعب يُحيي كله      إن بعض النقص روح الاكتمال  
 ههنا بعض النجوم انطفأت      كي تزيد الأنجم الأخرى اشتعال  
 تفقد الأشجار من أغصانها      ثم تزداد اخضراراً واخضلال<sup>٣</sup>

لقد " حمل البردوني ابن الطبقة المعدمة هموم طبقته المحرومة التي تمثل الغالبية العظمى من أبناء الشعب، فإذا به يرسم لنا صورة لحياة الفاقة التي يعيشها أبناء طبقته ، منطلقاً من المعاناة التي حملها مع هذه الطبقة ، ومن تجربة ذاتية متجذرة ، وأصبحت

<sup>١</sup> البيت مكسور وقد ورد هكذا في الأصل .

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٦٦٧

<sup>٣</sup> نفس المرجع السابق ص ٦٦٨

رسالته محاربة هذه الأوضاع السائدة في مجتمعه الذي يعاني التخلف والظلم السياسي والاجتماعي ، وجاء شعره من المجتمع وإليه ، هذا المجتمع الذي يفتقر لأبسط أنواع العدالة الاجتماعية ، ويتفشى بين أبنائه ركام الجهل وحب الذات ، وهؤلاء الجياع الذين يحملون بلقمة العيش ، وينتظرون الفرج ، وغيرهم يعيش في ترف ورخاء " <sup>1</sup> .

كان لهذه الأوضاع المعيشية ، والمعاناة الحياتية ، دور في بروز تلك الشخصية الثائرة لدى البردوني ، وقد استطاع الشاعر أن يلجم جماح ثورته بأسلوبه الساخر ، ينتقد الأوضاع بصورة يفهمها ذلك المزارع البسيط ، يستنهض الهمم ، لكن بأسلوب رمزي يبعده عن المساءلة ، والمشاكل التي قد تتسبب فيها المباشرة ، ومع ذلك فإن حصلت فهو مستعد للتضحية من أجل حياة أمة .

في النهاية هذه الرحلة الحياتية مع البردوني يتجه البحث إلى أن الظروف الاجتماعية، قد كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى إفراز ذلك الأسلوب الساخر في أدب البردوني.

<sup>1</sup> شعر عبدالله البردوني - أحمد القضاة - ص ٥٥



## الفصل الثاني :

### أساليب البردوني الساخرة .

لقد أشار البحث سابقا إلى أن لكل أديب طريقةً يسلكها للتعبير عن أفكاره وآرائه، وهي ما يسمى بالأسلوب ، فلكل أديب أسلوبه في معالجته لأفكاره التي يريد طرحها ، وهو يختلف من شخص لآخر وإذا قادنا البحث في السابق لمعرفة أن السخرية غرض أدبي يعادل المدح أو الرثاء أو غيرهما من الأغراض الشعرية الأخرى ، عليه فإن الأديب قد يستخدم هذا الأسلوب أداة فاعلة للوصول إلى أغراضه المرادة ، شأنه شأن أي أسلوب يطرقه الكاتب في تناوله لموضوعاته . والبحث في هذا الموضوع يحاول استقصاء أهم أساليب البردوني التي عبّر فيها عن سخريته ، محاولا التحرك في إطار هذه الأساليب مبينا كيفية استخدام البردوني لها ، والنماذج التي تعطي الإثبات على هذا الاستخدام . فالباحث حاول التركيز على الجانب الأكثر دورانا في أسلوب البردوني ، والوسيلة التي يرى البحث أنها أهم من غيرها في بيان طرق معالجة البردوني لهذا الغرض الأدبي ، والتي ركز البردوني من خلالها على معالجته لقضاياه الأدبية والفكرية ، وقد وقف البحث مع هذه الأساليب ليبين كيف استطاع البردوني أن يخضع هذا الأسلوب لأهدافه الساخرة ؟ وطُرق تناول هذه الأساليب، وما هو جانب التميّز الذي جعل البردوني يختلف عن غيره في هذا الطرح، بل جعله يدلُّ على شخصيّة متميّزة عن غيرها في تناوله لهذه المواضيع . لقد رسم البردوني في مسيرته الشعرية خطّا أسلوبيا خاصّا به ، استطاع من خلاله أن

يعبر عن كل ما يريد بطريقة خاصة ، والبحث يحاول أن يكشف عن بعض أسرار هذه الخصوصية .

## ١ - الاستفهام :

لقد عرف ابن منظور الاستفهام لغة بقوله : **الْفَهْمُ** : معرفتك الشيء بالقلبه ١ مَه فَهْمَا ، وفَهْمَا ، وفَهَامَة : عَلِمَه ...

وفَهَمْت الشيء عَقَلْتَه ، وفَهَمْت فلانا ، وَأَفَهَمْتَه ، وتَفَهَّم الكلام فَهَمَه شيئاً بعد شيء ،

وَهَرَجُ جَلِيْرِيْع الفَهْم ، ويُقال فَهْمٌ وفَهْمٌ ، وَأَفَهَمَه الأمر ، وفَهَمَه إياه جعله يَفَهَمُه ،

واستألفه لئله يُفَهَّمَه ، وقد استأفهمني الشيء فأَفَهَمْتُه وفَهَمْتَه تَفَهِيْمًا ١ والاستفهام

هو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار ٢ ، والاستخبار - طلب خبر ما ليس عند المستخبر

وهو الاستفهام ، وقيل إن بين الاستخبار والاستفهام فرقا ضئيلا ، ذلك أنك تستخبر

فإن أجبت ولم تفهم وسألت ثانية فأنت مستفهم . ٣ والتعريف المشتهر للاستفهام عند

المتأخرين : "أنه طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة

وقوع نسبة بين الشئيين، أو لاقوعها فحصولها هو التصديق ولا فهو التصور . " ٤

هذا تعريف الاستفهام بشكله العام ، لكن العرب لم يقصروا أدوات الاستفهام على هذا

المعنى وحسب ، وإنما أخرجوا الاستفهام عن معناه العام ليبدل على معانٍ أخرى من

خلال سياق الكلام . لأن "ما تُشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن نحدده تحديدا

تاما وأن المعاني التي يشير إليها هي بطبيعتها خفية وهاربة لا تستطيع وصفها

بإحاطة وسيطرة ، وهذا ليس بعيدا عن طبيعة اللغة إذ إتتها مهما تروى المتكلم في

١ لسان العرب فهم .

٢ الإتيان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ، تقديم مصطفى البغاة ، دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٠٧ هـ / ٢ /

٨٨٣

٣ الصاحبى ٢٩٢

٤ التعريفات ٣٧

كلماتها وتراكيبها وراجع الاختيارات ، وصقل العبارة ، فلن تكون هذه العبارة مبيّنة إبانة كاملة عمّا أراد أن يبيّن عنه بها ، خاصة في المواقف الحيّة التي هي بين أعيننا ونحن نتكلم هذا الكلام " ١ . فالاستفهام البلاغي لا يقف عند حدّ الطلب ، بل يتجاوز ذلك إلى التعبير عمّا في النفس من معانٍ . وهذه المعاني لا يكشف عنها ويدل عليها نوع أداة الاستفهام فحسب ولا نوع ألفاظ الجملة وطريقة تركيبها فقط ، ولا رؤية المستفهم وحدها، بل كل ذلك وغيره يشارك في الكشف عن دلالة هذه الجملة. فالاستفهام لا يقتصر على طلب الفهم عن أمر غير معروف من خلال سياق جملة محددة ، بل الأمر يتعدى ذلك إلى محاولة تسخير إمكانيات اللغة بما فيها الاستفهام للتعبير عمّا يختلج في صدر الإنسان من تعابير ، حتى ولو أن هذه التعبيرات لا يمكن أن تفي بكل ما يدور في صدر المتحدث من خواطر " فالقول بأن المعاني أكبر من الكلمات وأن الكثير من المشاعر والأفكار يحتبس في صدور الناس . ولا تحملها كلماتهم وأشعارهم ، مما لا يرتاب فيه من يعرف طبيعة اللغة ولو كانت اللغة قادرة على أن تستوعب كل اختلاجة وكل سانحة لما لجأ الإنسان إلى غيرها في التعبير عن حسّه وشعوره . " فإذا كان الإنسان عاجزاً عن الإبانة عن كل ما يدور في خالده كان لزاماً أن يجد أساليباً أخرى معينة له في محاولاته الدؤوبة للتعبير عن خلجات نفسه ، وما يريد أن يوصله للغير ، لذلك وجدنا الكثير من أساليب اللغة تخرج بمقتضى سياقاتها عن دلالتها التي وضعت لها ، ومنها الاستفهام " فالمعاني

<sup>١</sup> دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، محمد أبو موسى القاهرة ، مكتبة وهبة ، ط ٢ ص ٢١٨

<sup>٢</sup> أساليب السخرية في البلاغة العربية، شعيب أحمد الغالي ، إشراف دم عبد الحليم المطعني ، ١٤١٤ هـ ص ٧١

<sup>٣</sup> دلالات التراكيب ص ٢١٨

التي تفيدها أدوات الاستفهام كثيرة لا يمكن الإحاطة بها وإنما يذكر العلماء منها ما يرشد إلى طريقة تفهمها والوعي بها.<sup>١</sup> لأن سياق الجملة هو الذي يحدد غرض المتحدث ، والسياق هو المتحكم في توجيه المعنى المراد ، " والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقتها تولد منه بمعونة القرائن ما يناسب المقام "<sup>٢</sup> ومن هذه المعاني التي يخرج إليها الاستفهام السخرية ، بكل معانيها من تهكم، وتحقير، واستهانة، وغيرها من المعاني التي تندرج تحت معنى السخرية ، وهذا الأسلوب إذا سلكه الإنسان في التعبير عن مراده يزيد أسلوبه تأثيرا وقوة أكثر من التعبير المباشر عن هذه الأمور لأن فيه استفزازا للمشاعر ، ولعبا بالأعصاب ، يثير حفيظة المسذُورِ منه ، مما يجعل أثر هذا الأسلوب أكثر في النفس ، وألمَ للمشاعر .

"لذلك نجد هذا الأسلوب يتكرر كثيرا في القرآن الكريم يدمغ به الله المشركين، ويفضح المنافقين ، ويرد على سخرية الساخرين، وهزء المستهزئين"<sup>٣</sup> كقوله تعالى :

أَصْلَاحَ الْفُلُجَاءِ وَأَيُّمْرِشَلَيْقُ نَذَرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ لِئَلَّا نَذَرَكَ لِأَنَّ نَالِحَ لَيْمِ الرَّشِيدِ (٨٧) {<sup>٤</sup>

فهم هنا يحاولون بيان سدفه أمر شعيب ، وتحقير دعوته من خلال هذا الاستفهام الذي يحاولون فيه أن يبينوا لقومهم أنّ هذا النبي يحاول صدّكم عن دين آبائكم وأجدادكم

<sup>١</sup> دلالات التراكيب ص ٢١٦

<sup>٢</sup> المطول ص ٢٣٨

<sup>٣</sup> أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، عبد العليم فودة ، القاهرة ، المجلس العلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم

الاجتماعية . ص ٢٤١

<sup>٤</sup> سورة هود آية ٨٧

بدعواه هذه . فاختاروا طريق السخرية من هذه الدعوة ليدلوا على أنها باطلة من أساسها ، لذلك هي مدعاة للضحك والتدبر .

ومن أمثلته "إِيضَارُ قَوْلَهُ لِلْعَالَمِينَ" كَفَرُوا إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْـذَابًا يَذُوقُونَ آهَاتِكُمْ وَهُمْ بِاللَّعْنَةِ مَأْنٍ هُمْ كَافِرُونَ" ومنه قولهم "أَيُّهُمْ يَذُوقُ آهَاتِكُمْ" فالله تعالى يبيّن حقارة أمرهم ، ويسخر من قولهم مطالباً إليّهم بأن يحددوا كفيلهم الذي ضمن لهم دخول الجنة ، ليبيّن سفة قولهم ، وكذبهم .

ومنه قولهم "عَالِي كَارٍ" وَلَهُ الْأُذُنَاتِي<sup>١</sup> فقد وبخ الله سبحانه وتعالى المشركين على هذه الدعوى الباطلة ، مستخدماً أسلوب الاستفهام الذي يتضمن مع إنكاره لهذا الافتراء بيان سفاهة دعواهم وحقارة أمرهم ، وإظهار قصر نظرهم فكل هذه الأكاذيب ليس لهم عليها دليل .

والأمثلة على هذا النوع في القرآن الكريم يطول حصرها ، وليس من أهداف البحث تتبعها ، وإنما أراد البحث أن يعطي أمودجاً لاستخدام القرآن الكريم لهذا النوع من الأساليب . فإذا انتقلنا إلى الشعر للوقوف على هذا النوع من الأساليب نجد أن الشعراء قد أكثروا من استعماله في هجائهم<sup>٢</sup> ومن ذلك قول زهير في هجاء آل حصن:

وما أدري وسوف أخالُ أدري أقومُ آل حصنٍ أم نساء؟<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> سورة الأنبياء آية ٣٦

<sup>٢</sup> سورة القلم آية ٤٠

<sup>٣</sup> سورة النجم آية ٢١

<sup>٤</sup> أساليب السخرية في البلاغة العربية ص ٩٣ بتصرف

<sup>٥</sup> قوم يقصد بها الرجال . والدليل على ذلك أن المعادل بعد أم أتى النساء .

<sup>٦</sup> ديوان زهير ابن أبي سلمى - حمدو الطمّاس - دار المعرفة - لبنان - بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

ص ١٣

إنّ استخدام زهير لأسلوب الاستفهام في هجائه لآل حصن فيه تندّر ، وإيلام في هجاء آل حصن ، لدرجة أنّه جعل المتلقي في حيرة من جنس هؤلاء القوم ، وهذا يعطي أبعاداً جديدة للصورة التي سوف يرسمها عن شكل آل حصن مما يسبب لهم ألماً أكبر من الوصف المباشر بعدم الرجولة، كما أن المساحة النفسية التي يتركها ذلك الاستفهام تعزز من وقع الهجاء على القوم وتزيد من شعورهم بالذّقص .

ومن هذا النوع قول المتنبي في هجاء كافور الأخشيدي :

من أيّة الطّرقِ يأتي مثلك الكرمُ أين المحاجمُ يا كافور والجَلَمُ<sup>١</sup>

يستفهم المتنبي ساخراً ، فيوجه استفهامه إلى كافور الذي تبدّى للمتنبي تمثالا من المخازي لا طريق للكرم إليه ، فأية طريق للكرم نحو من هذه صفاته ، ثم يسيتفهم ثانية ويسأل كافورا عن محاجمه وأدواته التي لا يصلح أمره إلا بها ، أما الكرم فمما لا يصلح له ، بل ولا يهتدي لطريقه " <sup>٢</sup> .

ومن نفس المثال قول المتنبي :

من علم الأسود المخصي مكرمة أقومه البيض أم آباؤه الصيد<sup>٣</sup>

أم أذنه في يد النخاس<sup>٤</sup> دامية أم قدره وهو بالفلسين مردود<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> ديوان المتنبي ج ٢ ص ٩٤٩

المحاجم جمع محجمة وهي القارورة يحجم بها الجلد . والجم أحد شقي المقرض وهما جلمان . وروى الواحدي يأتي نحوك . يقول لا طريق للكرم إليك وكيف يصل إليك الكرم من بين المحاجم والمقاريض وذلك أنه يقال إن الذي اشتراه قديما كان حجّاما .

<sup>٢</sup> أساليب السخرية في البلاغة العربية ص ٩٣

<sup>٣</sup> الصيد : جمع أصيد وهو الملك العظيم .

<sup>٤</sup> النخاس : بائع العبيد

<sup>٥</sup> ديوان المتنبي ج ٢ ص ٩٦٠

فالمتنبي يستهزئ بكافور من خلال طرح تلك الأسئلة التي تؤدي في مجملها إلى جواب واحد هو أن كافورا ليس أهلا لهذه المكرمات ، لأنه ليس عربيا حرا يستحق أن يرتقي إلى معالي الأمور ، وإنما هو عبد لا يجيد إلا خدمة مواليه.

فإذا رجع البحث إلى استخدام البردوني للاستفهام كأسلوب يبحر من خلاله " بحثا عن الحقيقة الكامنة خلف حركة الحياة في هذا الوجود ، لأنه الأسلوب الذي يصاحب الإنسان في تأملاته الكونية العميقة ، وينوب عن الإنسان في فرض نفسه ، لسبر أغوار النفس الإنسانية ، ولتفسير ظواهر الكون والطبيعة وعلاقات الناس ، وتمايز البعض دون البعض ، ومفهوم أسلوب الاستفهام من هذا المنطلق ، استطاع شاعرنا أن يوظفه في شعره" <sup>١</sup>

لقد كان البردوني في حيرة عقلية كبيرة يريد أن يجد جواباً لها ، فانطلق يوزع تلك التساؤلات علّه يجد جوابا لما يعترك ظل صدره من هموم ومآسٍ ، أكثر السؤال لأنه وجد فيه روحا تعلو به من أرض الواقع إلى مرتفعات التفكير في جواب لكل ما يطرح من أسئلة وحلّ يفتش عنه في كل مخبأ، ويبحث عنه في كل زاوية ، وكأنه يريد أن يقول :

سؤالٌ عنك يحفرُ كلَّ تلٍّ وَيَسْبِرُ عنك أغوارَ الوهادِ <sup>٢</sup>

فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من تلك النبيرة المستفهمة ، حتى أصبح الاستفهام علامة فارقة في وجه قصيدة البردوني ، يبتث من خلاله كل همومه وأحزانه :

مَنْ أُنَادِي؟ وَأَنْتِ صَدَمًا سَدَمِيَعَةً بَيْنَ صَوْتِي وَبَيْنَ أُمَّي قَطِيَعَةً

<sup>١</sup> عبدالله البردوني حياته وشعره ص ١٢٩

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٤٠٤



من أنادي؟ من ذهاننا؟ لم يُجربني آه، إحصمتُ القُبورِ الصَدِيعَةَ .

يا بلادي : أفتنتي أشغلُ التفتي عثي ، وعَن بلادي الصَدْرِيَعَةَ<sup>١</sup>

إنها الحيرة التي تسيطر عليه فهو ينادي بلاده التي تسمعه لكنها لا تجيبه ، فبلاده تحمل مفارقة عجيبة فهي سميعة لنداءاته لكنها صامتة عن الإجابة ، لتكتمل الحيرة عند البردوني عندما لم يجد جوابا إلا من خلال صمت القبور المتشقة . إن حيرة السؤال الذي يبحث البردوني عن إجابته تسيطر على كل نغماته ، لتكتمل تلك المعاناة في عدم وجود الجواب ، فكل ما يحيط به من حياة هو مجرد قبر .

إنها الحيرة التي سيطرت على نغمات البردوني فارتحل يبحث عن ذاته من خلال تلك التساؤلات .

مَنْ أَنْتَ ، واسدْتَبَعْتَ جوابي لهبٌ يحنُّ إلى التَهَابِ

من أنت ، عزّاف الأسي والنار قيِّدًا رُ<sup>٢</sup> العذابِ

وعلى جبينك قصَّةٌ حيرى كديجور اليبابِ<sup>٣</sup>

وخواطر كهواجس الإف ليل في قلق الممرابي<sup>٤</sup>

وأنا أتدري : ممن أنا قُلْ لي ، وأسكرها اضطرابي

سدلْ تمتمات العطر : هل نيسان يمرح في ثيابي

من هذه؟ أسطورة الأحلام أخيلة الشدَّ هابِ<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٣٦٨

<sup>٢</sup> القنَّار ، القنَّارة : آلة طرب ذات ستة أوتار ( المعجم الوسيط ص ٧٦٨ )

<sup>٣</sup> اليباب : الأرض الخراب

<sup>٤</sup> تدوير البيت لي في الأصل

<sup>٥</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٤٢٠

إنها تساؤلات تعطينا حجم تلك الحيرة التي تسيطر عليه ، ومقدار ذلك الرفض الذي يجتاح داخله رغبة في إزاحة كل ما يعترض طريقه نحو التقدم والانطلاق . الانطلاق الذي يحلم به لكنه يضيعه في زحمة الواقع ، فيرتد ذلك الانطلاق إلى صدى يرجع صوت أمله . إن الاستفهام يلعب دوراً في تحفيز الشخص لرفض واقعه الأليم الذي يصوره من خلال التساؤلات بصورة بشعة ساخرة من المقدار الذي وصل إليه .

من ذا يناديني؟ ويدنو من يدي حتى أ همّ بلمسه، يتناهى  
 كيفستلر؟ وأستحيلُ ترقبا شَرَّ هَائِدَارِي السُّهْدَ وَالْإِغْفَاءَ  
 حتى يعودَ ... أَكْأَهْتِفُ بِاسْمِهِ وَيُرِيْبِنِي فَأُضِيْعُ الْأَسْمَاءَ  
 مِنْ أَيْنَ يَدْعُونِي؟ وَأَنْبُشُ لَهْفَتِي عَنْ نَبْعِهِ وَأَفْتَشُ الْإِصْغَاءَ  
 وأمدُّ أسئلةُ يُمدِّي بعضُها بعضاً وَيَضْحَكُ بَعْضُهَا اسْتِهْزَاءَ  
 من أين باح؟ أمِنْ هُنَالِكَ؟ وَمِ أَمْ أَدُّهُ مِنْ هَهُنَا يَتْرَأَى  
 من حيثُ لا أدري وأدري إَدُّهُ يَعْتَادُنِي فَيَحِيلُنِي أَصْدَاءُ<sup>١</sup>

لقد سافر البردوني بحثاً عن نفسه التي أضاعها داخل سراديب وطنه ، فأصبح لا يدري أهو يعيش داخل وطنه أم أن وطنه استحال إلى جوفه . تساؤلات حائرة حيرة البردوني في وطنه .

من أين أنا؟ من يدري أوليست لي جنسيه؟  
 نسبي رايات حمرٌ وفتوحاتٌ ذهبية  
 فلماذا تستغربني هذي الزمرُ الخَشَبِيَّة

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٩١

يا إخواني أصلي من صنعاء أمي دُبَ عِيَّه

صنعاوي حُجْرِيُّ ما صنعاء ما الحُجْرِيَّه؟<sup>١</sup>

إنَّها الغربة التي يعيشها البردوني داخل وطنه ، والتي يعبّر عنها بسخرية لأدَّه داخل

وطنه ولا يشعر بوطنيته. لقد حاول البردوني من خلال تساؤلاته المبنية على المفارقة

أن يسخر من الحال التي وصل إليها .

من أين أنا؟ تشويني بتغابيه السخريَّه

عربيُّ لا تعرفني ... حتى الدنيا العربيه

وأبي قالوا يمْنِيَّ وأمي قالوا يمْنِيَّه<sup>٢</sup>

إنها رحلة البردوني إلى المجهول الذي لا يدري من أين يبدؤه؟ ومن أين ينهيه.

وبلادُ بلادي منفي ومتلهاتُ أبدِيَّه

من أين أنا؟ مجهولٌ جوَّالٌ دونَ هويَّه

وبلا وطن لكنْـيِّ موهوم بالوطنيَّه<sup>٣</sup>

مع كل هذه الحيرة إلا أنه يأمل في عودة صنعاه عزيزة كما يريد لها ، تعلوها مهابة

الشرف ، وتكسوها جلاله القدر .

أصنعا . ولكن متى تأنفينَ يقولون قد كُنتِ يوما مُنيْفَه

متى منك تمضينَ عَجْلى إلي ك ترينَ اخضرارَ الحياة التَّظْرِيفَه

أمنَ قلبِ أُغْنِيَهٍ من دمو ع ستأتينَ ؟! أم من حنايا قذيفَه<sup>١</sup>

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٦٠٧

<sup>٢</sup> المرجع السابق ج ١ ص ٦٠٧

<sup>٣</sup> المرجع السابق ج ١ ص ٦٠٩

يحاول البردوني أن يستثير همة وطنه من خلال طرح هذه الأسئلة القاسية ، والتي يحاول من خلالها أن يعيده إلى مجده التليد . لم يقتصر البردوني في ركوبه موجة التساؤلات على البوح بما يريد من هموم فقط وإنما أخذ يفلسف تلك الأسئلة ، ويجعلها مطية للوصول إلى سخريته ممّا يحصل في البلاد . ففي قصيدة سندباد يمّني في مقعد التحقيق يبيث تلك التساؤلات الساخرة الموجهة لنقد تلك التصرفات التي تمارس ضدّ أفراد الشعب .

كما شئت فتشّ ... أين أُخفي حقائبي      أتسألني من أنت؟ .. أعرفُ واجبي  
أجربُ ، لا تُحاولُ ، عمركَ الإسمُ كاملاً      ثلاثون تقريباً ... مثدّي الشـواجيبي  
نعم أين كنتَ الأمسِ ؟ كنتُ بمرقدِي      وجمعتي في السجنِ في السدوقِ شـاربي  
رَحَلتَ إِنْ ، فيمَ الرحيلُ ؟ أظنّه      جَديداً ، أنا فيهِ طريقي وصـاحدي  
إلى أين ؟ من شـعَبِ لثانِ بداخلي      متى سوفَ آتي حينَ تَمْضِي رَغائبي  
جوازا سـدياحياً حملتَ ؟ جـانـازةً      حملتُ بجلدي فوقَ أيدي رَأسـيدي  
.. من الضفة الأولى رحلتُ مهدياً      إلى الضفة الأخرى ، حملتُ خرائبي<sup>٢</sup>

إن أكثر ما يُميّزُ هذا النص هو ميل البردوني إلى أسلوب الحكيم ، حيث كان المحقق يسأل عن أشياء فيجيب البردوني بما يهم الشعب ، وليس بما يريد ذلك المحقق ، وكأنه يقول كان الأجدر بك يا سيدي أن تحقق هذه الأمور بدلا من سؤلك عن أشياء لا تنفع الشعب ، فالواجب عليك خدمة الشعب ، والبحث عن مشاكله . لينطلق البردوني في

<sup>١</sup> المرجع السابق ج ١ ص ٦٩٣

<sup>٢</sup> المرجع السابق ج ١ ص ٧٦٥

سخريته من الواقع الذي يعيشه المواطن ، مطالباً بتغيير هذا الواقع بريشة الفنان  
الواعظ .

تحدّيت بالألسكومة ، مجرمٌ رهنتُ لدى الخبازِ أمسِ جواربي  
منِ الكاتبِ الأدنى إليك ؟ ذَكَرْتُهُ لَدَيْهِ كَمَا يَبْدُو كِتَابِي وَكَاتِبِي  
لَدَيْهِمْ الْخَمَارِ ، يَكْتُبُ عِذَّةً حسابي ، ومَذْهَى الشَّهْرِ ، يَبْتَزُّ رَاتِبِي  
قَرَأْتَ لَهُ شَيْئاً ؟ كُؤُوساً كَثِيراً وَضِيعَتُ أَجْفَانِي ، لَدَيْهِ وَحَاجِرِي  
قَرَأْتَ كَمَا يَحْكُونَ عَنْكَ قِصَائِدَا مَهْرَبَةً بَلْ كُنْتُ أَوَّلَ هَارِبِ  
أَمَا كُنْتَ يَوْمَا طَالِبَا كُنْتُ يَا أَخِي وَقَدْ كَانَ أَسْتَاذَ التَّلَامِيذِ طَالِبِي  
قَرَأْتُ كِتَاباً مَرَّةً ، صرْتُ بَعْدَهُ حَمَاراً ، حَمَاراً لَا أَرَى دَجْمَ رَاكِبِي<sup>١</sup>

يتضح من النص السابق المقدرة الكبيرة لدى البردوني في السخرية من كل ما يحيط  
به ، سخرية يوجهها لبناء ما يراه محتاجاً للبناء. وكأنه يقول للجميع أفيقوا من سباتكم ،  
يعذبهم بسياط سخريته ليجد فيهم أملاً حيّاً ينشده ، يعاقبهم بلسعته الساخرة علّها تجد  
طريقاً إلى إحياء أمته .

<sup>١</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٧٦٥

## ٢ - المبالغة :

الأسلوب الثاني الذي حاول البردوني أن يسخره للتعبير عن سخريته هو المبالغة .  
وقبل الولوج في طرائق البردوني التي اعتمد فيها على المبالغة الساخرة يحاول البحث  
الوقوف على معنى مبسط للمبالغة .

يقول ابن منظور في مادة ( بلغ ) : **"بَالِغٌ يَبَالِغُ مَبَالِغَةً وَبَلَاغًا إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْأَمْرِ ...  
والمبالغة أن تبلغ في الأمر جَهْدَكَ"** <sup>١</sup>. ويوافق ابن منظور الأزهري عندما عرف  
المبالغة بقوله : **" المبالغة أن تبلغ من العمل جهدك "** <sup>٢</sup>، ويذهب الزمخشري لقريب  
من هذا المعنى فيقول : **" وتبالغ فيه المرض والهمل إذا تناهى "** <sup>٣</sup>

هذا بالنسبة للتعريف اللغوي للمبالغة فإذا رجعنا لتعريف المبالغة اصطلاحاً فإننا نجد  
أن هذا المصطلح لم يقف عند رأي واحد ، وإنما تعددت فيه الأقوال " لكنها تجتمع  
في النهاية لكي تفيد أن المقصود بها أن يتعدى الشاعر في قوله حدود المعروف أو  
المعقول " <sup>٤</sup> .

ونبدأ بما قاله قدامة بن جعفر في تعريفه للمبالغة " أن يذكر الشاعر حالاً من  
الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده فلا يقف حتى  
يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ في ما قصد له وذلك مثل قول  
عمير بن الأيهم التغلبي :

ونكرم جارنا ما دام فينا      ونتبعه الكرامة حيث مالا

<sup>١</sup> لسان العرب مادة بلغ .

<sup>٢</sup> تهذيب اللغة ج ٨ ص ١٣٩

<sup>٣</sup> أساس البلاغة : بلغ

<sup>٤</sup> انظر المبالغة في الشعر العباسي - عبد العزيز الشيبلي ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠١هـ ، ص ١٥

فإكرامهم للجار ، ما دام فيهم ، من الأخلاق الجميلة الموصوفة ، وإتباعهم إياه الكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل<sup>١</sup>. ويعلق أبو هلال العسكري على البيت بأن المبالغة فيه بذكر المتكلم حالاً لو وقف عليها أجزأته في غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة تؤكد ، ويلحق به لاحقة تؤيده<sup>٢</sup>.

ومثل ذلك قول الحكم الخُضريّ :

وأقبح من قرد وأبخل بالقرى من الكلب أمسى وهو غرثان أعجف<sup>٣</sup>

فقد كان يجزي في الذم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب ، والمبالغة في هجائه قوله " هو غرثان أعجف " ، فالكلب بخيل على ما ظفر به ، وهو أشد بخلاً إذا كان جائعاً أعجف<sup>٤</sup>

ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة :

متى ما تدع قومك أدع قومي فيأتي من بني جشم فنام<sup>٥</sup>

فوارس بهمة حشد إذا ما بدا حُضْرُ الحبيبة والدلم<sup>٦</sup>

والمبالغة الشديدة في هذا الشعر هي قوله الحبيبة<sup>٧</sup> " "

إذ إنّ قدامة يجعل المبالغة هي الزيادة عن المعنى المراد إيصاله للمتلقي ، فكل زيادة عن القدر المؤدي لفهم المعنى هي مبالغة .

<sup>١</sup> نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ص ١٤٦

<sup>٢</sup> انظر الصناعتين، لأبي هلال العسكري، حققه مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ ص ٣٧٨-٣٧٩

<sup>٣</sup> غرثان : الجائع . أعجف : النحيف الذي ذهب سمته .

<sup>٤</sup> انظر الصناعتين ص ٣٧٨-٣٧٩

<sup>٥</sup> فنام : الجماعة من الناس

<sup>٦</sup> حضر : ارتفاع الفرس في عدوه . الحبيبة : السكوت المتحشمة . الحذام . الرجل القصير قريب الخطو .

<sup>٧</sup> نقد الشعر ص ١٤٦ - ١٤٧

فإذا رجع البحث لأبي هلال العسكري وجد ه يعرف المبالغة بقوله :

"المبالغة أن تبلغ أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة على أدنى منازلها وأقرب مراتبه، ومثاله من القرآن قول الله تعالى: "يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى". ولو قال: تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بياناً حسناً وبلاغة كاملة، وإنما خص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها، وأشغف به لقربه منها ولزومها له، لا يفارقها ليلاً ولانهاراً، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف، ولهذا قال امرؤ القيس:

فمئلك حبلى قد طرقتُ ومرضع فألهيئها عن ذي تائمٍ محول

لما أراد المبالغة في وصف محبة المرأة له، قال: إني ألهيئها عن ولدها الذي ترضعه لمعرفته بشغفها به، وشفقتها عليه في حال إرضاعها إياه. وقوله تعالى: { كسراب ببيعة يحسبهُ الظَّمان ماءً } لو قال يحسبه الرائي لكان جيداً، ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمان، لأن حاجته إلى الماء أشد، وهو على الماء أحرص،<sup>١</sup>

كل ما سبق يشير إلى أن المبالغة تحمل في طياتها معنى واحداً هو الزيادة، وهذا المعنى هو الذي ترسخ حتى في استخدام النحاة في مناقشة زيادة المباني في الكلمة " ففكرة المبالغة هنا تدل على زيادة في المعنى لزيادة الحروف ، فالزيادة في معنى أي اشتقاق عن النواة الأولى لذلك الاشتقاق هي التي سماها الخليل المبالغة . " <sup>٢</sup>

<sup>١</sup> الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٣٧٨ - ٣٧٩

<sup>٢</sup> المبالغة في البلاغة العربية ص ١٧



وليس معنى هذا أن كل التعريفات تتدرج تحت هذا المعنى ، وإنما هناك تعريفات كثيرة للمبالغة ، لم يشأ البحث تتبعها بكل تفصيلاتها ، وإنما سار البحث مع أكثر هذه التعريفات دورانا على ألسنة النقاد . لأننا نجد من النقاد من يقسم المبالغة إلى تبليغ ، وإغراق ، و غلو ، ولكل قسم من هذه الأقسام تعريفات خاصة به ، ولكل قسم من هذه الأقسام حكم في القبول والرفض ، والبحث في مسيرته لا يريد تقصى دلالات المبالغة ، وتقسيماتها ، والوقوف مع المقبول منها والمرفوض في أحكام النقاد ، وإنما أراد أن يقف على أهم تلك المعاني التي اصطلح عليها النقاد في تعريفهم للمبالغة ، وهي قولهم بأن المبالغة هي الزيادة على المفترض .

ومن قاعدة أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ترسم تلك الصورة عن المبالغة ، واستخدام بعض الأدباء لها في مواضع السخرية ،

فهناك " جانب مسل من جوانب المبالغة ذلك هو المبالغة الساخرة ، وهي التي يعتمد فيها الشاعر على الوصف الساخر عن طريق التجسيم والتفخيم للأشياء ، والأوصاف حتى تبدو في صورة مبالغ فيها فتثير في نفس السامع الضحك و التندر " <sup>١</sup>

فالمبالغة التي تزيد عن حدها قد تخرج إلى معنى السخرية ، لما فيها من زيادة عن الحد المقبول يخرج بها إلى باب الغلو الذي يقود في بعض الأحيان إلى السخرية من هذا الموصوف ومثل ذلك قول البحري واصفا شخصا يقال له الخثعمي ، وكان كبير الأنف :

رأيت الخثعمي يُقِلُّ أنفاً يَضيقُ بعرضه البلدُ الفضاءُ

<sup>١</sup> المبالغة في الشعر العباسي ( أسبابها - أنواعها - مظاهرها - نماذج لها )، محمد الربيع ، ص ١٤٢ - ١٤٣

سَمَا صَعُودًا فَقَصَّرَ كُلُّ سَامٍ لَهيبته و غصّ به الهواءُ

هو الجبلُ الذي لولا ذراه إذاً وقعت على الأرض . السماء<sup>١</sup>

فجملة يُقْلُ تعطي مقدار الثقل الذي يعانيه هذا الرجل ، والمعاناة التي يتكبدتها في حمل هذا الأنف ، ليصل إلى قمة تلك المبالغة عندما يشبه ذلك الأنف بالجبل الذي ترتكز عليه السماء ، لكي لا تقع على الأرض ، فالمبالغة في وصف أنف هذا الرجل قادتته للخروج إلى معنى التندر والسخرية به .

ولو وقفنا مع أبي نواس وهو يصف بخل رجل اسمه سعيد ، وكيف يهتم برغيفه ، لوجدنا قيمة هذا الأسلوب في إثارة الضحك ، وإيلام المهجو .

رغيف سعيد عنده عدلٌ نَفْسِهِ يقلبه طوراً وطوراً يلاعبه

ويخرجه من كـمه فيشـمه ويجلسه في حجره ويخاطبه

عندما يجعل الشاعر الرغيف مساوياً في المنزلة للنفس نقول إنه بالغ في وصف هذا الرجل بالحرص والبخل ، ثم يستمر في مبالغاته زاعماً أنه يستمتع بقضاء وقته في مداعبة الرغيف ومخاطبته .

فهذه الزيادة في الحرص مبالغ فيها ، لدرجة أنها تثير ضحك المتخيل لها ، و تكون أكثر أثراً في هجاء هذا الشخص البخيل .

إذاً المبالغة في الوصف تُخرج المعنى من حقيقته إلى الذم والسخرية من الموصوف ، وهو ما يريد البحث أن يصل إليه ، في تتبع هذا الأسلوب عند البردوني ، في رحلته مع السخرية . لقد رسم البردوني بمبالغاته نوعاً من الجسر الذي حاول أن يجعله

<sup>١</sup> الأدب العربي وتاريخه ج ٢ ص ٣٥٠

مركب عبور إلى همّ أمته ، وتطلعات مستقبله. فعندما يصف حالته مع الفقر نجده  
يبالغ في ذلك الوصف قائلاً :

كيف كنا نقتات جوعاً ونعطي أرذل المتخمين أشهى المطاعم

وجراحاتنا على باب مولا نا تقيم<sup>١</sup> الذباب منها ولائم<sup>٢</sup>

لقد عبر البردوني عن قلة الحال بقوله : نقتات ليزيد في مبالغته عندما جعل القوت هو  
الجوع نفسه ، لينتقل إلى الصورة المقابلة عند من يجد الطعام مستمراً في مبالغته  
عندما جعلهم من شعبهم يصلون إلى درجة التخمّة ، ولا يكتفون بالطعام فقط ، وإنما  
يبحثون عن أشهائه . ثم ينتقل إلى قمة المبالغة عندما يصور تلك الاحتفالية الضخمة  
التي يقيمها الذباب ، وتكون معاناتهم وجراحاتهم على باب الحاكم ، هي الوليمة التي  
تدق طبول الذباب عليها ، وتتجمع أسرابه لتحتفل على مائدتها . صورة ينقلها  
البردوني من عالم المبالغة لتوضح مقدار المعاناة ، وعظم الألم . مبالغة ساخرة  
يحاول من خلالها أن يوصل رسالة للمسئول يذكره فيها بما تعانيه الرعية . معاناة تدق  
طبول الاحتفالات لها لكنها احتفالات ذبابية ، تتلذذ بمعاناة شعب .

لم يتوقف البردوني عند هذا الحد من وصف المعاناة بل يستمر في إخراجها لصورها  
على نحو خاص به :

دخلت الحوارية ، ومنها خرج ت بدكتورة الذلّ والمسغبة

عرفت القرارات رغم السطو ح كما تعرف الخنجر الأرنبي

قتلت مـرارة فزد مرّة يحسوا بأن القليل انتبه<sup>١</sup>

<sup>١</sup> تقيم الذباب ، هكذا في المصدر ، والصحيح يقيم الذباب .

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ١ ص ٣٨١

لقد تفنن في وصف الذلّ لدرجة أنه جعله يدرس ويأخذ فيه شهادة ، وقد ترقى شاعرنا في دراساته المتخصصة في الذلّ والحرمان حتى تخرج بأعلى الدرجات الحرمانية . لقد ركّز البردوني على أن يجعل الذلّ الذي عاشه ذلاً ليس أمراً عابراً وإنما هو ذلّ بالتخصص ، ذلّ يمنح المتخرج منه أعلى الدرجات .

ولم يكتف البردوني في هذا المشهد بالوقوف عند توصيف حدّ الذل بل نراه يعود لمبالغاته عندما يطلب من ذلك القاتل رغم تكراره للقتل أن يعيد الكرة مرة جديدة عليهم يحسون بأن هذا القتل لتبه لما يتعرض له من قتل ، فهنا يمارس البردوني إسقاطاته على القاتل الذي لا يرعوي عن ممارسة هوايته مرة بعد مرة ، وعلى المقتول الذي لا تثيره مرات القتل ، و إنما يرضى بها. ويصل إلى قمة المبالغة في سخريته بقوله ( انتبه ) فمع كل ما تعرض له من قتل فهو بالكاد يصل إلى درجة الانتباه فقط ، وكأنه لم يشعر بكل ما حصل له سابقاً .

ويستمرّ البردوني في وصفه لجوعه و ما يعانیه من حرمان ، وكيف أن ما يملكه هو تلك الذبابات التي يعدها نقوده :

من ذا يذبّ النقود يا أمّ عتّا ؟ أصبحت فوقنا الرؤوس عجينا

أمّ ، هذا الذباب يُدعى نقوداً فلتذبّبي هذا الوباء الثّميننا

أنت في عُريك الحقيقيّ أبهى من حُلّاي تمتطيك جوعاً بَطِيننا<sup>٢</sup>

ليصل في فلسفته في المبالغة إلى درجة رؤيته أن الموت بالنقود أشد من الموت نفسه.

أمسـيت لغوا يا ردى والقتل كالمقتول ساهي

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٣

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٨٤٦

من ذا تُميت ، وكلهم ما توا وأنت هناك لاهي ؟  
 سبقتك أمركة المذا بح أيها الشيخ الرّفاهي  
 اليوم للشّيك الأوا مر للمدى كلّ الذّواهي  
 أصبحت يا موتُ احتياطا مثل أبطال المقاهي  
 قد كنتُ آجالا وجا ء القتل فاخترق اتّجاهي  
 أدخالُ ذبحَ للشّيك أم هرّ من يدِ الحتّفِ الإلهي ؟<sup>١</sup>

لقد بالغ في جعل الموت يُعد في المرتبة الثانية في المقدرة على القتل ، بل جعله  
 اللاعب الاحتياطي في مقهى القتل . ليكون الشيك ، وهو رمز المال هنا أقدر ، بل  
 أمضى في القتل .

وفي قصيدته عام بلا رقم يبحر في مبالغات في وصف ذلك العام ، يحاول من خلالها  
 رسم تلك الصورة السوداوية عن واقعه .

وجهه بيدر الـجثث ظهره مركب التّفث  
 صبحه الرّثُ كالدّجى وهو من وقته أرّث  
 كلّ مجرى فصوله جدثُ يفتفي جدث  
 أهو أقصى مدى الأسى ؟ أم بداية العبث ؟<sup>٢</sup>

إن سخريته من هذا العام تتمثل في عدم معرفته بما يحمله هذا العام من أحداث  
 مأساوية جديدة ، فهو لا ينتظر من هذا العام مواكب فرح يزفها للناس ، وإنما كل ما  
 يرجو أن لا تكون مصيبته أعظم من سابقه ، مع أن كل ما فيه لا يبشر بخير .

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٩٨٧ - ٩٨٨

<sup>٢</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٠١٤

يقودنا بعد ذلك إلى ليلته التي مرت عليه متخفية شديدة الحذر ، فيصورها مبالغا في تلك الصورة وهو يعبر عن ليلة من طراز زمانه القاسي .

دنت كزيارة الجاسوس      ومثل غرابية الكابوس  
وكالرّ حالة المـحنيّ      ومثل الهارب المحبوس  
ومثل توغل المـحت      ل مثل تعقل المـمسوس  
تخالـسني كأميّ      يقاب دفنرا مطـموس  
تحن إلى المدى الأخرى      وتستغني عن الملموس  
كوحش ماله وصف      ولا رسم على القاموس<sup>١</sup>

إن مبالغته في وصف تخفي هذه الليلة يقودنا إلى مقدار ما يعانيه من ترقب، وهم يعايشه في انتظار رحيل تلك الليلة ، ليلبغ قمة المعاناة عندما يصفها بالوحش الذي لم ير مثله ، بل لم تصل ريشة أعظم المتخيلين لرسم بشاعة منظره .

ينتقل بعد ذلك إلى وصف صعلوك من هذا العصر :

كان يحس أنه خـرابه      وأن كل كائـن ذبـابه  
وأنّ في جبيـنه غرابا      يشوي على أنفاسه غرابه  
وأنه نقابة طـموح      وشرطة تسطو على الذّـقابه  
وبعضه يلهو بهجو بعض      وكلاه يستنقل الدّـعابه  
وتارة يرى البحور كأسا      في كفه والعالم استـجابه  
وأنّ في قمـيصه نبيّا      أغنى عن الإعجاز والصدّحابه

<sup>١</sup> نفس المرجع السابق ج ٢ ص ١٠١٦

وأن إبليس على يديه أتى يصلي صادق الإنابه

وأن هارون الرشيد يرجو في بابه التشريف بالحجابه<sup>١</sup>

إن هذه المبالغات في تخيلات هذا الصعلوك تدل على رفض لواقع معاش ، وحلم بحياة أفضل يراها في خيالاته ، ويحلم بأن تكون في الحقيقة . إن المبالغة هنا ترتسم في تلك التناقضات التي يعيشها هذا الصعلوك ، فيقوده عجزه إلى تصور غير الممكن في صورة الممكن ، وغير المنطقي في جلباب المنطقي . ليصحو في نهاية المطاف من حلمه ، ويرتطم من علو زهوه على أرضية واقعه المحطم .

ينزف جرحه ألما لأنه مواطن بلا وطن :

مواطن بلا وطن لأنه من اليمن

تباع أرض شعبه وتشتري بلا ثمن

بيكي إذا سألته من أنت ؟ أنت من ؟

لأنه من لا هنا أو من مزائد العَلَن<sup>٢</sup>

إن مساحة الغربة التي يعيشها هذا المواطن هي أنه متغرب في وطنه ، وتكمن المبالغة في ذلك التعليل بعدم وجود الوطن وهو أنه من اليمن ، ليصل إلى قمة المبالغة في تعبيره عن تلك الحيرة التي ترتسم عليه عندما يُسأل عن وطنه ، فتفيض دموعه مجيبة عن ذلك السؤال المؤلم ، فلا يستطيع أن يذكر موطنه.

ليصل به الأمر إلى حالة من عدم فهم النفس ، تجرّها أسئلة عن حياته ، وطبيعتها التي أصبحت غامضة عليه .

<sup>١</sup> المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٤١

<sup>٢</sup> المرجع السابق ج ٢ ص ٦١٩

من نحن يا صروح يا يُدِّمُ موتى... ولكن ندّعي... نزعُمُ  
 ناجر... لا نمضي... ولا ننثني لا نحن أيقاظ... ولا نومُ  
 نغفو بلا نوم ونصحو بلا صحو... فلا نرنو ولا نحلمُ  
 كم تضحك الدنيا وتبكي أسى ونحن لا نبكي ولا نبسمُ  
 فلم يعد يضحكنا مضحك ولم تعد آلامنا تؤلمُ  
 أضاعت الأفراح ألوانها وفي عروق الحزن جفّ الدّم  
 ماذا..؟ ألفنا طعم أوجاعنا أولم نعد نشتم... أو نطمعُ؟<sup>١</sup>

لقد ركز مبالغته في هذه الأبيات على الحالة التي يشعر بها فهو في حالة لا يستطيع معها أن يفسر ما وصل إليه الشعب من خضوع ، فلا تحركه المآسي، ولا تضحكه المضحكات ، وكأنه يرسم حالة التبدل التي أصابت شعبه، حتى إنه أصبح يشك في مقدرتهم الطبيعية في الإحساس ، وتعودهم على المذلة .

ثم نقف معه مع محنة شعبه لما استعرت نار القتل فيه ليصف تلك المعاناة بأجمل الأوصاف :

أسرفت في التقتيل ، يهزمُ نصره من يستلذ القتل والإسرافا  
 حتى قطعت مع الرؤوس ذيولها هل سوف تقطع بعدها الأردافا؟  
 ماذا ستصنع حين تصعد رؤوسا تلك التي لّما تزل أكتافا؟  
 أضنى دمُ الأعناق سيفك هل روى كيف اقشعرّ من النجيع وخافا  
 لو كنت لاستعطاف أيّ مؤملٍ أهلا ، لذاب حسامك استعطافا

<sup>١</sup> المرجع السابق ج ١ ص ٦٣٨



أُيقال : عف ابن الحديد عن الدماء وابن الأئمة لا يطيق عفافا

ويُقال : أمسى ( نافع )<sup>١</sup> مستخبرا أأجعته كي يأكل الأضيافا ؟<sup>٢</sup>

لقد بالغ البردوني في وصف كثرة القتل الذي جعله يبلغ حدّ الإسراف ، وكان هذا القاتل لا يقتل وإنما يبذر مالا ، يلهو به ويتمتع بإنفاقه . ليصل إلى درجة عالية في المبالغة حين يجعله يقطع رؤوسا لما تنبت بعد ، وكأنه يقول إن من كثرة ما قتل هذا الرجل يخيل للناظر أنه سيقطع كل الرؤوس حتى التي لم تنبت بعد . ليصل إلى قمة المبالغة عندما جعل حسام هذا الرجل يخاف من منظر الدم ليأتي بذلك الاستفهام الاستنكاري الذي يؤنب به القاتل فكيف يعفّ السيف وهو من حديد ، ولا يطيق ابن الكرام أن يعفّ .

ثم يتجه بحيرته إلى السجن الذي يستضيفهم ويجري الاستفهام على لسانه لكي يصل إلى ذروة المبالغة في التعجب ، فهو يستفهم منك هل أجمته هذه المدة الطويلة كي يأكل ضيفانه ، والتعبير بالضيف هنا رائعة من البردوني دلالة على الزيارة الأولى ، أو الزيارة غير المعتادة ، فمن يجلس في هذا السجن لم يعتده حتى يصبح من أهله ، وإنما هو ضيف جاء به القدر ، فحري به أن يكرم بدل أن يهان ويعذب .

لقد جعل البردوني من المبالغة مطية له يركبها في الوصول إلى إبراز ما أراده من أفكار ، فهو عندما يريد أن يصور معاناته يحملها فوق ما تحتمله ، ويركبها الصعب الذي لا تستطيعه وعندما يريد أن يبين أوضاع مجتمعه يجعلها جحيما لا يحتمل ، ومأساة لا تتصور . والهدف من كل هذه المبالغات هو تحريك كوامن النفوس ،

<sup>١</sup> نافع : اسم لسجن في حجة

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ج ٢ ص ١٥٠٩

وإثارة جوامد الإحساس لأنه يرى أن جلد الروح قد يقودها إلى التغيير ، التغيير الذي يرى فيه عزّ أمته ، وارتفاع شأن شعبه .

متى يفيق هـ هنا      شعب يعي تنبّهه ؟  
وقبل أن يرنو إلى      شيء يرى ما أتفهه ...  
فينتقي تحت الضحى      وجوهه المنزّهه  
يمضي وينسى خلفه      عاداته المسدّفهه  
يفنى بكل ذرّة      من أرضه المؤلّفهه  
هنا يحس أدّه      مواطن له وطن<sup>١</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ج ١ ص ٦٢٢-٦٢٣

## ٣ - التكرار :

التكرار مصدر ، فعله كرر ، بمعنى ردّد وأعاد ، يقال يكرر يكرر وتكرارا وتكرارة ومنه الكرّ وهو الرجوع ، يُقال كرّ يكرّ كرّا وكرورا وتكرارا<sup>١</sup> ، يفهم من السابقة أن معنى التكرار هو الإرجاع ، ومن هنا وجدنا أن الكثير من العلماء يجعلون معنى التكرار هو إعادة اللفظ ، أو المعنى فعند الوقوف على تعريف ابن الأثير له نجده يقول : هو الدلالة على المعنى مرددا<sup>٢</sup> ، ثم نجده يقسمه إلى نوعين نوع يوجد في اللفظ والمعنى والآخر يقتصر على اللفظ دون المعنى<sup>٣</sup> ، ويعرفه ابن حجة الحموي بقوله : إنّ التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى<sup>٤</sup> ، فإذا وقفنا عند تعريف ابن معصوم نجد أن الكلام يتكرر إلا في شرطه الذي ساقه ، حيث يقول في تعريفه : عبارة عن تكرار كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة<sup>٥</sup> ، ونقف هنا على كلمة لنكتة لنفرق بها بين نوعين من الاستخدام للتكرار ، نوع نجده عند النحويين وهو أن النكتة من التكرار هي التوكيد ، فكل أنواع التكرار تفيد التوكيد عند النحويين ، سواء كان لفظيا ، أم معنويا لكن البلاغيين لا يحرصون الفائدة على التوكيد فقط ، بل على التوكيد وغيره من الفوائد التي يعطيها التكرار ، فالتكرار يضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر ، ومن ثم يغدو بمثابة الضوء الذي يسلمه

<sup>١</sup> انظر ك مختار الصحاح ن ص ٥٦٧ ن ولسان العرب . كرر ٥ / ١٣٥ ن والقاموس المحيط ( كرر ) ٦٠٣

<sup>٢</sup> المثل السائر ، ضياء الدين بن الأثير ، تقديم أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار النهضة ، مصر ، ط٢ ج ٣ ص ٣

<sup>٣</sup> انظر المثل السائر ج ٣ ص ٣

<sup>٤</sup> خزانة الأدب وغاية الأرب ، ، ابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو بيروت ، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧ م ،

ط١ ج ٢ ص ٤٤٩

<sup>٥</sup> انوار الربيع في أنواع البديع ج ٥ ص ٣٤٥

الشاعر على الأعماق كي يسهل الاطلاع على خباياها وعلى اللاشعور الكامن فيها<sup>١</sup> إذاً التكرار لا يعنى التوكيد فقط وإدّما الغوص في داخل النص للبحث عن أسباب تكرار للشاعر للفظ او المعنى ، فهو إذاً أسلوب يكشف ما قد يقع خلف الكلام كما أنه يدعو المتلقى إلى التساؤل والبحث عن السبب ، مما يقود المتلقى للوقوف على الحقيقة الكامنة وراء استخدام مثل هذا الأسلوب .

ولو تجولنا في رحاب ساحة البردوني الأسلوبية لوجدناه يعتمد على التكرار كأسلوب ، خاض به غمار تجربته الشعرية ، ليقف معه على مرسى بوحه الذاتي ، ويعبر من خلاله عن معاناته مع شعره أولاً ، و حزنه من واقعه ثانياً .

فعندما يبدأ قصائده بتلك التساؤلات المتكررة، هو يبحث عن شيء دفين داخل النص :

لماذا المقطف الداني بعيد عن يد العاني ؟

لماذا الزهر أني وليس الشوك بالآني ؟

لماذا يقدر الأعتى ويعيا المرهف الحاني ؟<sup>٢</sup>

لقد دق البردوني بلفظة لماذا جرس إنذار يوقظ به القلوب ، ويحيى به أموات أمته ، فكان وقعه في بداية النص كبداية لموجة مواجهات ، عاصفة تحملها ثنايا النص القادمة ، وكأنه في هذه البداية يقول للقارئ استعد فأنا أندرك بعاصفة قادمة قد قرعت لها أجراس الخطر ، ليس هذا فقط ، وإنما تلمح سخرية من أوضاع غيرت معالمها ، فلا ينال حقه المستضعف ، بينما يأخذ القوي كل ما يريد . لم يكتف البردوني في

<sup>١</sup> شعر الرثاء في العصر الجاهلي ص ٢٥٠

<sup>٢</sup> ديوان البردوني ص ١١٢١

إثارة القارئ لما يقرأ ، وإنما ذهب ليبين تلك المأساة التي كأنه يعيشها من خلال

### التكرار

أنا من أنا؟ الأشوا ق والحرمان والشكوى أنا

أنا فكرة ولهى معانيها التضدّي والذنى

أنا زفرة فيها بكاء ال فقر آثام الـغنى<sup>١</sup>

عبّر البردوني بتكرار لفظة ( أنا ) ليقول إنّ ما يعانيه يفوق حد الاحتمال، حتى أنّه

أصبح يعيش المأساة بكل تفاصيلها ، بل إنه أصبح المأساة نفسها ، لذلك وجدناه يؤكد

ذلك المعنى في شعور المتلقي من خلال تكرار لفظة ( أنا ) التي كانت تجسيداً لتلك

المعاناة. وسخرية المتوجع الذي عانى الفقر، والجوع ، والظلم ، حتى أنّها أصبحت

شخصه ، وعنوانه ، لنجده بعد ذلك يقف مع حياته شاكياً جورها ، ومتألماً من ظلمها ،

في نداءات، كأنها صرخات مستجير

يا حياتي ويا حياتي إلى كم أحتسي من يدك صلباً وعـلـم

ما حياتي إلا طريق من الأشـد واك أمشي بها على الجرح والدم

يا حياتي وما حياتي وما معـ نى وجودي فيها لأشقى وأظلم<sup>٢</sup>

صرخات كررها البردوني في سياق قصيدته ، وكأنه يقول هذه هي الحياة التي

أعيشها فهل من سبيل إلى تغييرها ، كرر البردوني لفظة الحياة وكأنه يقول ما أجمل

نطقها في الفم ، وما أقساها في المعيشة ، تلذذ البردوني بنطقها وقاسى في العيش

فيها صرخات تحيّر البردوني لمن يوجهها ، حيرة اجتاحت ذاته ، وكبلت قدراته

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٣٥

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٣٧

لمن الهيام ؟ لمن تذوب هياما ؟  
 ولمن تسلسل من ضلوعك نغمة  
 ولنشائد جرحى اللحون كأنها  
 يا شاعر الآلام كم تدمى وكم  
 خففَ عليك وعش بقلبك وحده  
 واسأل نهاك لم البكا وعلاما<sup>١</sup>

فكان تكرار السؤال ( لمن ) وكأنه صرخة تبحث عن إجابة ، تجول في كل ثناياه لكنها تصطدم بواقعه المعاش ، فيكون الجواب الذي لا يريد حتى سماعه لذلك هو يضيء تلك الشمعة التي ترسم الأمل البعيد حين يزرع في قلبه نبتة الأمل التي تحول همومه ومعاناته إلى مستقبل مشرق يحلم به.

في قلبك المهموم ألف خميلة تلد المهموم أزاهرا وخزامى  
 جلّت هموم الشعر إن دموعها فنّ يدير من الدموع مداما<sup>٢</sup>  
 هموم يحركها السؤال ، فيكون كسوط يضرب مشاعره ، لذلك هو يريد أن يوجهه  
 للمعاناة الحقيقية بدل أن يكون سؤالاً عن المشاهد

لا تسألني يا أخت أين مجالي ؟ أنا في التراب وفي السماء خيالي  
 لا تسأليني أين أغلالي سلي صمتي وإطراقي عن الأغلال ؟<sup>٣</sup>  
 لقد تعود البردوني على الأغلال حتى صارت جزءاً من حياته اليومية، وأصبح الناس  
 يستفسرون عن حالها، مثلما يستفسرون عن حاله. فكانت رمزا يدل على البردوني ،

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٧٤

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٧٥

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٢٢٢

لذلك نجده يرفض ذلك الواقع بكل تفاصيله :

لا تقل لي: سبقتني ولمـاذا لا أوالي وراءك الإنطـلاقا؟<sup>١</sup>  
 لم أسابـقك في مجال التـدنّي والتلوّي فكيف أـرضى اللـحاقا؟  
 أنا إن لم يكن قريني كريـما في مجال السـباق عفت السـباقا  
 لا تقل : ضاع في الوحول رفاقي وأضاعوا الضمير والأخلاقا  
 لم أضيع أنا ضميري وخلقي وكفاني أتّي خسرت الرّفاقا  
 لا تقل : كنت صاحبي فادن مذّي لست أشري و لا أبيع نفاقا  
 لا تقل لي : أين التقينا؟ ولا أيـن افترقنا فنحن لم نتـلاق؟<sup>٢ - ٣</sup>

لقد سخر البردوني من هذا السباق المحموم نحو السقوط في الدنيا ، وترفع حتى عن سماع المبررات ، فكانت تلك الصرخات بلا تقل وكأنها رفض قاطع لكل ما يتعلق بهذا الوضع ، وسخرية لاذعة لكل ما يحيط به من متناقضات ، رفض جعل عنوانه أنه لا تلاقي على أرض الذلّ ، والهوان ، فليس هناك مكان يجمعنا ، ولا زمان نلتقي فيه ، رفض جعله يصرخ بواقع بلاده المرير

أندرين يا صنعاء ماذا الذي يجري تموتين في شعب يموت ولا يدري ..  
 تموتين .. لكن كل يوم وبعـدا تموتين تستحين<sup>٤</sup> من موتك المزري  
 ويمتصك الطّاعون لا تسألينه إلى كم؟ فيستحلي المقام ويستشري  
 تموتين ... لكن في ترقّب مولد فتنسين أو ينساک ميعاده المـغري<sup>١</sup>

<sup>١</sup> وردت هكذا في الديوان للضرورة الشعرية

<sup>٢</sup> تدوير البيت لي في الأصل ، كما حذف ألف الإطلاق .

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٢٦٧

<sup>٤</sup> هكذا وردت في المرجع . والصواب تستحين

لقد كرر البردوني موتها ساخرا من طريقته المزرية ، التي يترفع بها عنه مثل ذلك الموت ، لأن مثلها لا يستحق الموت ، خاصة إذا كان موتها يحمل في طياته عزّ أناس لا يستحقون التضحية ، لرضوخهم وهوانهم ، خاصة وهو يرى أنهم لاهون ولا يدرون بموتهم . لأن من يحاول قتلهم يختبئ في كل مكان ، ويجئ على كل حال

غزاة لا أشـاهـدهم	وسيف الغزو في صدري
فقد يأتون تبـغا في	سجائر لونها يغـري
وفي صدقات وحشيّ	يؤنس وجهه الصـخري
وفي أهداب أنثى في	مناديل الهوى القهري
وفي سروال أسـتـاذ	وتحت عمامة المقري
وفي أقراص منع الحم	ل في أنبوبة الحبر
وفي حرية الغـثـيا	ن في عبثية العـمر <sup>٢</sup>
وفي عود احتلال الأم	س في تشكيلة العصري
وفي قنـينة الوسـكي	وفي قارورة العـطري <sup>٣</sup>

لقد جاء حرف الجر ( في ) دلالة واضحة على التنوع الذي بحث عنه البردوني في سياق تفتيشه عن الغزاة ، دلالة تدل على تخفيهم وعدم ظهورهم للعيان ، وتكراره يؤكد مسألتين حرصه الشديد على كشفهم ، وتفننهم في الاختفاء عن الباحث في كل مكان ، وبكل صورة ممكنة ، لذلك وجدناه يبحث عنهم حتى في سروال الأستاذ ،

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٦٠٣

<sup>٢</sup> تدوير الأبيات ليس في الأصل

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٦٨٠



وتحت عمامة المقري ، سخرية بحالة الخضوع ، والانقياد التي وصل إليها جميع أطراف الشعب ، متفهم قبل عاميهم . اشتباه جعل البردوني في حيرة من سيره .

إلى أين ؟ هذا بذاك اشتبهه ومن أين يا آخر تجربته ؟

إلى أين ؟ أضنى الرصيف المسيد ر وأتعبت الراكب المركبه

وعن كل وجه ينوب القنا ع وترنو المرايا كمستغربه

إلى أين ، من أين ؟ يدني المتا ه بعيدا ويستعبد المقربه<sup>١</sup>

تكرار البردوني لظرف المكان ، مع حرف الجر يدل على حيرته ، وعدم مقدرته على تصور الأمور بشكل جيد ، هذه الحيرة التي جعلته يصل في معاناته لطريق مسدود تتشابه فيه النهايات ، وتشبه فيه الوجوه والأقنعة دلالة على صعوبة ، وتأزم الموقف بالنسبة للبردوني .

هنا تستقيح الأحلى هنا تستجمل الأشنع

هنا ترقى إلى الأدنى هنا تهوي إلى الأرفع

هنا تمحو الذي تبني هنا تبني الذي تقلع

هنا تدري متى تنهي هنا تنسى متى تشرع

فترضى كل ما استبشع ت خوف تقبل الأبخع<sup>٢</sup>

هنا وليس في مكان غيره تأكيدا على هذه الميزة اليمينية ، التي لا توجد في غير هذا المكان ، سخرية من وضع بلاده المتفرد عن بقية الأمم ، فكل ما فيه يدعو للحيرة ،

<sup>١</sup> تدوير الأبيات ليس في الأصل

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٨٢١

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٩٣٢

والسؤال ، لماذا هنا فقط ، لذلك جاءت ( هنا ) كسؤال عريض يجتر من داخله كل لغات الأنين ، هل هذه ميزة تفرّدنا بها عن بقية الشعوب ، لذلك نجد البردوني يركب صهوة جواد ذكرياته ليعود لماضيه علّاه يجد ما يبحث عنه من حقائق في رحلته مع أولاد عرفجة الغبشي .

وقيل عنهم : تمرّدوا وأطاعوا	وكأمثالهم أضاعوا وضاعوا
وقيل : جاوا من صخرتين بواد	وقيل شبّوا كما تطول التّـلاع
وقيل بهم أُوخوة ، وقيل رفاق	وقيل : هم جيرة غذاهم رضاع
نو أصول أعلى المزايا لديهم	سل سيف أحدّ منه الـذراع
وقيل : كانوا إذا أجالوا سيوفا	في ربي ( صعدة ) أضاعت ( رداع )
وإذا أولموا بـ ( صعفان ) ليلا	كان للآيل في الخليـج التماع
وقيل : كانوا كواكبا فاستحالوا	واديًا للشموس فيه انـزراع <sup>١</sup>

تلك الرحلة التي جعلته يعيش بعض أمانيه ، أمانيه التي رحلت من واقعه المعاش ، لتسكن في أعماق ذكرياته .

ومع كل ذلك الأسى المعاش لينسى البردوني ، وهو الحالم بالمستقبل الواعد، المستقبل الذي يبني فيه وطنه ، المستقبل الذي يرى فيه شعبه وهو يحقق كل ما يصبو إليه من عزّ ومجد ، الوطن الذي يريد أن يكون حاضن أبنائه، لا ذلك الذي ينفّرهم من العيش على أرضه ، والتمتع بسمائه .

من ساحة الأصنام والأوثان من مسرح الطاغوت والظّغيان

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٠٦٨

من غابة الوحشية الرّعنا ومن دنيا القتال و موطن الأضغان  
 من عالم الشّدّ المسلّح حيث لا حكم لغير مهذّب وســــننان  
 بزغت تباشير السعادة والهدى بيضا كظهر الحبّ في الوجدان<sup>١</sup>

يتحدث البردوني عن زمن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقارن أحوال المجتمع في ذلك الوقت بوقته الحالي ، فيجد أن سوداوية ذلك الزمان لم تمنع من بزوغ فجر حقبة ملأت الدنيا نوراً ، وعدلا ، فانه قادر مع ما يحيط بالأمة من تأزم أن يخرج من قلبها النور مرّة أخرى. لينطلق البردوني حاكيا قصة حب من نوع خاص .

أنت يا كلّ من أحب وأهوى في حنيني شعر وفي الصمت نجوى  
 أنت في كل دقة من فؤادي نغمات من خمرة الحبّ نشوى  
 وغناء مدلّه ينشر الحبّ ب صداه وفي فم الصمت يُطوى  
 في ضلوعي إليك شوق وقلب شاعر يعزف الصــــبابات شدوا<sup>٢</sup>

كرر ( أنت ) دلالة على رسوخ موقعها ، وتلذذا منه بذكرها في كل جملة يبوح بها، وعبر بلفظ الضمير ( أنت ) تأكيدا منه بمعرفتها ، فهي التي لا تخفى عليه في كل حال . لقد وظف البردوني التكرار لما يريد أن يقوله خارج إطار محدودية اللفظ ، فجعل منه ساحة للتعبير عن كل ما يجول في خلدته من معانٍ .

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٩٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٢٦

## ٤ - الحوار .

أصل كلمة الحوار هو : ( الحاء ، والواو ، والراء ) ، وقد بين ابن فارس أن للحاء والواو والراء ثلاثة أصول : اللون ، و الرجوع ، وأن يدور الشيء دوراً<sup>١</sup> ، وتعود أصل كلمة الحوار إلى الدَوْر وهو الرجوع عن الشيء ،

يقال : ( حار بعدما كار ) ، والحوار النقصان بعد الزيادة ، لأنه رجوع من حال إلى حال . ، والتحاور : التجاوب ، تقول : كلمته فما حار جوابا ، أي ما رد جوابا ، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام والمحاوره : مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة . ، فحار دَوْرًا ودُدْرًا : رجع . وفي التنزيل العزيز {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} <sup>٢</sup> ، أي لن يرجع <sup>٣</sup> ، ويقال : حار إليه ، والشيء : نقص . ويقال حار بعدما كار : نقص بعدما زد ، وحاوره محاوره وحوارا : جاوبه ، وجادله<sup>٤</sup> وفي التنزيل العزيز { قال له صاحبه وهو يحاوره }<sup>٥</sup> وقد جاء معنى الحوار لغة : المجاوبة والمجادلة والمراجعة<sup>٦</sup> . مما سبق يتضح أن مادة الحوار تدور في معانيها حول الرجوع والتردد . فإذا انتقلنا إلى المعنى الاصطلاحي ، الحوار: هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصّب<sup>٧</sup> أو هو تناول الحديث بين

<sup>١</sup> انظر معجم المقاييس في اللغة ، كتاب الحاء ، ج ٢ ص ٢٨٧

<sup>٢</sup> سورة الانشقاق اية ١٤

<sup>٣</sup> فتح القدير بين في الرواية والدراية من علم التفسير ط ١ بيروت \_ المكتبة العصرية ، ١٤١٨ هـ ج ٥ ص ٥١٥

<sup>٤</sup> المعجم الوسيط ط٤ ص ٢٠٥

<sup>٥</sup> سورة الكهف اية ٣٧

<sup>٦</sup> الحوار أدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة - يحيى زمزمي ط٢ عمان \_ دار المعالي \_ ١٤٢٢ هـ - ص ٣٢

<sup>٧</sup> ، في أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ، الندوة العالمية ، ١٤١٥ هـ ص ١١

طرفين، أو أكثر عن طريق السؤال والجواب ، بشرط وحدة الموضوع ، أو الهدف ، فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان إلى نتيجة ، وقد لا يقنع أحدهما الآخر ، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفاً<sup>١</sup> ، أو أدب تجاذب الحديث بشكل عام<sup>٢</sup> .

دار الحوار فيما سبق من تعريفات حول تبادل الحديث بين طرفين ، يسعى كل منهما إلى بيان موقف معين ، من قضية معينة ، دون إلزام الطرف الآخر بالرأي ، أو تبدّيه لنفس الفكرة ، وقد عرف الشعر العربي أسلوب الحوار داخل النص الشعري ، وفي موروثنا الشعري أنموذجات من قصائد تقوم على الحوار أصلاً ، سواء أكان الحوار حواراً خارجياً أم حواراً داخلياً<sup>٣</sup> . وعندما يجول البحث في فكر البردوني يجده يسير بنا في حوارياته ، التي بثّها في نتاجه الأدبي و يبحر بنا في عالمه الفكري ، الذي أراد أن يقوله لنا لكن عن طريق الحوار ، وتبادل النقاشات بينه وبين الطرف الآخر ، ولا يهمننا في مسيرتنا أن يكون الآخر هو المقابل ، أو الضد ، أو يكون البردوني نفسه ، وإنما كيف استطاع البردوني بألته الساخرة أن يطوّع هذا الأسلوب ، ليكون نوعاً من مراكبه التي يبحر بها في سخريته من الواقع المعاش ، فالطريق الذي يسلكه محير ، كحيرة وطنه الذي ليس فيه طريق واضح .

صاحبى غامت حوالينا النواحي أيّ مغدى تبتغي أيّ مــــراح

قف بنا حتى يمرّ السيل من درب المحفوف بالشدر الصــــراح

أين تمضي ؟ والقضا مرتقب ومتاح والرجا غير متــــراح

<sup>١</sup> أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمن النحلوي ط ٢ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٩٥ م ، ص ٢٠٦

<sup>٢</sup> مجلة المجتمع ، العدد ١٦٣٤ ، كيف نرسخ ادب الحوار والنقد ؟ ، الدكتور أحمد شحوروي ، ص ٤٨

<sup>٣</sup> الصورة الشعرية عند البردوني ص ٢٤٠

والدجى الأعمى يغطي دربنا      برؤى الموتى وأشلاء الأضاحي  
 أين تمضي؟ وإلى أين بنا      جدت الظلما فدع حمق المزاح  
 أظلم الدرب حوالينا فقف      ريثما تبدو تباشير الصباح<sup>١</sup>

هذه الحوارية التي نسجها البردوني تظهر بوضوح تلك المشاعر المضطربة التي كان يعيشها الناس ، فلا يعرف الساري من أين يبدأ؟ ولا أين ينتهي؟ وكل الأمور تؤدي إلى المجهول ، فكل مفرداته توجه الناس إلى الضياع فالدجى أعمى والظلمة متجددة والدرب محفوف بالمخاطر الواضحة للعيان . ثم يعود البردوني ليزرع نبتة الأمل في نفوس الناس :

وهنا نادى على الدرب فتى      صوته بين اقتـراب وانتزاح  
 يحمل المصباح في قبضته      وينادي الركب من خلف الجراح<sup>٢</sup>

لقد جعل البردوني هذا الفتى علامة على النجاة ، فهي نجاة جديدة كمولود جديد يخرج من رحم هذه الأرض ، لكنه مولود قوى يستطيع بعد إرادة الله أن يشعل نور الهداية ، والخلاص لقومه . لكن هذا الأمل الذي زرعه سرعان ما طفأت جذوته ، وتلاشى نوره بين هبوب رياح المصائب العاتية ، فلم يستطع فتاهم أن يقارع الرياح العاتية .

فتلقَ \_\_\_\_\_تنا إليه فانطوى      صوته بين الروابي والبطاح  
 واحتوى الصمت التدا واضطربت      حول مصباح الفتى هوج الرياح<sup>٣</sup>

لقد عادت أحزان البردوني لسابق عهدها ، وكأن الزمان حكم عليه بالمعاناة الأبدية .

<sup>١</sup> ديوان البردوني ص ١٧٨

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٧٨

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ١٧٩

ثم إنَّ البردوني يحول بعض الحوارات إلى دراما تكون أقرب في سردها إلى القصة المكتملة العناصر .

في هجعة الليل المخيف الشتاي      والجو يحلم بالصباح الآتي  
والريح كالمحموم تهذي والدجى      في الأفق أشباح من الإنصات<sup>١</sup>  
تستمرُّ هذه المقدمة لتوضيح الجو العام لهذه القصة، فكل ما في القرب يشعر بالخوف ،  
والقلق والترقب

في ذلك الليل المخيف مضى فتى      قلق الثياب مروّع الخطوات  
يمشي وينظر خلفه وأمامه      نظر الجبان إلى المغير العاتي  
وى الحتوف إذا تلتقت أو رنا      ويحس أصداءً بلا أصوات<sup>٢</sup>  
بدأت قصة هذا الفتى مع الخوف الذي يسيطر على كل الأرجاء، ثم تتسارع الأحداث،  
فيقابل هذا المروّع عُصبة من قطاع الطرق .

وهنا تراءت للمروع عصبة      كالذعر شيطانية اللّمحات  
شعث كأهل الكهف إلا أنّ في      نظراتهم همجية الشهوات  
وتقلّبت مقل العصابة في الفتى      وكأنها تشويه بالنظرات<sup>٣</sup>  
وتتطور الأحداث في صراع البقاء بين همجية الشهوة ، والتلذذ بالقوة ، مع شجاعة  
الحياة ، والتمسك بالبقاء .

والتاع فيها الشرّ فانهاالت على      ذاك الفتى بالضرب والطعنات

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٩٨

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٢٩٨

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٢٩٨

فاستل خنجره وكسر وحده وحشية الوثبات بالوثبات  
وتلقّت تلك العصابة حولها فرأت بعين الوهم ظل سراً  
وهناك لاذت بالفرار وأدبرت ملعونة الرّوحات والغدوات<sup>١</sup>  
ليسقط ذلك الفتى وهو متأثر بجراحاته ولم يجد من يشفق عليه إلا أهل كوخ على  
جانب الطريق بعيد عن القصور المترفة معنويا ، بينما حسيا هو لا يبعد إلا ميلاً .

وعلى يمين الدّرب كوخ تلتقي في صدره النكبات بالنكبات  
بين القصور وبينه ميل وما أدنى المكان وأبعد الرحمات  
يشكو إلى جيرانه فيصمهم عنه ضجيج القصف واللّذات  
كوخ إذا خطرت به ريح الدّجى أو ما إلى السّكان بالرّعشات<sup>٢</sup>  
تجتمع معاناة أهل الكوخ ، ومعاناة الفتى الجريح على أرضية الفقر ، والعوز ، فكان  
التداوي بالدعوات التي أرجعت بعد لطف الله الحياة إلى الفتى المثخن بالجراحات .

فدنت فتاة الكوخ تمسح وجهه وتبلسم الأجرح بالدّعوات  
وتبلّ من دمه يديها إنها تشتمّ فيه أعبق النفحات  
وترى به ما ليس تدري هل ترى سرّ القضا؟ أم آية الآيات  
فإذا الجراح تنام فيه ويشتفي ويردّ عمرا كان وشك فوات<sup>٣</sup>  
لتختتم القصة بذلك المشهد الفرائحي الذي أعاد الحياة ليس للفتى فقط ، وإنما لكل  
الأرض المظلومة .

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٠٠

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٣٠١

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٣٠٢



فضح الصّباح المجرمين فأصبحوا أخصاباً جرم في فم اللّعنات  
وتعالّت الأكوخ تنظر أهلها يضعون ((غار النصر)) في الهامات  
لمس الربيع قلوبهم وحقولهم فاخضضت بالبشر والثمرات<sup>١</sup>  
انتهت هذه المأساة الدرامية التي صاغها البردوني لبيان تلك الحالة الفوضوية التي  
يعيشها الشعب ، والصراعات التي يكتوي بناها الضعفاء، لكنه رغم ذلك يضيء لنا  
كعادته أمل المستقبل ، وينادي زهور الربيع المقبلة لتملأ المكان بعبقها ، ليستمرّ هو  
في سرده لحال أمته في حواراته ، التي تبحث عن مرسى :

قال لي : هل تحس حولك رعباً وعجاجاً كالنار طار وهباً ؟  
فكأنّ النجوم شهقات جرحى جمدت في محاجر الأفق تعبى  
قلت إن الطريق شبّ عراقاً آدمياً فيجّ يف الغمّ<sup>٢</sup> ... شبّاً  
فكأنّي أستم في كل شبر مية تستثير كلباً ... وكلباً  
أقوياء تفني الضّعاف وتدعو خسة الغالبيين نصراً وكسباً<sup>٣</sup>

هذه الحوارية الساخرة من واقع الحياة المعاش يصل فيها البردوني إلى أن  
الإنسان يتمنى فيها الموت فيكون أعزّ مطلوب .

قلت : ليت الممات ينهي خطانا قال : ما كلّ من دعا الموت لبى  
يا رفيقي : الموت شر ... وأدهى منه ... أدّا نريده وهو يأبى<sup>٤</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٠٥

<sup>٢</sup> أحقر الغنام .

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٣٠٦

<sup>٤</sup> المرجع السابق ص ٣٠٨

لقد دار الحوار بينه وبين رفيقه بحثاً عن مصدر نجاة من حياة يملؤها اليأس ، فلم يجدا سبيلاً للخلاص ، حتى وهما يتمنيان الموت تصطدم أمنياتهما بالخذلان ، فلا يجدان بدا في أن يصارعا هذه الحياة بعزيمة وإصرار ، أملاً في أن يتغير في مستقبل الأيام حالهما .

لم يكتف البردوني في حوارياته بالأحياء ، بل طَفَّقِيبَتْ شكواه ، وألمه للموروث الذي جعله رمزاً للعزّة ، والتباهي ، فهاهو ذا يحاور أبا تمام ، ويشكو ما آلت إليه الأمة العربية من ذلّ ، ويتذكر تلك العزّة التي حركت أبا تمام ليصدق ، ويفتخر بفتح عمورية .

ماذا جرى .. يا أبا تمام تسألني ؟ عفوا ... ولا تسأل .. وما السبب

يدمى السؤال حياء حين نسأله كيف احتفت بالعدى يافا أو الذّقب

من ذا يلبي ؟ أما إصرار معتصم كلا وأخزي من الأفشين ما صلّبوا

اليوم عادت علوج الرّوم فاتحة وموطن العرب المسلوب والسّلب

ماذا فعلنا ؟ غضبنا كالرّجال ولم نصدق .. وقد صدق الدّنجيم والكتب<sup>١</sup>

هذا الحوار الذي استظهر فيه لبردوني عمق التراث ، وأيام العزّة ليعري ذلّ اليوم ، ويكشف عن أسباب الخنوع ، والخضوع الذي اعتري الأمة . إلا أنه مع كل ما اكتسى حواريته من ألم ، وظلمة ، إلا أنه يرجع كعادته ليضيء لأمته شمعة أمل .

أ لا ترى يا أبا تمام بارقنا ن السماء ترجّى حين تحتجب<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٦٢٥

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٦٢٩

تلك الشمعة التي تعاني من جور الحاكم المستبد ، ذلك الحاكم الذي حاول البردوني أن يعري جهله في مشاهد مأساة حارس الملك .

سيدي : هذي الروابي المنتنه لم تعد كالأمس ، كسلى مذعنه  
 (نقم ) يهجس يعلى رأسه (صبر) يهذي يحدّ الألسنه  
 (يسلح) يومي يرى ميسرة يرتئي (عيبان) يرنو ميمنه  
 لذرى (بعدان) ألفا مقلنة رفعت أنفا كاعلى مئذنه  
 اقتلوهم واسجنوا آباءهم واقتلوهم بعد تكبيل سنه  
 أمركم لكن ! ولكن مثلهم سيدي هذي أسامي أمكنه  
 هم شياطين أنا أعرفهم حين أسطو يدعون المسكنه<sup>١</sup>

إن البردوني من خلال هذه الحوارية العقيمة التي دارت بين الحارس ، والسيد ، يحاول أن يصف لنا واقع المأساة ، ومن ثمّ يضع اليد على أول الحلول ، فلن نستطيع الترقى والرجوع لزمن العزّة التي يتطلع البردوني إليه، ونحن بهذا المستوى الفكري العقيم ، ذلك الفكر الذي يرزح تحت وطأة المؤامرة التي كبلت كل الشعب ، وجعلته سندباداً متهماً في مقعد التحقيق .

كما شئت فدّش ... أين أخفي حقائبي أتسألني من أنت ؟ .. اعرف واجبي

أجب لا تحاول عمرك الإسم كاملا ثلاثون تقريبا ... مثنى الشواجبي<sup>٢</sup>

هذه الحوار يكشف في أبعاده عن تلك الأزمة التي يعيشها الحاكم ، فكل الشعب هم خونة يريدون أن يغيّروا النظام ، لذلك وجدنا شخصية المحقق المتوترة التي تبحث في

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٧٤١

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٧٦٥

كل جوانب المتهم عن غلطة يستطيع بها أن يثبت شكوكه ، ليقابله ذلك المواطن الذي لم يجد في ثقته بالبراءة أملاً في النجاة ، لذلك وجدناه غير مبال بكل الأمور ، قادته هذه اللامبالاة إلى السخرية من ذلك المحقق ، وأسئلته .

لم يكتف البردوني ببشرية الحوار ، فأخذ يحاور حتى الجمادات ، عله يجد فيها ما يغنيه عن تسلط الإنسان وجبروته .

هذا الجدار يقول ... لي ويعي همسي ويصغي للرياح معي  
يرنو إلى كصمت مملكة... للظّيف تهمس : مات مجتمعي  
ويشمّ مأساة تقطّ عني وأشم في مأساته قطعي  
يحكي بلا صوت وأسمعه أهذي وأصمت وهو مستمعي  
بيكي كما أبكي يساهرني أغفو رؤى عينيه مضطجعي  
من أين جننا يا جدار ؟ أنا منك انبثقت وجئت من وجعي  
أورقت في نجواك جمر هوى وهجست كالميعاد في ولعي  
وهنا التقينا كنت مصطنعا وأنا كلا شيء كمصطنعي  
مسعاك لا صحو ولا مطر والعقم مصطفى ومرتبعي  
أمضي ... خيول الأمس تسبقني أعيال الوصول وضاع مرتجعي  
أتخاف مثلي يا جدار ؟ ولا تدري وأبدو لا أعني فزعي

كالناس أنت ؟ ولا يرى أحد تَ وَ وَ وَ وَ وَ قي إلى ربي إلى شبيعي<sup>١</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٨٨٥ - ٨٨٦

لقد حاول البردوني في هذا الحوار أن يكسر القيود ، ويغير من طبيعة الأشياء ، وكأنه يصرخ في وجه الدنيا ، يريد أن يحطم قيد وتيرة الذل الذي يعيشه حتى ولو كان عن طريق المعجزة .

هيا يا جدران الغرفة قولي شيئاً .. خبرا طرفه

تاريخا منسيا حلما ميعادا ذكرى عن صدفه

أشعارا سجعا فلسفة بغبار الدهشة ملتقوه

أنغاما تعلو قامتها وتحل ظفائرها اللّهفه<sup>١</sup>

لقد حاول البردوني أن يخرج هذا الصامت على معترك الحياة ليخوض معه تجاربها ، ويستمتع معه لأناتها ، ويعيش معه مواجهها ، ليحيي الجواب على غير ما تمنى .

في قلبي الســــنة الدنيا لكن لفمي عنها عقه

الصمت حوار محتــــممل والهجس أدلّ من الزقه

إطلاق الأحرف حرفتكم لخرت الصمت أنا حرفه

أو قل ما اخترت ولا اخترتم طبعتنا العادة والألهفه<sup>٢</sup>

لقد خرج الجدار عن طبيعته ، فهو يتحدث يحاور ، يناقش يعطي رأيا ويقبل رأيا وكأنه انسلخ من كونه جمادا ، ليتقمص دورا بشريا ، ومع ذلك نجد البردوني لم يكتف بحوارياته للجمادات ، بل جعلها تفكر نيابة عن البشر ، وتتجول ناظرة بعينها الثاقبة في أحوالهم ، فهاهو ذا يروي حواريته مع ذلك الرصيف المتجول .

كل حكي ... ألكي أتدري يا هنا أني كتاب جئت قبل مؤلفي ؟

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٩٩٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١١٠١

أيقول من ألقى رصيف عابر أم قرمطيّ في قميص مطرّ في ؟  
 ماذا يصدّني الملفّ بطاقتي حجر بلا لون كوجه مصدّني  
 أيقول ما اسمي شارع ؟ أيطدّني باب حصان نار قلبي معلّفي ؟  
 لا درب أنكرني لأدّي مثل من يمشون فوق من يحسّ تصرفي ؟  
 قد يبحثون ولا يرون تحرّكي قد ينظرون ولا يرون توقّفي<sup>١</sup>  
 لقد سار هذا الرصيف ، وتجول في مدينته ، لكنه وجد أن من يسيرون عليه لا  
 يستحقون هذه الميزة ، فهو ، إن كان جمادا لكّته يملك من العقل ، وحسن التصرف ،  
 والمشاعر ما يجعله أولى بالحياة من هؤلاء السائرين .  
 فهاهو ذا يكمل جولته في مدينته .

حسنا أوصل جولتي هذا الذي يبدو يصدّ عن الخطير المختفي  
 ماذا يلـوـح كانتفاخ ولادة ينوي الزوغ وبالطورم يكتفي ؟  
 مانجري ؟ حَبِّ لَ الرجال نيابةً عنهيّ ... هيّا يا صحافة زخرفي  
 ولأنهم حبلوا سفاحا أنجبوا عدما فهيا شوربـيه وتدّفي  
 وهبيه ألقاب البطولة لن تريّ إسراف كقّيه إذا لم تسرفي  
 قولي لأروى والرّباب تزوّجا بعضيكما ذهب الزمان اليوسفي<sup>٢</sup>  
 أما حواريات البردوني في عالم الحشرات فانت أكثر سخرية عندما أعلنت الحشرات  
 اجتماعا طارئا ، يخرج من خلاله البردوني بتلك الحوارية الساخرة، التي أسقطها على  
 أحوال الأمة بشكل عام .

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٨٧٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٨٨٠

أعلنت سلطنة القمل اجتماعا رؤساء البق لبّوها سراعا

وإليها أقبل الأقطاب من مملكات السّلّ مثنى ورباعا<sup>١</sup>

هذه الحوارية الساخرة من حال الأمة وما وصلت إليه من تدن ، جعل البردوني يقيم أنموذجا ساخرا للاجتماعات غير المفيدة ، وكأنها اجتماعات تلك الحشرات ، التي لا يصل المجتمعون فيها إلى نتيجة مفيدة ، وتختتم بالحفل .

وأقاموا بعد هـذا حفلة أنفذوا فيها دم اللّيل اجترعا

وأقرّوا : أن يسمّوا من نأى عن وصاياهم يعوقا أو سواعا

وبإعلان البيان اقتنعوا غير أن الصّمت لم يبد اقتناعا

وبهذا اختتموا أعمالهم وابتدت سلطنة القمل الوداعا<sup>٢</sup>

إن هذه السخرية اللاذعة التي ساقها البردوني في حنايا هذا الحوار على لسان الحشرات فيه ضجر كبير من أحوال الأمة ، وما وصلت إليه من ضعف ، وهوان . لقد سخر البردوني من هذه الحياة ، فجعل كل الموجودات تدمها ، بل نجده يرتحل في حوارياته ، وسخريته من الواقع إلى تلك الجدلية البيزنطية بين القتل والموت ، تلك الجدلية التي توحى بأن الموت غير القتل ، فالموت عند البردوني قد يكون مع الحياة ، فواقعه الذي يعيشه هو موت لكن الناس لا يشعرون به ، أما القتل عند البردوني فهو نهاية الحياة .

أمسيت لـغوا يا ردى والقتل كالمقتول ساهي

من ذا تميت وكلاهم ماتوا وأنت هناك لاهي ؟

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١١٤٧

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١١٥٢ ، ١١٥٣

سبقتك أمركة المذابح أيها الشيخ الرفاهي

اليوم لشدّيك الأوا مر للمدى كلّ الذواهي

أصبحت يا موت احتياطا مثل أبطال المقاهي<sup>١</sup>

لقد جعل البردوني من الحركة داخل النص مركزاً لحوارياته التي أخرجت لنا دراما متكاملة الأعضاء ، فاستعان البردوني بها دون احتواء الأطر الكاملة للحركة الدرامية ، ففي غنى الشخص ، وتنامي تطورها، واحتدام صراعها ، دليل على قدرة الشاعر الكلاسيكي على بناء دراما متكاملة ، حيث استطاع أن يستوعب من حركة الشعر الحديث أحد أهم أدواتها ، الحركة والحدث فمن خلالهما خلع على الطبيعة ألوان الحركة ورسم بها الأشياء والجمادات فتحقق له شيء من النبض الدرامي ينبع من الارتقاء بالأدوات التي بدأ يستعيرها من تجاربه ، وقراءاته ، ومن قدرته على التعامل مع الجديد .<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٩٨٧

<sup>٢</sup> الدائرة والخروج ، محمود رحومة كلية الدراسات العربية جامعة المنيا ، مصر ١٩٩١ م ص ٧٦ بتصريف



## ٥ - المفارقة :

يرجع المعنى اللغوي للمفارقة لمادة فرق فنقول: فارق مفارقة وفراقا : باعده . ويقال : فارق فلانا من حسابه على كذا وكذا : قطع الأمر بينه وبينه على أمر واقع عليه اتفاقهما . افترق القوم : فارق بعضهم بعضا . انفرق الشيء : افترق وانشق ، ويقال: انفرق الصّبح : انفلق . تفارق القوم : فارق بعضهم بعضا . تفرّق الشيء تفرّقا ، وتفرّقا : تبدّد ، والرجلان : ذهب كلّ منهما في طريق .

التّفاريق : تفاريق الشيء : أجزاءه المتفرقة . ويقال أخذ حقه بالتفاريق ، وضمّ تفاريق متاعه . الفراق الفُرقة ، وأكثر ما تكون بالأبدان .<sup>١</sup>

من خلال ما سبق يتضح أن مادة فرق تدور في مرجعيتها على التباعد ، ومن هنا جاء مصطلح المفارقة فالمعنى المذكور يجانب المعنى المراد ، وبصورة أخرى فما يريد أن يصل إليه الكاتب هو معنى ليس المذكور ، ولما أمر بعيد عنه ، ويفارقه مفارقة شديدة .

فالمفارقة من حيث أصولها ، وبنائها هي مفاعلة من فرق ، ونعني بذلك مظاهر التناقض والتضاد التي تنتظم ظواهر الوجود والحياة ، وأحداث المجتمع ، وسلوك الناس ومواقفهم ، حيث يباين وجه وجهها آخر مباينة تكشف عن تضاد أو تناقض<sup>٢</sup>

والمفارقة تقوم على إبراز التناقض بين وضعين متقابلين هما طرفاالمفارقة<sup>٣</sup> ، وتتبدى المفارقة في مظاهر شتى تتصل بالوجود والمجتمع والفرد، وتتمثل في أوجه التناقض ،

<sup>١</sup> المعجم الوسيط ص ٦٨٥

<sup>٢</sup> المفارقة في شعر عدي بن زيد ، حسني عبد الجليل ، ط ١ ، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الاسكندرية ص ١١

<sup>٣</sup> بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي العشري ، مكتبة الشباب ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، ص ١٣٨

والتضارب ، والتنافر ، والتعارض ، والاختلاف ، والتعاكس ، والتغاير ، والتباين ، والتجاوز ، والتقابل بين طرفين : بين ما هو ظاهر ، وما هو باطن، أو بين ما يحدث ، وما يجب أن يحدث ، أو بين ما هو حق ، وما هو زائف، أو بين الجد، والهزل ، كما تتبدى المفارقة بين المنطق واللامنطق ، والمعقول واللامعقول ، فالبناء المفارقي يكشف عن التعارض بين أطراف قد تبدو متعارضة ، وعن اجتماع ثنائيات متضادة لا يجب أن تجتمع .<sup>١</sup> وتعرف المفارقة بأنها استراتيجية قول نقدي ساخر... ، وقد نقول : إن المفارقة هي استراتيجية الإحباط ، واللامبالاة ، وخيبة الأمل ، ولكنها – في الوقت نفسه – تنطوي على جانب إيجابي ، فقد تنظر إليها على أنها سلاح هجومي فعّال. وهذا السلاح هو الضحك . لكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا، بل الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد ، والضغط الذي لا بد أن ينفجر<sup>٢</sup> من خلال ما سبق سيحاول البحث في الكشف عن استخدام البردوني لهذا الأسلوب في تمرده على الظلم ، وسخريته من واقع امته المعاش ، وضربه بيد من حديد على كل وضع مزيف يحتاج إلى تصحيح ، حياة تجتمع فيها الجراحات .

أبكي فتنبسم الجراح من البكا فكأنها في كل جراحة فم

يا لابتسام الجرح كم أبكي وكم ينساب فوق شفاهه الحمراء دم

أبدا اسير على الجراح وأنتهي حيث ابتدأت فأين مني المختم<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> المفارقة في شعر عدي بن زيد ص ١١

<sup>٢</sup> المفارقة في القص العربي المعاصر ، أسيا قاسم ، مجلة فصول مارس ١٩٨٢ م ص ١٤٣-١٤٤

<sup>٣</sup> ديوان البردوني ص ١١٢

تلك الجراحات التي مزقت قلبه و جعلته يعيش مع هذه الحياة التي تفتخر بالذل والهوان .

ونهضت والدنيا كما كانت تفاخر بالصدغار

وتهوت الدنيا التي خلق افتتاني وابتكاري

فوددت لو ألقى كذاب ال ليل صدقا في النهار<sup>١</sup>

فبدل أن تفتخر الدنيا بالعزّ والمعالي ، وجدها البردوني تفتخر بالصدغار ، والذل ، هذه

الحياة التي يتمتع بالحياة فيها من كانت طباعه طباع الوحوش، والحيات .

وسألتها : ما الأرض ؟ قالت إنها فلات وأحاش وروض صلال

إن كنت محتالا قطفت ثمارها أولا : فإنك فرصة المحتال<sup>٢</sup>

هذه المفارقة الساخرة من الواقع المعاش ، فالحياة غابة لا مجال فيها للضعيف ، فإمّا

أن تكون وحشا مفترسا وتأكّل كل من يقابلك، وإما أنك ستكون فريسة سائغة للأكلين .

هذه النظرية التي تعب البردوني في فك شفرات حلها ، كانت تؤرقه صباح مساء ، فلا

يجد لها حلا .

ما كان أذكى مرشدا وأبر طلعتة الزكيه

كان ابتسامات الحزي بن وفرحة النفس الشجيّه

عيناه من شغل الرشاشا دوكلّه من عبـقريّه

إن لم يكن في الأنبياء ء فروحه المثلّي نبيّه

قتلته في الوادي اللصو ص فغاب كالشمس البهيّه

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢١٥

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٢٢٤

كان ابن عمّي يزدرّيه      فلا يضيق من الزرّيه  
ومن ابن عمّي ؟ جاهل      فظّ كليل الجاهليّه  
يرنو إلينا .. مثـلـما      يرنو العقور إلى الضحيّه  
نعري ، ويسبح في النقود      وفي الثياب القيصريّه  
ونذوب من حُرّق الظماء      وعنده الكأس الرّويّه  
والكرم في بسـتـانه      يلد العـناقيد الجنيّه<sup>١</sup>

لقد صور البردوني الواقع كما هو ، فالذكي المتوقد ، لا نصيب له في هذه الحياة ، والجاهل الفظّ المتغطرس يملك كل مقومات الحياة الكريمة ، إنها مفارقة عجيبة يعيشها البردوني ويصورها لنا في هذا المشهد لأبناء العمومة ، ثم يزيد من سخريته اللاذعة عندما يجعل هذا الجاهل لا يكتفي بما لديه ، وإنما ينظر إليهما نظر الضحية التي يجب أن يستمتع بها أيضا ، وتكتمل فصول هذه المفارقة في طريقة موت الذكي نهبا من اللصوص فأى شيء سيجدونه عند هذا الفقير الذي لا يملك إلا ذكاه ، بينما يعيش هذا الغني حياته بكل سلام ورغد عيش ، وكأنه يقول لنا يموت صاحب العقل من أجل عقله ، ويعيش الجاهل بجهله .

هذه الحياة التي حيرت البردوني فجعلته لا يعرف من أين يبدأ ؟ ولا إلى أين يسير .

هل أنا من هنا ؟ وهل لي مكان ؟      أنا من لا هنا ومن لا مـكان  
كم إلى كم أمشي ودربي ظنون      ومداه قاص عن الوهم دان ؟  
كم على كم أسير في غير درب      من تراب دربي ظنون الأماني

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٣٤

وأعاني مرّ السؤال ويــــتـلو ه سؤال أمرّ مما أعــــانـي  
 هل هنا موطني؟ واصغي: وهل لي موطن غيره على الأرض ثاني<sup>١</sup>  
 هذه الحياة التي ملها البردوني، فأصبح لا يكثرث كيف تأتي منيته، لأن الحياة  
 بوضعها الحالي ليس فيها ما يرغب على العيش.

يخوفني بالنّهب والقتل ناغم عليّ وهل لي ما أخاف عليه؟  
 إذا رام نهبي لم يجد ما يرومه وإن رام موتي فالمصير إليه  
 إذا سلّ روعي سلّني من يد الشّدقا وخلصني من شره بيديه  
 وأطلقني من سجن عمري فقاتلي عدوّ مروءات الصديق لديه<sup>٢</sup>  
 لقد ضاق البردوني بالحياة، وبالمتسلطين فيها فأنت هذه الصرخات غير مبالية بكل  
 الأحوال، غير أنه بالغ في سخريته عندما جعل هذا العدو المتسلط يتصف بصفة  
 الصديق المشفق، الذي يحنّ على صديقه فيخرجه من ضائقته، لكن البردوني بالغ  
 مبالغة غير مقبولة عندما جعل المصير إلى هذا المتسلط، ونحن نؤمن أن المصير بيد  
 الله سبحانه وتعالى.

هذا المصير لم يعاناه الكبار فقط، وإنما اشترك الصغار في الهروب من هذه الحياة.

كيف انتهى من قبل أن يبتدي هل تنظفي الروح ولم توقد؟  
 وكيف انتهى السّير من لم يرح في دربه المجهول أو يغتدي  
 وافي من الديجور يحبو إلى كهف السكون النازح الأسود

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٥٠ (وجود خطأ في الديوان)

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٣١٠

ألقى به المهد إلى قـبره لم يقترب منه ولم يبعد<sup>١</sup>  
 هذه التساؤلات التي طرحها البردوني تقود المتلقي إلى أن هذا الصغير خاف من  
 خوض غمار معركة يعلم من البداية انه الخاسر فيها ، ففضل أن يتجنب المسير في  
 غمراتها .

طفل كعصفور الرّوابي طوى ردا الصّبا من قبل أن يرتدي  
 أهلاً في بدء الصّبا فانطفا لم يهد حيرانا ولم يهدد  
 ونام في حضن الهنامبعدا عن الأعادي وعن الحُسد  
 عن ضجّة الدنيا وأشرارها وعن غبار العالم المفسد  
 تدافع الطفل وأهنا الكرى على سكون المرقد المفرد<sup>٢</sup>

هذه المفارقة التي قادت الطفل إلى الهروب من الدنيا وشروورها إلى الموت وراحته ،  
 هي المفارقة الساخرة من هذه الحياة المعاشة التي يرفضها حتى الأطفال ، فيرحلون  
 عنها قبل أن يعيشوها ، بل يصل بهم الحال أن يروا أن في الموت الهناء ، وفي الحياة  
 الشقاء . هذه الحياة التي أصبحت مرتعا لكل منافق ، ومقبرة لكل شريف .

والناس شرّ وأخيار وشرّهم منافق يـتزيّا زيّ أخيار  
 وأضيع الناس شعب بات يحرسه لصّ تُسدّره أثواب أحبار  
 في ثغره لغة الحـاني بأمته وفي يديه لها سكّين جزّار  
 حقد الشعوب براكين مسمّمة وقودها كلّ خوّان وغدّار  
 من كل محتقر للشعب صورته رسم الخيانات أو تمثال أقدار

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣١١

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٣١٢، ٣١٣

وجثة شوّش التعطير جيّفثها كأنها مَيْتة في ثوب عطّار<sup>١</sup>  
 هذه المفارقات هي التي جعلت هذه الأمة تسقط في وحل الذلّ ، والهوان ، فمن يقودها  
 يضلّل الناس بغير ما يريد ، فوثوق الناس في هؤلاء من خلال ظواهرهم جعلهم  
 يتحكمون في مصائرهم ، مع أنهم لا يستحقون العيش في هذه الحياة فهم جيف تنمقها  
 رائحة الخداع التي يتظاهرون بها ، وتأتي المفارقة الختامية فهُمّ وإن كانوا المسيطرين  
 على الوضع إلا أنهم أموات تفوح منهم رائحة الموت . هذا الزيف الذي جعلهم  
 يحارون في توجيههم .

فهل خلفنا شاطئاً يارياً ح أقدامنا مرفأ يا قلعوع  
 وصلنا هنا لا نطيق المضيّ أماما ولا نستطيع الرجوع  
 فلم يبق فينا لماض هوى ولم يبق فينا لآت نزوع<sup>٢</sup>

هذه الحيرة تتعاضم ، وتكبر مأساتها لأنها تشمل الوطن كله.

بلادي في ديار الغير أو في دارها لهفى

وحتى في أراضيها تقاسي غربة المنفى<sup>٣</sup>

هذه الغربة التي سخر منها البردوني ، لأنها غربة غريبة ، غربة يعيشها الإنسان  
 داخل وطنه ، لأن وطنه أصبح غريباً عنه . هذه البلاد التي لم تكتف بالغربة ، وإنما  
 أصبحت في المنفى .

لأن بلادي الحبيبه في مرتباها غريبه

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٣٥

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٥٣٧

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٥٨٣

لأنها وهي ملأى بالخصب غير خصيبه  
 لأنها وهي حُبلى بالرّي عطشى جديبه  
 جاعت ومدّت يديها إلى الأكف المـريبه  
 ثمّ ارتمت كعجوز من قبل بدء الشـبّيبه  
 تنسى المصير ويأتي مصيرها في حـقبيه  
 لأن دار أبيها لها مناف رهيبه<sup>١</sup>

لذلك لا نعجب من أن البردوني أصبح ، يعيش تلك المفارقات واقعا يجده في كل نبضة حياة يعيشها .

هنا أرقم الصدى وأنمي كالخربشه  
 وكالصلاة أرتقي وأرتمي كالدروشه  
 أهمي ندّي وأرتخي كالتربة المرشدشه  
 سحابة تزرعني تفاحة ومشمشه  
 نعشاً تجرّه الحصى إلى الوعود المنعشه<sup>٢</sup>

لا شك أن كل شيء في هذا الوطن أصبح مجموعة من المتناقضات المضحكات ،  
 فليس هناك شيء من المنطقية في كل شيء .

ألوقت لا يمضي ولا يأتي خوت أرجله  
 أقدامه رؤوسه رؤوسه أسفله  
 أمامه وراءه ... آخره أوله

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٥٨٩

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٦٥٣



لا ينتهي لغاية لأن لا بدء له

ماذا اقول يا هنا ؟ وما الذي أعمله ؟

ماذا ؟ ومثلي ميّت هذا الذي أسأله<sup>١</sup>

إنها كما وصفها البردوني وجه الوجوه .. المقلوبة<sup>٢</sup> ، ذلك الوجه الذي لا تجده في مكانه أبدا .

الرقم العاشر كالثّـاني الواحد ألف ألفان

وسوى المعدود كمعدود وسوى الآني مثل الآني

الألف الصفر بلا فرق سيّان الأعلى والذاني

لفوق سقوط صخريّ التّحت سقوط إنساني<sup>٣</sup>

نفس الذّوع الأعلى الأدنى وجه المُفنى ظهر الفاني

سيّان القاتل والرّائي سيّان الشامت والحاني<sup>٤</sup>

لقد سخر البردوني من كل ما حوله ، فكل الأشياء ليس بينها فرق في نظر

البردوني ، لأنها توصل لغاية واحدة ، غاية يبحث فيها القوي عن زيادة قوته ، ويدفع فيها الفقير بقية حياته .

وتنها وحكامنا في الممّات سباع على خطونا حوّم

يعيثون فينا كجيش المغول وأدنى إذا لوّح المـغـنم

فهم يقتنون ألوف الألوف ويعطيهم الرشوة المـعـدم

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٨٠٤

<sup>٢</sup> عنوان قصيدة من ديوانه ص ٨٣٠

<sup>٣</sup> الفوق ، التّحت ، هكذا وردت في الأصل ، والصواب : الفوق التّحت .

<sup>٤</sup> المرجع السابق ص ٨٣٠

ويبنون دورا بأنقاض ما أبادوا من الشعب أو هدموا<sup>١</sup>  
لقد جر البردوني مفارقات عجيبة فالحاكم من المفترض أن يبحث عن راحة أمته ،  
لكن الحاكم عند البردوني هو الذي يفترس الأمة ، فهم يقتنون الأموال ومع ذلك  
يبحثون عن الرشوة في مفارقة عجيبة ، فبدل أن يبحث ذلك المعدم عنها ، يقدمها وهو  
صاغر لذلك الحاكم الذي يأكل كل ما وقعت عليه يده ، ذلك الحاكم الذي يبني مملكته  
من أجساد شعبه ، بدل أن يبني لهم حياة كريمة ، لقد وجد البردوني كل التناقضات  
تتبع من نهر الحاكم

وقادها زعماء لا يبرّرهـم فعل وأقوالهم أقوال أبرار

أشبه ناس وخيرات البلاد لهم يالرجال وشعب جائع عاري

أشبه ناس دنانير البلاد لهم ووزنهم لا يساوي ربع دينار

ولا يصونون عند الغدر أنفسهم فهل يصونون عهد الصّحب والجار

ترى شخوصهم رسميّة وترى أطمعهم في الحمى أطماع تجّار

أكاد أسخر منهم ثم تضحكني دعواهم أتّهم أصحّاب أفكار<sup>٢</sup>

هذه المفارقات التي سردها البردوني توضح بشكل جليّ نظرته للحاكم الذي بيده كل  
شيء ، لكنه مع ذلك يبحث عن كل شيء ، وكأنه خلق ليأخذ فقط ، وليس في قاموسه  
أيّ عطاء ، ففعلهم يخالف قولهم ، يتمتعون بأجمل اللباس ، وشعبهم جائع ، يشكو  
الفقر والعري ، يتاجرون بخيرات البلاد ، مع أنهم لا يستحقون أن يعيشوا فيها ، فلا  
يغرك منهم أن ترى أزياءهم الرّسميّة فهي أقنعة يخفون وراءها صورتهم الحقيقية ،

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٣٧

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٣٣٤

صورة من يتاجر بكل شيء حتى بلاده إن ألزم الأمر . ثم يختم بتلك المفارقة المضحكة التي قادته للسخرية ، والضحك بادعائهم أنهم أصحاب فكر مستنير ، يقود الأمة إلى الرقي والتقدم .

لذلك لا نستغرب أن تنعكس الأمور ، فيصبح كل شيء بغير ما وضع له أصلا .

أيام كانت للذباب على الجراحات الوصايا  
أيام كان السلّ يأكلنا وليس لنا درايه  
وأبي يعلمنا الضلال ويسأل الله الهدايه  
ويعيذنا بالمصطفى والصدّالحين وكلّ آيه<sup>١</sup>

لقد أصبح الذباب هو الوصيّ على الجراحات ن والمداوي للعلات ، والأب يعلمهم الضلال ، وفي كلمة يعلمهم بعد عميق ، فهو يعرف كنه ما يسوقهم له ، لأنه عارف به لدرجة تعليمه ، و من ثمّ يرجع بعد ذلك التعلّم يدعو لهم بالهداية والرشاد . أمور تصارعت في تفكير البردوني وهو يرى كل شيء من حوله يسير في غير مساره .

لماذا المقطف الدّاني بعيد عن يد العاني ؟

لماذا الزّهر أنّي وليس الشوك بالآني ؟

لماذا يقدر الأعتى ويعيا المرهف الحاني ؟<sup>٢</sup>

تجيء إجابة البردوني ممتلئة بالأسى لأنه يرى أن من يعذبه ، هم أولئك الذين زيفوا حياتهم ، وجعلوها مليئة بالخداع ، والنفاق ، فهم الذين أفسدوا عليه حياته بأعمالهم الشنيعة .

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٥٥٠

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١١٢١

إن كان من زوّ روا أنليهم قبلا يعطون حبّا فما هنّ العداوات ؟<sup>١</sup>  
 لقد تعب البردوني من مناجاة هؤلاء الأحياء ، فتوجه نحو الأموات ، يناجيهم ، ويبيّتهم  
 همومه ، في صورة مفارقة بين الحاضر والماضي .

ماذا جرى . يا أبا تمام تسألني ؟ عفوا سأروي .. ولا تسأل.. وما السبب  
 يدمى السؤال حياء حين نسأله كيف احتفت بالعدى حيفا أو الذقب  
 من ذا يلبي ؟ أما إصرار معتصم كلاً وأخزى من الأفشين ما صلبوا  
 ليوم عادت علوج الرّوم فاتحة وموطن العرب المسلوب والسلب  
 ماذا فعلت ؟ غضبنا كالرّجال ولم نصدق .. وقد صدق التنجيم والكتب  
 فأطفئت شهب الميراج أنجمننا وشمسنا وتحدّت نارها الخطب  
 وقاتلت دوننا الأبواق صامدة أمّا الرّجال فماتوا .. ثمّ أو هربوا<sup>٢</sup>  
 هذه المفارقات الساخرة من حال الأمة اليوم مقارنة بحالها في أيام عزّتها، مفارقات  
 تكشف عن الوجه الحقيقي لما يحصل داخل الأمة من خور، وخنوع لم تتعود عليه  
 أيام قيادتها للعالم ، خنوع لم يكن من الشعوب بقدر ما كان من الحكام .

حكامنا إن تصدوا للحمى اقتحموا وإن تصدّى له المستعمر انسحبوا  
 هم يفرشون لجيش الغزو أعينهم ويدّعون وثوبا قبل أن يثبوا  
 الحاكمون وواشطن حكومتهم واللامعون .. وما شعوا ولا غربوا  
 لقاتلون نبوغ الشّعب ترضية للمعتدين وما أجسدتهم القرب

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٢٨٨

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٦٢٥

لهم شموخ المثنى ظاهراً ولهم هوى إلى بابك الخُرْمِيّ ينتسب<sup>١</sup>  
 لقد حاول البردوني أن يبين سبب تلك المفارقات التي جعلت الأمة تصل إلى هذه  
 الدرجة من الهوان ، فبدأ بالحاكم الذي ألبسه حلة من المفارقات ، كانت بنظره هي  
 السبب في وصول الأمة إلى ما وصلت إليه من ذلّ، وهوان ، فهم قوة على شعوبهم ،  
 صغار في أعين الأعداء ، تجار يبيعون أمتهم من أجل إرضاء أعدائهم ، والمفارقة  
 العجيبة ، أنهم ومع كل ما يقدمونه من قرابين من أجل ترضية العدو ، إلا أن هذه  
 القربات لا تجد القبول لدى الأعداء ، ويختتم بتلك المفارقة بين ظاهرهم الذي يبدو  
 كعزة المثنى ، وباطنهم الذي ينتسب لبابك الخُرْمِيّ .

إذاً ترى يا أبا تمام هل كذبت أحسابنا؟ أو تناسى عرقه الذّهب؟

عروبة ليوم أخرى لا ينمّ على وجودها اسم ولا لون ... ولا لقب<sup>٢</sup>

تسعون ألفاً لعمورية اتقدوا وللمنجم قالوا: إنّنا الشّدّ—هـب

واليوم تسعون مليوناً وما بلغوا نضجاً .. وقد عصر الزيتون والعنب<sup>٣</sup>

لقد جعل البردوني المفارقة تقول ما يريد قوله، فالمقارنة بين حال أمة تستمتع بالقول ،  
 وتترك الفعل ، وبين أمة أدمنت الفعّال ، وتركت الأقوال ، فارق بعيد جداً ، فانتفاض  
 تسعين ألفاً ، يقودهم الإيمان ، ويحثهم الإسلام ، وتحركهم الدّخوة ، ليس كنوم تسعين  
 مليوناً ، يقودهم الهوان ، ويلعب بعواطفهم الذلّ ، فيترسخ في خلدهم حب الحياة الذي  
 يثنيهم عن كل مفخرة، ويحرمهم من كل موقف شرف وعزّ. لقد حول البردوني

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٦٢٦

<sup>٢</sup> وردت في الأصل ( اسم ) وهذا غير صحيح والصحيح اسم

<sup>٣</sup> المرجع السابق ص ٦٢٦

كعدته أن یبث فی أمة الحیاة ، وهذه المرّة كان سوطه الساخر المفارقة ، حاول البردّونی بمفارقاته أن یوقظ ذلك المارد النائم ، لعله فی یوم من الأيام یرى هذه الأمة وقد عادت لسابق عزّها ، ومجدها .

تغنی البردّونی بمفارقاته علی صدر جراحات الأمة ، عسى أن یجد بلسما شافیا یداوی به الجراحات ، قاد بمفارقاته أمة إلى طریق يأمل فیهِ أن یوصلها إلى نبع عزّة صافی لا یكدره الخنوع والخنوع .

## ٦ - الصورة الساخرة ( الكاريكاتور ) .

في اللغة يأتي معنى الصورة من صَوَّرَ ، يُصوِّرُ ، تَصَوَّيرًا ، نقش صورة الأشياء ، أو الأشخاص على لوح ، أو حائط ، أو نحوهما بالقلم أو بالفرجون ، أو بآلة التصوير ، وتَصَوَّرَ : تكونت له صورة ، وشكل ، وتَصَوَّرَ الشيء : تخيله واستحضر صورته في ذهنه . الصورة : الشكّل ، والتمثال المجسّم ، وفي التنزيل ﴿لَاذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ﴾<sup>١</sup> في أيّ صورة ما شاء ركبك {<sup>١</sup> . وصورة المسألة ، أو الأمر : صفتها . والدّوع . يقال : هذا الأمر على ثلاث صور . وصورة الشيء : ماهيته المجرّدة ، وخياله في الذهن ، أو العقل .<sup>٢</sup>

مما سبق يتضح أن معنى الصورة يدور على رسم الأشياء حقيقة في الواقع ، أو تخيلها على شكل معين في الذهن ، يقترب ، أو يبعد عن واقعه ، ومن هنا جاءت أهمية الصورة في الشعر لا لنقل وقائع الأشياء كما هي ، فالشاعر ليس آلة تحبس لنا المشاهد لتوثيقها ، وإنما ليعبّر بها عن مشاعره ، وأحاسيسه . فالصورة التي يستخدمها الشاعر في تضاعيف قصيدته عميقة الجذور في عالمه الشعوري أو اللاشعوري ، وإنها تعبيرٌ متسام عن عواطفه ورغباته المكبوتة أو المعلنة .<sup>٣</sup>

فالعاطفة هي المحرك الأساس في تكوين الصورة ، وهي اللاعب الرئيس في وضع تفاصيلها ، فمن خلال العاطفة يمكن أن يرسم الشاعر تفاصيل دقيقة عندما يعبّر عن تصورات ، وخیالاته . يقول كولردج : إن الصورة وحدها مهما بلغ جمالها ، ومهما

<sup>١</sup> سورة الانفطار آية ٧ - ٨

<sup>٢</sup> المعجم الوسيط ص ٥٢٨

<sup>٣</sup> العاطفة والإبداع الشعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، د. عيسى على العاكوب ، دار الفكر ١٤٢٣ هـ دمشق ، ط ١ ص ١٤٨

كانت مطابقتها للواقع ، ومهما عبر عنها الشاعر بدقة ليست هي الشيء الذي يميز الشاعر الصادق ، وإنما تصبح الصور معيارا للعبقرية الأصيلة حين تشكلها عاطفة سائدة ، أو مجموعة من الأفكار والصور المترابطة أثارها عاطفة سائدة ، أو حينما تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة ، والتتالي إلى لحظة واحدة ، أو أخيرا حينما يضيف عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية .<sup>١</sup>

وهذا لا يعني أن الصورة المسوقة غرضها أن تنقل مشاعر الشاعر فقط ، فالأدب بشكل عام ، والشعر بشكل خاص كان منذ العصر الجاهلي أداة فاعلة بيد المجتمع ، لذلك لم تقتصر وظيفة الصورة في نقل مشاعر مبدعها ، وأحاسيسه ، وأفكاره فقط ، وإنما صارت وظيفة الصورة الشعرية مرتبطة بوظيفة الشعر نفسه . ولما كان الشعر منذ العصر الجاهلي ذا وظيفة اجتماعية ، اهتمت الصورة فيه بخدمة المجتمع بأشكاله المتنوعة : القبلية ، والدينية ، والسياسية ، والمذهبية .. إلخ ، الأمر الذي أسهم في تحديد شخصية الشاعر نفسه ، فغدا لسانه من أجل مجتمعه - أيا كان شكله- يُعنى بإثارة المتلقي ، وتوجيه سلوكه بحسب ما يريد ذلك المجتمع .<sup>٢</sup>

وهذا الكلام لا يعني أن نلغى تأثير عاطفة الشاعر، وفكره في سير الصورة الشعرية، فليس الشعر ذا وظيفة اجتماعية فحسب كما فهمته العرب منذ العصر الجاهلي ، فكان ديوان علمها ومنتهى حكمها<sup>٣</sup> ، وإنما له وظائف أخرى متنوعة ،

<sup>١</sup> النابغة الذبياني مع دراسة للقصيد العربية في الجاهلية ، د. محمد زكي العشماوي ، دار النهضة العربية

١٩٨٠ م ، بيروت ص ٢٩٢ نقلا عن كولردج ص ١٦٨

<sup>٢</sup> انظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، المرك الثقافي العربي ١٩٩٢ ، بيروت ، ط ٣ ، ص ٣٢٨

<sup>٣</sup> انظر : طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، قراءة وشرح أبي فهر محمود شاكر ، مطبعة مدني ، مصر ج ١ ص ٢٤



وبالتالي فليست الصورة التي هي لبّ التجربة الشعرية ذات وظيفة اجتماعية فقط، بل إن لها وظائف أخرى ربما تجاوزت وظائف الشعر نفسه، نعم، قد يكون الفنان غالبا - والشاعر فنان - وليد زمانه ومكانه، ومعبرا عن تطلعات أمته، وكشوفات طبقته الاجتماعية، وبالتالي فهو ضمير شعبه، ومنازة قومه لأنه يشارك مشاركة فعلية في حلّ جميع المعضلات التي تواجه الأمة، وتعرض مسيرتها المستمرة، وكثيرا ما يدفع دمه ثمنا لذلك<sup>١</sup>، فمن الخطأ أن نوجه وظيفة الصورة الشعرية، والتي هي جزء من وظيفة الشعر بشكل عم نحو خدمة المجتمع فقط، لأننا بفعلنا هذا، نحولّه إلى أداة حابسة للمشهد الخارجي فقط، ونحن نعلم أن الشعر هو روح، ووجدان، تنطق به اللغة. كائن حيّ يتحرك من خلال حركة اللفظ، والمعنى. والصورة هي جزء من هذه الحركة لهذا الكائن المتجدد.

إذا عرفنا أن الصورة الشعرية هي أداة للتعبير عن الذات، وعن المجتمع بشكل عام، نجد أن البردوني أخذ بهذا الاتجاه فجاءت صورته تعبيراً عمّا بداخله، وتنفيذا عن معاناة ذلك المجتمع، وبما أن البحث متجه إلى أساليب السخرية عند البردوني، فإنه لن يخوض في غمار الصورة الشعرية في التجربة البردونية بشكل عام، وإنما سيحاول أن يقف مع الصورة الشعرية الساخرة، أو ما يسمى بالكاركاتور، وهي ككلّ الصور التي يحاول من خلالها الكاتب أن يرسم لنا أبعادا جديدة للصورة تختلف عن أبعادها المعتادة، وتحولّ الكلام من مجرد هجاء عادي إلى رسم كاريكاتوري

<sup>١</sup> الطبيعة الانفعالية العقلانية للإبداع الفني، د. حسين جمعة، مجلة الفيصل، عدد ٥٦، سنة ٥، ١٤٠٢ هـ، كانون الأول ١٩٨١ م ص ٥٦

ساخر<sup>١</sup> ، فهذا الاتجاه قد عبّر عنه العقاد في وصفه لهجاء ابن الرومي قائلاً : على صاحبنا فثًا واحداً من الهجاء لا نرتاب في أنه كان يختاره ويكثر منه ... ونعني به فنّ التصوير الهزليّ ... فهو مطبوع عليه<sup>٢</sup> ، فالصورة التي يبحث عنها البردوني هي صورة تحاول أن تعري المجتمع الفاسد ، لكنها في نفس الوقت تحاول أن ترسم شيئاً من الضحكة ، على وجه البؤس الذي تولد من ظلم المجتمع ، فهو يحاول أن يرسم تلك الصورة التي تخذل فيها المقاييس ، ونكاد لا نتمثّلها في ذهننا حتّى نفجر مقهقهين<sup>٣</sup> ، إننا عندما نبحث عن مثل هذه الصور لا نبحث عن إضحاك البردوني لمجتمعه ، وإنما نبحث عن ذلك السوط الساخر ، الذي ألهب البردوني به جسد أمته كي تصحو من سباتها العميق ، نبحث عن تلك البسمة المتلبسة بعمق الدمعة الغائرة في جوف المعاناة من تلك المآسي التي يسبح فيها مجتمع يزرح تحت الأثقال . فعندما يرسم لنا البردوني بقلمه صورة تلك البيوت في ليله الخاص ، تأتي مشبعة بنزف الألم

هذي البيوت الجائحات إزائي ليل من الحرمان والإدجاء

من للبيوت الهاديات كأنها فوق الحياة مقابر الأحياء

تغفو على حلم الرغيف ولم تجد إلا خيالاً منه في الإغفاء

وتضم أشباح الجياح كأنها سجن يضم جوانح السجّناء

وتغيب في الصمت الكئيب كأنها كهف وراء الكون والأضواء

<sup>١</sup> أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي مقارنة أسلوبية في جماليّة القبح ، عامر الحلواني ، مطبعة التفسير الفني تونس ، ط ١ ص ٤٠

<sup>٢</sup> ابن الرومي حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٤ م ، ص

١٩٥

<sup>٣</sup> فنّ الهجاء وتطوره عند العرب ص ٤٩٨

خلف الطبيعة والحياة كأنها شيء وراء طبائع الأشياء  
 ترنو إلى الأمل المولّي مثلما يرنو الغريق إلى المغيث النائي  
 وتلمم الأحلام من صدر الدجى سودا كأشباح الدجى السوداء  
 هذي البيوت النائمت على الطوى نوم العليل على انتفاض الداء  
 نامت ونام الليل فوق سكونها وتغلقت بالصدمت والظلماء  
 وغفت بأحضان السكون وفوقها جثث الدجى منثورة الأشلاء  
 وتملمت تحت الظلام كأنها شيخ ينوء بأثقل الأعباء  
 أصغى إليها الليل لم يسمع بها إلا أنين الجوع في الأحشاء<sup>١</sup>

لقد حاول أن يرسم البردوني تلك الصورة المأساوية لهذه البيوت ، فهي ليل من الحرمان ، وهي قبور تحتضن الأحياء ، وغاية حلمها أن تجد الرغيف الذي أصبح مجرد خيال تعيشه في أحلامها. إنها حياة كما وصفها البردوني خلف الحياة ، حياة من عالم آخر . إن هذا الرسم يتواصل بتلك الصورة الساخرة من هذا الحياة ، الحياة التي أصبحت سجنا لا يقطنه الناس، فمن ينزل في هذا السجن انتفت عنه روح البشرية ، وحكم عليه الجوع أن يصبح شبعا لا يكاد يرى . هذه الأوجاع تلمم في صورة شيخ كبير أعياء المرض وهدته الأعباء التي يزرع تحتها، هذه الحياة المدفونة، المسحوقة، يصور لنا البردوني تجاهل الناس لها في الختام بإصغاء الليل لها ، فمع سكون الليل، وهدوئه لم يستطع من ضعف وهزل تلك الحياة أن يسمعها ، فاضطر إلى أن يصغي ليسمع أنينا وبكاء يتحشرج في الجوف .

<sup>١</sup> ديوان البردوني ص ٨٩ ، ٩٠

لم تختتم رحلة البردوني مع المعاناة فيكملها برحلته مع شيخ مرّ به .

مررت بشيخ أصفر العقل واليد يدبّ على ظهر الطريق ويجتدي

ثقل الخطا يمشي الهوينى بجوعه وأحزانه مشي الضرير المقيد

ويمضي ولا يدري إلى أين ينتهي ولم يدر قبل السير من أين يبتدي

ويزجي إلى الأسماع صوتا مجرّحا كئيبا كأحلام الغريب المشرد<sup>١</sup>

هذه الصورة التي ترسم حيرة ذلك الشيخ الكبير الذي يسير بلا هدى كأنه أعمى لا

يكتفي بقيود العمى عليه ، وإنما تزداد معاناته بقيود إضافية كبلت حركة سيره ،

فأصبح تائها لا يدري إلى أن يسير ، وأين ينتهي به الطريق، كئيبا ، كحلم الغريب

المشرد ، لم تكن هذه الحيرة ، والضعف خاصة بالبشر فقط ، فهي صفة تشمل كل

الحياة ، فهاهو ذا ليل البردوني يسير على نفس الصورة .

كئيب بطيء الخطى وُلَمَ م يسير إلى حيث لا يعلم

ويسري ويسري فلا ينتهي سراه ولا نهجه المظلم

وتنسب أشباحه في السكون حيارى بخيبتها تحلم

هو الليل في صمته ضجّة وفي سرّه عالم أبكم

كأن الصبابات في أفقه تئن فترتعش الأنجم

حزين غريق بأحزانه كئيب بالآمه مفعم

كأن النجوم على صدره جراح يلوح عليها الدّم<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٩٦

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٣٣

فلو أردنا أن نصور ذلك الليل ونجومه جراحا تنزف منها الدماء لكان تصويرا ،  
ينبض بالمعاناة التي تجتاح كيان البردوني ، المعاناة التي يرى البردوني أن سببها  
الرئيس هو ذلك الحاكم الطاغي .

سل الدرب كيف التقت حولنا ذئاب من الناس لا ترحم  
وتهنا وحكـامنا في المتاه سباع على خطونا حوّم  
يعيئون فينا كجيش المغول وأدنى إذا لوّح المـغـنم  
فهم يقتنون ألوف الألوّف ويعطيهم الرشوة المـعـدم  
ويبنون دورا بأنقـاض ما أبادوا من الشعب أو هدّموا  
أقاموا قصورا مداميكها لحوم الجماهير والأعظم  
قصورا من الظلم جدرانها جراحاتنا ابيضّ فيها الدّم  
أخي إن أضاءت قصور الأمير فقل : تلك أكبادنا تُضرم<sup>١</sup>

لقد حاول البردوني أن ينقل تلك الصورة الظالمة للحاكم ، الذي تسلط على الشعب  
فكانت مطامعه تتحقق من خلال استغلال الشعب ، فالقصور هي لحوم الشعب ،  
والجدران هي الجراحات التي تنزف الدّم ، لكن البردوني لا يرى الحاكم هو المذنب ،  
فالمذنب الحق هو الشعب .

لا تلم قادتنا إن ظلّموا ولم الشعب الذي أعطى الزّماما  
كيف يرعى الغنم الذئب الذي ينهش اللحم ويمتصّ العظاما  
قد يخاف الذئب لو لم يلق من نابه كلّ قطـيع يتحامى

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

ويعفّ الظالم الجلاّ دلو لم تقلده ضحاياه الحساما  
لا تلم دولتنا إن أشبعت شره المخمور من جوع اليتامى  
نحن نسقيها دمانا خمرة ونغذيها فتزاد أوما  
ونهذي مســــتبدأ زاده جُثث القتلى وأكــــبأ الأيــــامى

كيف تصحو دولة خمرتها من دماء الشعب والشعب الندامى ؟<sup>١</sup>

لقد رسم للحاكم صورة الذئب الذي يرعى الغنم ، ذلك الذئب الذي لا يجد مقاومة ، بل إن كل الأمور تقدم له دون عناء ومشقة ، لتكتمل تلك الصورة الساخرة من ضعف الشعب حيث جعله خمرة سائغة الشراب ، يتناولها الحاكم بهناء ويسر متى ما أراد في جو احتفالي تقدم فيه جثث الشعب وأكباد الأيتام طعاما يتلذذ بتناوله ذلك المستبد ، لتكتمل الصورة عند البردوني في ذلك الموقف الذي يدعو للحيرة التي قادته للسؤال عن الخلاص ، فسكرة الدولة بشكل عام لن تنتهي لأن ما يقدم من خمرة هي دماء الشعب ، وهم ندماء الدولة في الشراب في نفس الوقت . لقد ملّ البردوني العيش في إطار هذه الدولة الظالمة كما يراها لأنها قتلت كل نبوغ للشعب ، واتخذت من شعبها سلما تتسلق عليه

بنت من دم الشعب عرشا خضيبا ورضت جماجمه مقعدا

وأطفت شبابا أضاءت مناه فأدمى السدنا حكمها الأرمدا<sup>٢</sup>

هذه الصورة الساخرة للدولة وهي تبني من دم الشعب عرشا ، وتتخذ من جماجمه مقعدا ، وتأتي جملة رضت لتكمل رسم تلك الصورة القاسية في تعامل الدولة مع

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٦٤

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٢٧٤

الشعب ، فتصور تلك الدولة وهي ترفع تلك الجماجم ، ثم تلقيها بكل عنف على الأرض ، صانعة من حطامها مقعداً مريحاً تستمتع بالجلوس عليه ، ثم يرسم لنا تلك الصورة التي تظهر نبوغ الشعب وأمانيه في هيئة نور تمتد إليه يد الدولة لتطفئه ، ويستمر البردوني في كشف زيف هؤلاء الحكام .

يبنون بالظلم دورا كي نمجدهم ومجدهم رجز أخشاب وأحجار  
لا تخبر الشعب عنهم إن أعينه ترى فظائعهم من خلف أستار  
الآكلون جراح الشعب تخبرنا ثيابهم أذهم آلات أشرار  
ثيابهم رشوة تُنبى مظاهرها بأذها دمع أكباد وأبصار  
يشرون بالذل ألقابا تسترهم لكنهم يسترون العار بالعار  
تحسهم في يلمستعمرين كما تحس مسبحة في كف سحار<sup>١</sup>

يستمر البردوني في رسم تلك الصورة البشعة للحاكم المستبد ، فيصوره في صورة من يتستر ، لكن كل معائبه تظهر من خلف الأستار ، ثم يصوره في وجبة دسمة وهو يأكل جراح الشعب ، ثم تلك العمالة القذرة للمستعمر التي أنهاها بتلك الصورة الساخرة ، عندما صوهم كمسبحة تتلاعب بها كف سحار، وهي لا حول لها ولا قوة، إلا أنها أداة لخداع الناس ، والسيطرة عليهم .

لم يكتف البردوني في رسم تلك الصورة الساخرة المظلمة للحاكم ، بل راح يرسم له صورة أكثر بشاعة عندما أخذ يتندر به ويصوره بتلك الصور الدنيئة ويولّي على الوزارات والحكـم رجالات كالعائنسات الذواقم

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٣٤ ، ٣٣٥

ولصوفا كأنهم قوم يأجـو ج صغار النّهي كبار العـمائم

وطوال الذّقون شعنا : كأهـ ل الكهف بل الكهوف صمّ أعاجم

يحكمون الجموع والعدل ييكي والمآسي تدمي سقوف المـحاكم<sup>١</sup>

إنّ هذه الصورة المشوّهة التي يرسمها البردوني للحاكم تدل على قدر الكراهية التي يحملها له لدرجة أنّه يحاول أن يشوّه تلك الصورة بأمر يراها الشعب من الدناءات ، فعندما يجعل الحاكم عبارة عن عانس ناقمة على الشعب لأتّه سبب في جعلها تعيش هذه الحياة فلا يستغرب ما يصدر منه من أحقاد ، وعندما يجعله لصدا لا يشبع ، ولا يفكر لأتّه ليس له عقل ، فسيكون كل همّه ما يجمعه من مغنم دون مراعاة عقل ولا عرف ، هذا الحاكم الذي تصرف بهذا الشكل لا بد أن يحاول البردوني أن يرسم له صورة مخيفة ، فجاءت صورة أصحاب الكهف ، وما تحمله من معنى مستقر في بشاعة المظهر فمشاهدتهم تدعو للفرار وتملأ النفس رعبا .

ليستمر البردوني في رسم تلك الصورة الساخرة .

كلهم متحف الغباء ... وكلّ يدّعي أنه مـحيط المعاجم

فيلوكون من مريض التّواريد خ حروفا من فهرسات ... التّراجم

كيف هدّا فقادنا أغـبياء ولصوص مـتوّجون أكارم ؟

وصرّغار مؤنثون وغـيـد غاليات الحلـى رخاص المـباسم<sup>٢</sup>

هذا التصوير يحاول أن يشخص فيه البردوني صورة الحاكم التي لا يستحق معها أن يكون قائدا للأمة ، فالغباء ، والأنوثة الرخيصة كلها أمور جعلت من هذا الحاكم

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٨٢

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ٣٨٣



صورة هزلية حاول البردوني أن يحوك حولها رسوما تبرز تلك السيئات التي ارتكبها في حق الشعب .

لم يكن الحاكم هو السبب الوحيد في تدني الأمة في اعتقاد البردوني ، فالشعب له يد أيضا في الوصول إلى هذه الحالة ، فلا نستغرب إذا امتدت يد البردوني لترسم صورة ذلك الخضوع الذي كان سببا في طغيان الحاكم، وسببا في ذلة الشعب .

لأننا رضعنا حليب الخنوع      تقمّصنا من صباننا الخضوع  
فجعنا لـيـكـتظّـ جلاّ دنا      ويطغى وننسى بأنا نـجوع  
وحيث شعرنا بنهش الذنا      ب شددنا على الجرح نار الدّموع  
ورحنا نجيد سباب الدّجى      ولم ندر كيف نضيء الشّدّموع  
نفور ونظـفـننا تـفـلّة      فنمتص إطفاءنا في خـشوع  
ولمّا سمعنا انفجار الشّدّعوب      أفقنا نرى الفجر قبل طـلوع  
ويوما ذكـرنا بأنا أناس      فثرنا ومنتنا لتحيا الـجموع  
ولكن لبـسنا رداء الأباة      وفي دمنا المسـتضام الـهلوع  
فحين انتوينا شروع المسير      حذرنا الـمـغـبّة قبل الشّدروع  
وقلنا أتى من وراء الحدود      جراد غريب فأشقى الرّبوع  
وليس عدانا وراء الحدود      ولكن عدانا وراء الضـلّوع  
فقد جالت الرّيح ذاك الجراد      فكنا جرادا وكنا الـزرّوع .<sup>١</sup>

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٥٣٥ - ٥٣٦

لقد حاول البردوني أن يرسم في صورته السابقة حالة الخضوع التي تعيشها الأمة، فساق تلك الاستعارات الساخرة في بيان مستوى الذلّ الذي وصلت له الأمة ، فمن رضاءة حليب الخنوع ، إلى تقمص الذلّ وكأنه لباس إلى أن يصل إلى تلك الصورة العجيبة ، التي رسمها بيد فنان ، تلك الصورة الساخرة من درجة الذلّ الذي وصلت إليه الأمة ، صورة فوران الأمة فيجيء إطفائها بتفلة ، لتجمع القلة مع الحقارة في نفس اللفظ ، ذلك الموقف الذي رسمه البردوني لهذا الشعب الذي تخمد توهجه ، وثورانه هذه الحقارة ، يستحق ما يعانيه من ألم وظلم ، وجور . لتكتمل الصورة لدى البردوني فالجراد الذي يقضي على كل شيء لم يأت من هجرة خارجية ، إنه جراد وطني ، أباد هذا الجراد زروع الوطن .

لقد انغرس في عقل البردوني أن هذا الشعب ، أصبح يقاد كما تقاد البهائم ، فأصبح يرى أن ما يحصل له من ظلم هو بيده لا بيد غيره ، فلا نعجب من تلك الصور التي يرسمها البردوني لشخصية هذا الشعب

غير رأسي ... أعطني رأس جمل غير قلبي ... اعطني قلب حمل

ردني ماشئت ... ثورا نعجة كي أسميك يمانيا بطل

كي أسميك شريفا ... أو أرى فيك مشروع شريف محتمل<sup>١</sup>

إنّ هذا المشهد الساخر من حال المجتمع يجعل البردوني يجسم هذه الأشياء ، ليبين مستوى نظرة الحاكم لهذا الشعب ، فما يقوم به واضح للعين ولكي يقبل به لا بد أن تجرى له تغييرات ، تصل لدرجة الخروج من الأدمية، ومع ذلك نجده يتندر بقوله كي

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٧٦٣

اسميك يمانيا ، وكأن الاستغفال أصبح عادة الشعب ودينه . فأصبح ذلك الحاكم المزيف أسطورة يهابها الشعب دون مبرر .

وما حكمهم؟ جاهلي الهوى      تقهقه من سـخفه الأيم  
 وأسطورة من ليالي جدي      س رواها إلى تغلب جرهم  
 ومطعمهم رشوة والذبا      ب أكل إذا خبت المطعم  
 رأوا هدأة الشعب فاستذأبوا      على ساحة البغي واستضغموا  
 وكلّ جبان شجاع الفؤا      د عليك إذا أنت مسـتسلم  
 وإذعاننا جرّاً المفسدين      علينا وأغراهم المـماتم<sup>١</sup>

تلك العادة التي جعلت من يستبد لا يرعوي عن جوره ، بل يزداد طغيانه يوما بعد يوم، لأنه وجد ذلك الخنوع من الشعب ، واتصف في نفسه باللؤم ، فجمع بين دناءتين .

وسل : كيف لئذا لعنف الطغاة فعاتوا هنا وهنا أجرموا ؟  
 فلا نحن نقوى على كـفهم ولا هم كرام فمن ألوم ؟  
 إذا نحن كذبا كرام القلوب      فمن شرف الحكم أن يكرموا  
 وإن ظلمونا ازدرأ بنا      فأدنى الدنأت أن يظلموا  
 وإن أدمنوا دمننا فالوحو      ش تعبّ الذّجيع ولا تسأم  
 وإن فخرنا بانتصار اللئام      م فخذلاننا شرف مرغم  
 وسائلنا فوق غاياتهم      وأسمى وغاياتنا أعظم  
 فنحن نعفّ وهم إن رأوا      لأدناسهم فرصة أقدموا

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٣٨

وإن صدعوا سلّماً للعرو ش فأخزي المخازي هو السدّام<sup>١</sup>

هذه هي صورة ذلك الحاكم المستبد الذي لا يرقب في هذا الشعب المضطهد أي حق ، فهو متسلط متجبر ، تقوده رغباته إلى سحق كلّ من يواجهه . ولم يكن تسلط الحاكم ، وإذعان الشعب ، هو المحرك لطاحونة الظلم فقط ، فالبردوني يرى أن أبواق الصحافة الصفراء كان لها دور في استبداد هؤلاء الحكام ، فاخذ يصور لنا دور هذه الصحف ، تصويراً يرسم من خلاله موقفه من هذه الصحف وهو يعنون لنصه بعنوان يرسم من خلاله بداية السخرية منهم ، فعندما يعنون البردوني للنص بجلالة الفنّان ، كأنه يقول هؤلاء الذين تقدرونهم ، وترفعون مكانهم ، ما هم في الحقيقة إلا مجموعة من الفنّان ، تقّات من عرقكم ، وتقترض آمالكم ، وتقطع تموّحاتكم ، لمصالح شخصية ، ومؤامرة تحمل نوايا سيّئة .

سادة التحرير من حمّ لهم مهنة الحرف ؟ وهم أضرى عصابه

قضموني من هنا من ههنا أيّ فنّان أرى ؟ من أيّ غـابه

إنهم نعل الذي يعلوهم وعلى من دونهم أبطـال بابه<sup>٢</sup>

لقد صور البردوني أرباب الصحافة في بلاده ، وكيف كانوا مطية للسلطة ، فلم تكن أمانة الحرف هي المحرك لأفلامهم ، بل كان المحرك الحقيقي هي أطماع شخصية . لقد صورهم بأنهم عصابة تسرق آمال الشعب ، وبأنهم فنّان تخرب هذا البلد ، ولا

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

<sup>٢</sup> بابه : المسرحية البدائية ، كما أطلقوا هذه التسمية على كل مسرحية شعرية كتبها محمد بن دانيال الموصلي بمصر في أول القرن الثالث عشر الميلادي

<sup>٣</sup> ديوان البردوني ص ١٥٢٧

تصلحه ، وهم نعال للسادة ، وحتى بطولتهم على الضعيف هي بطولة هزلية كبطولة أبطال مسرحية بابه .

يستمر البردوني في كشف زيفهم ، ومؤامراتهم .

ذلك الفن الذي تعمّره من حنايا القلب تلقاه خرابه

جئت من مطبعة ؟ قل صادقاً جئت من مسبعة يا للغرابه

سايسوها ما لهم لــــبّ لــــذا يحسبون الشعب معدوم اللّاباه

أين منك الصوت ؟ دسّوا من فمي غير حلقي حطّوا تلك الرّبابه

أين كفاك ؟ أتدري ما شــــووا إصبعا إلا وظنّوها كبابه ؟<sup>١</sup>

إن هذه الصحافة التي ساسها هؤلاء غدت خرابة ، لأن ساستها بلا عقول ، ويحسبون كلّ الناس أمثالهم ، فهم ينفذون أجندة من يعملون لحسابهم ، دون النظر لمصلحة الوطن ، فهو آخر ما يشغل بالهم .

نقّدوا أمر الذي أمّرهـم والذي أركبهم ظهر النّـقابه

فغدوا جيشا مدادياً إلى فيلق الفوضى وللغازي مثابه<sup>٢</sup>

لقد صورهم بأنهم جيش من حبر ينفذ أوامر من جعلهم في هذه المناصب ، ومن حكمهم في أمور الفكر ، يقولون بجهلهم ، ويخططون بمؤامراتهم لإسقاط كل شريف . مع كلّ هذه المأساة التي يعيشها البردوني من حال الحكام ، وخنوع الشعب، إلا أنه يعود كعادته ليزرع أمل المستقبل، أملا يراه قادما من نهضة الجموع، وقهرها للظلم ، فمهما استبد الظلم لا بد من يوم تشرق فيه شمس العدالة .

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ١٥٢٦

<sup>٢</sup> المرجع السابق ص ١٥٣٠

هدّونا بالقيد أو بالسّلاح واهدروا بالزّئير أو بالنّـبّاح  
 وكلوا جوعنا وسيروا على أشدّ لائنا الحمر كالخيول ... الجماح  
 واقرعوا فوقنا الطّبّول وغطّوا خزيكم بالتّصنع الفـضّاح  
 هدّونا لن ينثني الزّحف حتّى يزحف الفجر من جميع الدّواحي<sup>١</sup>

إن التصوير الذي يرسمه البردوني لحال الخلاص لا يخلو من سخرية لوضع قائم يتمنى زواله ، فالاستخفاف بهم لدرجة عدم تمييز أصواتهم أهي زئير أسود أو نباح كلاب ، وتصوير ظلمهم بأكل الجوع ، دلالة على نهمهم ، وتسلبهم على هذا لشعب الذي لم يتركوا له حتى الجوع . لتأتي بادرة الأمل فالفجر لا بد أن يطلع ، ويزحف كجيش فاتح يبيد ظلمة الظلم .

لأن هذا الوطن الشامخ لن يستسلم ، مهما جار الظلم ، وتغطرس الظالم .

لن يستكين ولن يستسلم الوطن توثّب الروح فيه وانتخى البدن  
 أما ترى كيف أعلى رأسه ومضى يدوس أصنامها البلهاء ويمتهن  
 وهبّ كالمارد الغضبان متشّشا بالذّار يجتذب العليا ويحتضن  
 فزعزت معقل الطغيان ضربته حتى هوى وتساوى التّاج والكفن  
 وأذن الفجر من نيران مدفعه والمعجزات شفاه والدّنا أذن  
 تيقظت كبرياء المجد في دمه واحمرّ في مقلتيه الحقد والإحن  
 يا صرعة الظلم شقّ الشعب مرقده وأشعلت دمه الثّارات والضّغن

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٥٩

ها نحن ثرنا على إذعاننا وعلى نفوسنا واستثارت أمنا اليمن<sup>١</sup>  
إنها الغضبة التي يحلم بها البردوني ، ويمنى النفس أن يراها ما ثلة أمامه، لأنه يرى  
أن أمته تستحق أن تعيش في مستوى أفضل مما هي فيه ، ولأنه يؤمن أن هذا الشعب  
وإن ظلم وانتهكت حقوقه إلا أن له ماضيا مجيدا يرفض أن يكون هذا حاضره لذلك  
سوف يجاهد ليستعيد ماضيه في مستقبله.

---

<sup>١</sup> المرجع السابق ص ٣٦٥

### نتائج البحث

في نهاية البحث يمكن أن نقول أنّ أهم النقاط التي توصل اليها هي:

١ - أن الأدب يمكن أن يكون مرآة يستطيع من خلاله المتابع أن يتعرف على شخصية الأديب ، وعصره .

٢ أن السخرية فنّ من الفنون الأدبية التي يستطيع من خلالها الأديب أن يعبر عن مشاعره ، وآماله ، ويستطيع من خلالها أيضا أن يرسم توجهاته، وأفكاره.

٣- إنّ استخدام البردّوني للأسلوب الساخر ، وإن كان فيه تنفيس عن مشاعره، إلا أن هدفه الأساس هو إيقاظ أمته من سباتها لتقف في وجه كل من سلبها حقوقها .

٤ - تنوع البردّوني لأساليبه الساخرة يعطي دليلا واضحا أنه كان متمكنا ، وقادرا على استيعاب فنون هذا الأسلوب الأدبي ، وذلك من خلال اطلاعه على التراث العربي ، والغربي في هذا الفن ، كما أن روحه الفكاهية كان لها أثر واضح في تبنيه لهذا الأسلوب .

٥ - بالتعمق في حياة البردّوني ، ونتاجه الأدبي يتضح للبحث انه أمام قامة أدبية عظيمة تستحق من الدارسين تسليط الضوء على أدبه بشكل عام، فالبردّوني ليس شاعرا فحسب ، بل هو أديب يجيد سبك حروف النثر ، بقدر نظمه لعقود الشعر ، وكتبه المطبوعة تدل دلالة واضحة على هذه المقدرة .

٦ - قد يختلف النقاد مع توجهات البردّوني ، وخاصة الفكرية منها ، أو طرحه للبعض الموضوعات الشعرية ، لكن يظل رأي البردّوني ، قابلا للصواب والخطأ ، لكن هذا



لا يعطي الحق لمن أراد التنقص من قامته الأدبية أن يضع العراقيين أمام التعمق في عالم البردوني الأدبي ، وسد الطرق أمام الباحثين عن التعمق في تجربته الإبداعية ٧ - أخيرا إن البحث حاول أن يلم بجوانب سخرية البردوني من كل أطرافها ، لكنه عمل بشري يعتريه النقص مهما بلغ من الإتقان ، فهناك جوانب لم يستطع مركب البحث أن يرسو على شاطئها قد تكون موائئ جديدة يستطيع دارس آخر أن يبحر من مرفئها .

### توصيات البحث

- ١ - يوصي البحث بالاهتمام بدراسة الأدب الساخر في الأدب العربي ، والتعمق مع التجارب الإبداعية الساخرة ، لأن السخرية فنّ يجب الاهتمام به كجميع الفنون والمكتبة العربية تعاني من قصور في هذا الجانب .
- ٢ - يوصي البحث بتسليط الضوء على أدب البردوني من كل الجوانب ، الفنية والنفسية ..... إلخ ، للوقوف مع تجربته الأدبية بشكل متعمق ، وواسع .

### الخاتمة

لقد تناول البحث جانب السخرية في شعر البردوني ، وحاول من البداية أن يبحر في شواطئ البردوني الساخرة ، وقد جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد، وفصلين .

تحدثت المقدمة عن أهمّ معالم الدّراسة ومقتضياتها .وجاء التمهيد ليتحدث عن أهمية الموضوع ، وعن أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ، ليبحر بعد ذلك في حياة البردوني منذ ولادته إلى وفاته ، ليعطي المتلقى نبذة عن حياة الأديب موضع الدراسة ، ثم جاء الفصل الأول من الدراسة ليسلط الضوء على معنى السخرية موضع الدراسة، وكيف استخدمها الأدباء في تناولهم الأدبي . وبعد ذلك تحدث البحث عن أسباب توجه البردوني لأسلوب السخرية ، واستخدامه أداة تعبيرية ، يخوض بها غمار تجربته الأدبية ، معبراً بها عن مشاعره ، وأفكاره ، وأمته ، وقد أرجع البحث هذه الأسباب إلى قسمين :

١ - ذاتي يعود إلى البردوني نفسه ، وهو ما تمثل في أمور أهمها كان العمى الذي أفقده التمتع بالحياة كالأصحاء ، وفقد أمه الذي زاده معاناة إلى معاناته فهي الحبيبة ، والمعينة على نوائب الزمان بعد أن هجره الأهل والإخوان . وثقافته الساخرة التي تتلمذ فيها على أستاذه أبي العلاء المعري، ونهل من معين ملهمه الجاحظ ، وانغمس في صور ابن الرومي ، ولم يقتصر تأثره بالأدب العربي ، وإن كان المحرك الأساس له في انطلاقه لرحاب هذا الأسلوب ، بل وجدناه ينهل من معين الأدب الغربي في هذا الاتجاه .

٢ - أما الجانب الثاني فقد كان خارجيا ، وقد تمثل في الظروف السياسية التي عانى منها البردوني أشد المعاناة ، والظروف الاجتماعية التي أكملت رسم معاناته ، ليصبح لا كما قال أستاذه في الثلاثة السجون ، بل إنَّ كل ما يحيط به سجن يضاف إلى سجونہ .

ويأتى الفصل الثاني ليقدم دراسة فعلية عن أهم الطرق الأسلوبية التي استخدمها البردوني في التعبير عن سخريته ، فوجد البحث أن أهمها هي ستة أساليب : الاستفهام، والمبالغة ، والتكرار ، والحوار ، والمفارقة ، والصورة الساخرة . أسأل الله العزيز القدير أن يكون البحث قدم المفيد ، والجديد، وأن يكون إسهاما جادا في إثراء المعرفة ، إنه القادر على ذلك والمعين عليه ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمدّ وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

## المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الإتيقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تقديم وتعليق الدكتور مصطفى ديب البغا ، الطبعة الأولى ، دمشق ، دار ابن كثير ١٤٠٧ هـ .
- ٣ - أساس البلاغة ، جار الله محمود الزمخشري ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٤٠٢ هـ .
- ٤ - تاج العروس من جوهر القاموس ، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق عبد الكريم العزباوي ، راجعه ، د - أحمد مختار عمر ، د- عبد اللطيف محمد الخطيب ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .
- ٥- التعريفات ، على محمد الجرجاني ، حققه وقدم له - إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ م ، ١٤١٣ هـ .
- ٦ - تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأهرلي ، تحقيق د- رشيد عبدالرحمن العبيدي ، الهيئة العامة للكتب الإسكندرية ، ١٩٧٥ م .
- ٧ - خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر على المعروف بابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨٧ م .
- ٨ - الخصائص ، صنعة ابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد النجار ، دار الكتاب العربي ن بيروت لبنان .

- ٩ - ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م .
- ١٠ - ديوان سقط الزند ، تحقيق ، الأستاذة / مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، إبراهيم الإبياري ، حامد عبد المجيد ، بإشراف - د طه حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٨ هـ ، ١٩٧٨ م .
- ١١ - ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م .
- ١٢ - ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة ابي العباس ثعلب ، قدم له ووضع هوامشه د- حنا نصر الحّيّ، دار الكتاب، بيروت، لبنان ، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م .
- ١٣ - ديوان المتنبي ، الشيخ نصيف اليازجي ، دار الجيل ، بيروت .
- ١٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، السيد محمود شكري الألوسي ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٥ - شرح اللزوميات ، نظم أبي العلاء أحمد بن عبدالله المعري ، تحقيق منير المدني ، زينب القوصي ، وفاء الأعصر ، سيدة حامد، إشراف ومراجعة الدكتور حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ١٦ - الصاحبي ، أحمد بن فارس ، تحقيق أحمد صقر ، مطبعة عيسى البالي الحلبى ، القاهرة .
- ١٧ - صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل ، بيروت .

- ١٨ - الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، حققه د- مفيد قميحة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ .
- ١٩ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق عبدالحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .
- ٢٠ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تقديم و تحقيق وتعليق عبد القادر شيبه الحمد ، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز .
- ٢١ - فتح القدير بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة العصرية ، ١٤١٨ هـ .
- ٢٢ - الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جارالله الزمخشري ، بيروت ، دار المعرفة .
- ٢٣ - لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، دار صادر ، ١٤١٢ هـ
- ٢٤ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، قدمه وعلق عليه ، د- أحمد الحوفي ، د- بدوي طبانه ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار نهضة مصر .
- ٢٥ - مختصر صحيح البخاري ، المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، تأليف بين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، الطبعة الثانية، دار المؤيد للنشر والتوزيع ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

- ٢٦ - معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، بيروت دار الفكر ،  
١٤١٨ هـ .
- ٢٧ - نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة  
الثالثة ، القاهرة ، مكتبة الخانجي
- ٢٨ - نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين خليل بن بك الصفدي، مكتبة  
الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .
- ٢٩ - الوساطة بين المتنبى وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني  
تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم - علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ،  
صيدا، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦ م .

## المراجع

- ١ - ابن الرومي حياته من شعره ، عباس محمود العقاد ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٨٤ م .
- ٢ - ابن الزبير ، عبد الرحمن محمد العمراني ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩ م ، الطبعة الأولى .
- ٣ - اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، بيروت ، دار المسيرة .
- ٤ - الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، أحمد الإسكندري ، دار المعارف ن الطبعة الأولى ن ١٩٩٨ م .
- ٥ - أدب الفكاهة في لبنان ، محمد أمين فرشوخ ، دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م .
- ٦ - أدبنا الضاحك ، عبد الغني العطري ، الطبعة الثانية ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٤١٢ هـ .
- ٧ - الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، د ، محمد العشماوي ، دار النهضة ، ن ١٩٨٠ م .
- ٨ - أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، عبد العليم السيد فودة ، القاهرة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .
- ٩ - أساليب السخرية في البلاغة العربية دراسة تحليلية تطبيقية ، شعيب أحمد الغزالي ، إشراف ، أ-د عبد العظيم المطعني ، ١٤١٤ هـ .



- ١٠ - أسلوب السخرية في القرآن ، د - عبدالحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ م .
- ١١ - أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي مقارنة أسلوبية ، عامر الحلواني، التفسير الفني ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .
- ١٢ - استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي ، د ، علي زايد ن منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ليبيا ، ١٩٧٨ م . الطبعة الأولى .
- ١٣ - أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمن النحلاوي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٩٥ م .
- ١٤ - الإعاقة الحسية المفهوم والأنواع وبرامج الرعاية ، د- مدحت أبوالنصر ، مجموعة النيل العربية .
- ١٥ - الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، إعداد / مها عبدالله الأبرش ، الحج الأول ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م .
- ١٦ - الأمومة نمو العلاقة بين الطفل والأم ، فايزة قنطار ، دار العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .
- ١٧ - الانحراف الاجتماعي ، ورعاية المنحرفين ، ودور الخدمة الاجتماعية لهم، د- محمد سلامة محمد غباري ، مصر، الاسكندرية،المكتب الجامعي الحديث ، ١٩٨٩ م .
- ١٨ - أنوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر ، الطبعة الأولى ، كربلاء ، مكتبة العرفان .

- ١٩ - تاريخ اليمن الحديث المعاصر ، د- حسين عبدالله العمري ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م .
- ٢٠ - تجديد ذكرى أبي العلاء ، طه حسين ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة التاسعة .
- ٢١ - الثقافة والثورة في اليمن ، عبدالله البردوني ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨ م ، دار الفكر ، دمشق .
- ٢٢ - حصاد الهشيم ، إبراهيم عبد القادر المازني ، القاهرة ن مطابع دار الشعب .
- ٢٣ - الحوار آدابه ، وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى زمزمي ، الطبعة الثانية ن عمان ، دار المعالي ن ١٤٢٢ هـ
- ٢٤ - الدائرة والخروج ، دراسة في شعر البردوني ، محمود رحومة ، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا ، مصر ، ١٩٩١ م .
- ٢٥ - دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، د- محمد محمد أبو موسى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ن مكتبة وهبة .
- ٢٦ - ديون البردوني ن إصدارات الهيئة العامة للكتاب ، صنعاء ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- ٢٧ - الرسوم الساخرة في الصحافة ، دراسة تحليلية ، سليمان بن محمد الشبانة ، الرياض ، شركة العبيكان للطباعة والنشر .
- ٢٨ - السخرية في أدب الجاحظ ، السيد عبد الحليم محمد حسين ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ، الجماهيرية العربية الليبية ، سنة ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

- ٢٩ - السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، د نعمان طه ،  
الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار التوفيقية ، ١٣٩٨ هـ .
- ٣٠ - السخرية في أدب عبد الله النديم ، أحمد يوسف محمد خليفة ، القاهرة ، مكتبة  
نهضة الشروق ، ١٩٩٥ م .
- ٣١ - السلوك الاجتماعي للمعوقين ، دراسة في الخدمة الاجتماعية ، د- محمد سيد  
فهيم ، المكتب الجامعي الحديث ، الأزاريطة ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ م .
- ٣٢ - سياسات الرعاية الاجتماعية للمعوقين في المجتمعات النامية ، د عبدالله  
محمد عبد الرحمن ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٥ م .
- ٣٣ - سيكولوجية الفكاهة والضحك ، د - كريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، دار مصر  
للطباعة .
- ٣٤ - الشخصية ، محمد عطية الأبراشي ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ،  
مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٣٨ م .
- ٣٥ - شعر الرثاء في العصر الجاهلي ، مصطفى الشوبري ، مكتبة لبنان ، الطبعة  
الأولى ، ١٩٩٥ م .
- ٣٦ - شعر عبدالله البردوني ، د محمد القضاة ، الطبعة الأولى ، المؤسسة  
العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- ٣٧ - شعراء اليمن المعاصرون ، هلال ناجي ن مؤسسة المعارف ، بيروت ،  
١٩٦٩ م .

- ٣٨ - الصورة الشعرية عند عبدالله البردّوني ، د- وليد المشوح ، كتاب الرياض ، مؤسسة اليمامة الصحفية ، ٢٠٠٠ م .
- ٣٩ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د - جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ م .
- ٤٠ - العاطفة والإبداع الشعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، د - عيسى على العاكوب ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ .
- ٤١ - عبدالله البردّوني حياته وشعره ، د- أحمد إسماعيل ، الطبعة الأولى ، مركز الحضارة العربية ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م .
- ٤٢ - علم النفس الاجتماعي نظرياته ن وتطبيقاته ، د- عباس محمد عوض ، د- رشاد صالح دمنهوري ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ م .
- ٤٣ - علم النفس الاجتماعي ، دراسات نظرية وتطبيقات عملية ، مصطفى فهمي ، محمّد على القطّان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية .
- ٤٤ - الفكاهاة في الأدب العربي أصولها وأنواعها ، د- أحمد محمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
- ٤٥ - فن الهجاء وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٩٨ م - ١٤١٨ هـ .
- ٤٦ - فنون الأدب الشعبي في اليمن ، عبد الله البردّوني ، دار الحدائث للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية .

٤٧ - في أصول الحوار ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الندوة العالمية ، ١٤١٥ هـ .

٤٨ - قضايا يمنية ، عبدالله البردوني دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٦ م - ١٤١٦ هـ .

٤٩ - مبادئ علم النفس ، جمال مثقال القاسم ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .

٥٠ - المبالغة في البلاغة العربية تاريخها وصورها ، عالي سرحان القرشي ، الطبعة الأولى ، النادي الأدبي بالطائف ، ١٤٠٦ هـ .

٥١ - المبالغة في الشعر العباسي ، عبدالعزيز عبدالله الشبيلي ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

٥٢ - المبالغة في الشعر العباسي ، أسبابها - أنواعها - مظاهرها - نماذج لها ، محمد عبد الرحمن الربيع ، دراسات في الأدب العباسي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٥٣ - متحدو الإعاقة من منظور الخدمة الاجتماعية ، عبد المحيي محمود حسن صالح ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ م .

٥٤ - مجلة الفيصل ، العدد ٥٦ السنة الخامسة ١٤٠٢ هـ كانون الأول ١٩٨١ م ( الطبعة الانفعالية العقلانية للإبداع الفني ) .

٥٥ - مجلة المجتمع ، العدد ١٦٣٤ ، ( كيف نرسخ أدب الحوار والنقد ) - د. أحمد شحروري .

- ٥٦ - مجلة الموقف ، العدد ١٣ - ١٤ ، الرباط ، المغرب ، الطبعة الأولى ،  
١٩٨٤ م ، حوار مع الدكتور زكي نجيب محفوظ .
- ٥٧ - المختار من لزوميات أبي العلاء المعري ، شرح واختيار أبو محمد عبدالله  
ابن محمد بن السيد البطليوسي ، حققه د- حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب ، ١٩٩١ م .
- ٥٨ - مدخل إلى مبادئ التربية ، د- محمد عكيمة ، د- سمير عبداللطيف هوانة ، د-  
حسن جميل طه ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .
- ٥٩ - المدخل إلى علم الأدب ، تأليف مجموعة من الكتاب الروس ، ترجمة أ، د-  
أحمد على الحمداني ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى ،  
٢٠٠٥ م ، ١٤٢٦ هـ .
- ٦٠ - المدخل في دراسة الأدب ، د- مريم البغدادي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ ،  
١٩٨٢ م ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- ٦١ - المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٨٠ م .
- ٦٢ - مقدمة للشعر العربي ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ،  
١٩٧٩ م .
- ٦٣ - ملوك العرب ، أمين الريحاني ، مطبعة يوسف صادر ، بيروت ، لبنان ،  
١٩٢٤ م ، الطبعة الثانية .
- ٦٤ - من أول قصيدة إلى آخر طلقة ، عبدالله البردوني ، دار البارودي ، بيروت ،  
الطبعة الثالثة ، ١٩٩٧ م .

- ٦٥ - النابغة الذبياني مع دراسة للقصيد العربية في الجاهلية ، د- محمد زكي العثماوي ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ م ، بيروت . نقلا عن كولردج .
- ٦٦ - الهجاء الجاهلي صورته وأساليبه الفنية ، د- عباس بيومي عجلان ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥ م .
- ٦٧ - الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، د- محمد محمد حسين ، بيروت ، دار النهضة العربية ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٩ هـ .
- ٦٨ - اليمن الجمهوري ، عبدالله البردوني ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٨ م .

## فهرس الموضوعات

- المقدمة ..... ( ٥ - ٨ )
- التمهيد ..... ( ٩ - ٢٩ )
- أ / حياة البردوني ..... ( ١٩ - ٢٩ )
- ١ - اسمه ونسبه ..... ( ١٩ )
- ٢ - مولده ونشأته ..... ( ٢١ )
- ٣ - رحلته العلمية ..... ( ٢٥ )
- ٤ - الأعمال التي شغلها البردوني ..... ( ٢٧ )
- ٥ - تاج البردوني الإبداعي ..... ( ٢٧ )
- ٦ - وفاته ..... ( ٢٩ )

## الفصل الأول

- أ/ معنى السخرية ..... ( ٣٠ - ٤٤ )
- ١ - السخرية في اللغة ..... ( ٣١ )
- ٢ الاستعمال الأدبي للسخرية ..... ( ٣٩ )
- ب - (دوافع السخرية عند البردوني) ..... ( ٤٥ - ١١٢ )
- أ / الدوافع الذاتية ..... ( ٤٧ - ٨٣ )
- ١ - العمى وأثره على البردوني ..... ( ٤٧ )



- ٢ - فقد الأم ..... ( ٥٩ )
- ٣ - ثقافته ..... ( ٧١ )
- ب / الدوافع الخارجية ..... ( ١١٢ - ٨٤ )
- ١ - أثر الحياة السياسية ..... ( ٨٤ )
- ٢ - أثر الحياة الاجتماعية ..... ( ١٠٠ )

• الفصل الثاني:

- ( أساليب البردوني الساخرة ) ..... ( ١١٣ - ١٩١ )
- ١ - الاستفهام ..... ( ١١٥ )
- ٢ - المبالغة ..... ( ١٢٦ )
- ٣ - التكرار ..... ( ١٣٩ )
- ٤ - الحوار ..... ( ١٤٨ )
- ٥ - المفارقة ..... ( ١٦١ )
- ٦ - الصورة الساخرة (الكاريكاتور) ..... ( ١٧٥ )
- ٧ - نتائج البحث ..... ( ١٩٢ )
- ٨ - الخاتمة ..... ( ١٩٤ )
- ٩ - المصادر والمراجع ..... ( ١٩٦ )
- ١٠ - فهرس الموضوعات ..... ( ٢٠٨ )